ليون تروتسكي

الثورة الاسبانية

ترجمة علي الشهابي

الإعداد الإلكتروني: جريدة المناضل-ة http://www.almounadil-a.info

مقدمه الطبعة الانجليزية

يشكل صدور أعمال ليون تروتسكـــي الكاملة عن الثورة الاسبانيـــة 1931-1939 إضافة في وقتها وضرورية للأدب الماركسي الثوري . فالعديد من هذه الرسائل والقرارات والكراريس إما نفذت من الأسواق منذ وقت طويل أو أنها تظهر هنا باللغة الانكليزية للمرة الأولى . وأهميتها أبعد ها تكون عن مجرد تاريخية لأن إسبانيا كانت، في العديد من المجالات، محك إستراتيجية وتكتيك الثورة والثورة المضادة في هذا القرن. ولم تفقد تجارب النضال المرير التي تفصلنا عنها بضعة عقود من أهميتها إلا القليل.

وما هو جدير بالملاحظة أننا قد رأينا في السنوات القليلة الماضية إحياء التكتيك المركزي الذي مارسته الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في الأحداث الإسبانية: ائتلاف الجبهة الشعبية بين أحزاب الطبقة العاملة والبورجوازية الليبرالية. إن من يميلون إلى تصوير حكومة الوحدة الشعبية لسلفادور الليندي في تشيلي ونظام سيريمافو **SIRIMAVO** بندرنايكا في سيلان – و كلاهما وصل إلى السلطة عبر الانتخابات عام 1970 - كأدوات لبناء مجتمع اشتراكي يفعلون خيرا إن يراجعوا سجل الجبهة الشعبية في إسبانيا .

لا تنبثق أهمية الثورة الاسبانية من فرادتها بقدر ما تنبثق من كونيتها. بما أن تطور إسبانيا جعلها في منتصف الطريق بين البلدان الرأسمالية المتطورة والمتخلفة، لذا نراها تجمع العديد من ملامح الصراع الطبقي في كلا المجتمعين. فتاريخ الفلاحين الإسبـــان فيه الكثير مما يذكر بأمريكا اللاتينية، وبنفس الوقت فإن النواة البروليتارية للحركـــة الثورية في إسبانيا تجعل الثورات والحرب الأهلية الاسبانية تتضمنان العديد من المشاكل الإستراتيجية للحركة العماليـة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة. فمثلا إن كثرة المدن في اسبانيا أعطت الحرب الأهلية للسيطرة على المراكز الصناعية طابع الصرع المتطاول الذي اتخذ شكل حرب مواقع أكثر منه شكل حرب متحركة أو حرب عصابات. لذا لم تكـــن النتيجة لتتحدد بالاستيلاء عل مدينة كبيرة أو اثنتين كما يمكن أن يكون الحال في بلد أصغر أو أقل تطورا.

يميل المؤرخون الغربيون عموما إلى معاينة الصراع الإسبـاني من الزاوية العسكرية أو التقنية المحضة، إذ نراهم يقارنون كمية السلاح و «المتطوعين» ودعم الطيران الذي قدمه لفرانكو داعموه الألمـــان والإيطاليون. لكن هذا لا يكفي لتفسير سبب الانتصار النهائي للقوات الفلانجية Falangist لأن التعبئة الثورية للجماهير، كما يظهر المثال الفيتنامي، يمكن أن تهزم التفوق التقني الكبير أو تبطل مفعوله .

الثورة الاجتماعية -بما فيها الحرب الأهلية- ليست مجرد تصادم أيديولوجيات أو شخصيات سياسية، بل مواجهة بين الطبقات الاجتمـــاعية حول مسألة أية طبقة ستحكم . وفي مرحلة الرأسمالية الحديثة ثمة طرفان متصارعان فعلا: من يحكمون -البورجوازية المالية والصناعية والعقارية- وخصمهم الرئيسي الطبقة العاملة الصناعية. أما الأقسام الأخرى من المجتمع، الطبقـات الوسطى المدينية -والفلاحون في البلدان المتخلفة- فهي في التحليل النهائي تتبنى قيادة وبرنامج هذه أو ذاك هن الطرفين المذكورين.

مما لا شك فيه أن دور العناصر التقنية هام في المعركة الطبقيـــة، لكنه ليس حاسمـــا. ولو كان حاسما لانتفت إمكانية الثورة الاشتراكيـــة لأن الطبقات الحاكمة القديمة تدخل دوما في ساحة الصراع الطبقي ضد الطبقة العاملـــة وتحت إمرتها الجيش والبوليس وباقي قوات القمع المنظمـــة داخل المجتمع. ومع ذلك نجحت سلسلة من البلـــدان في القرن العشرين في تحطيم سلطة الرأسمالية وبناء دول عمالية بـــدءا من ثورة أكتوبر الروسية عام 1917 وحتى الثورة الكوبية في نهاية الخمسينات. إن ما يحدد في النهاية انتصار الطبقة العاملة أو هزيمتها هو برنامج الحركة الثورية المكافحة وطرائقها التنظيمية وتوقد ذهن قيادتها. وكل هذا يجد تعبيره الأرقى والأكثر وعيا في بناء الحزب السياســي الثوري على الطراز اللينيني. وتروتسكي كقائد مركزي لثورة أكتوبر الظافرة في روسيا فهم هذا جيدا . وكتاباته حول إسبانيا مشبعة بإدراكه للحاجات الماســـة لبناء حزب جماهيري ثوري للطبقـة العاملة الإسبانية وبرفضه بازدراء لكل البدائل الرخيصة التي كانـــت تدعي أنها هذا الحزب. وكانت الحاجة الماسة للحزب الثوري هي فعلا القضية رقم واحد بين القضايا التي شغلت اهتمام الثوري الروســي المنفي في كتاباته في هذا الكتاب. ففي النصف الأول منه، قبل الحرب الأهلية، تجلى هذا الموضـوع في محاولاته للتأثير على تطور الفرع الإسباني من المعارضة اليسارية الأممية المؤسس حديثا. في حين أن كتاباته اللاحقة بعد الحرب الأهلية، تقوده إلى محاولة تربية كل حركة الأممية الرابعة على نبذ الفئويين والوسطيين من صفوفها: الفئويين المعارضيـــن لدعم الجمهوريين في الصراع العسكري ضد فرانكو في الحرب الأهلية، والوسطييـــن الذين كانوا يتذبذبون في مسألة سياسة الجبهة الشعبية .

لتقييم أسباب فشل الثورة الإسبانية من الضروري ليس فقط معاينة العوائـق الموضوعية، بل أيضا الخلل النظري والتنظيمي عند الثوريين الذين خاضوا الصراع، أي العامل الذاتي. وهذا ما يكثر منه تروتسكي ولكن بعدل وتفهم كبيرين. وحتى القراءة السريعة لمراسلاته مع قادة المعارضة اليسارية الإسبانية تكفي لتبديد الأسطـــورة التي يغذيها أنصار الستالينية من أنه لم «يفهم » المفهوم اللينيني للحزب أو كيفية تطبيقه على الأوضاع العيانية.

لقد كانت اسبانيا ساحة لاختبار البرامج والتيارات الثورية التي لها مثيلاتها في عدة بلدان من العالم في هذا القرن. وهذا معيار آخر يكون فيه للتجربة الإسبانية تطبيق عام يتجاوز الزمـــان والمكان المحددين اللذين حدثت فيهما. إذ انوجدت على الســـاحة الإسبانية كل التيارات المعبرة عن راديكالية الطبقة العاملة من الفوضوية إلى الاشتراكية-الديمقراطية الإصلاحية إلى الحزب الشيوعي المؤيد لموسكو والملتزم بالستالينية إلى الوسطية -المجموعات التي كانت تنوس بين الفعل الثوري والإصلاحية- إلى الاشتراكية الثورية. وكل من هذه التيارات أمكن له، بطريقته الخاصة، التأثير في النتيجة طالما أن مسار الثورة قد فسح في المجال لكل منها إظهار قيمة برنامجه وأطروحاته في وضع ثوري حقيقي.

كانت الدعامة الضرورية للنصر مفقودة، لا لانتصـــار الاشتراكيـــة فحسب بل أيضا لمواصلة الحرب بنجـــاح ضد التمرد الفاشي: لم

يتم بناء حزب ثوري جماهيري في الوقت المناسب.

إن الوثائق المجموعة في هذا الكتاب ليست تأريخا للثورة الإسبانية، وإنما مراسلات وجدالات ثوري ممارس يسعى للتأثير في الأحداث أكثر مما لتسجيلها. وقد جاءت بمعظمها على شكل انتقادات عيانية واقتراحات تكتيكية يوجهها تروتسكي لأتباعه في إسبانيا وللقوى التي أعلنت، لفظيا على الأقل، أنها مع الثورة الاشتراكية. وهي تتضمن، بشكل أقل، انتقادات لاذعة لبرامج التنظيمات اليسارية غير الثورية .

وبالنسبة للقارئ غير المطلع على اليسار الإسباني في الثلاثينات لا بأس في أن يتتبع باختصار أصول الأزمة الثورية التي انفجرت عام 1931 وعلاقات القوى بين التنظيمات العمالية في تلك المرحلة .

الجذور الاجتماعية للثورة الإسبانية :

دخلت اسبانيا القرن العشرين كواحدة من أكثر بلدان أوربا تخلفا، وتتربع على قمتها طبقة حاكمة متفسخة وملكية مطلقة تقوم على دعامتين: الكنيسة الكاثوليكية وسلك ضباط الجيش الأرستقراطي. ورغم المظهر شبه الإقطاعي لبناء الدولة الفوقي فإن نواة الطبقة الحاكمة كانت رأسمالية، وتتألف من تحالف قلق بين كبار ملاك الأراضي في إسبانيا الكاستيلية Castillian (الذين كانوا ينتجون للسوق الرأسمالية العالمية) وصناعيي كاتالونيا والباسك.

كانت تتنازع اسبانيا تاريخيا قوتان دعاة المركزية الكاستيليين المطالبين بحكومة توحيدية قوية والمضادين للمركزية من الكاتولينيين والباسكيين المطالبين بالحكم الذاتي أو الاستقلال، بما يتوافق مع لغتهم المستقلة وثقافتهم .

وكان الطابع الغالب على اسبانيا، ولا يزال، الإنتاج الزراعي. إذ أن 70% من عدد سكانها البالغ 24 مليون عام 1936 كانوا يعيشون من الأرض. ولم يكن هؤلاء السكان الريفيون المسحوقون بوحشية، بكتلتهم الأساسية، طبقة فلاحية. إذ يقدر جيرالد بيرنان [1] Bernan أن ثلاثة أرباعهم كانوا من العمال الزراعيين الذين لا أرض لهم ،أي أشباه بروليتاريا ريفية، ويصور شروط حياتهم كما يلي :

كان أجرهم عام 1930 من 3 – 3.5 بيزيتا (كانت البيزيتا تساوي 12.5 سنت أمريكي) مقابل ثماني ساعات عمل يوميا لمدة أربعة أو خمسة أشهر في السنة. وفي الصيف وتحت لهيب شمس الأندلس الحارقة كان أجرهم يتراوح بين 4 – 6 بيزيتا مقابل اثنتي عشرة ساعة عمل يوميا .

وباقي السنة، طوال ستة أشهر، كانوا يبقون بلا عمل. وكان طعامهم اليومي، باستثناء فترة الحصاد التي يأكلون فيها البقول، فتة زيت وخل وخبز وماء. كانوا يأكلونها ساخنة على الفطور وباردة على الغداء ويعاودون تسخينها على العشاء . . . وأعداد كبيرة من هذه العائلات لم يكن عندها من الأثاث إلا الطنجرة، وكانوا يتناولون وجباتهم على الأرض كالحيوانات .

اغتنى حكام إسبانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من جراء تصدير المنتجات الزراعية للبلدان الأوروبية المتحاربة. والربح الناجم عن هذا التجارة قام بتطوير صناعي سريع وخصوصا في كاتالونيا، عاصمة برشلونة، وفي سانتاندر – Santander وبلباو على شاطئ الباسك الشمالي .

وهذا ما أدى بدوره إلى نمو البروليتاريا الإسبانية في المناطق الانفصالية، وإلى توسع نطاق الحركة العمالية الجماهيرية الراديكالية .

ولما تعمقت راديكالية الجماهير من جراء إغلاق الأسواق الخارجية بعد انتهاء الحرب، التفتت الطبقة الحاكمة إلى حارسها التقليدي، الجيش. في عام 1923 أقام الجنرال بريمودي ريفيرا ديكتاتورية عسكرية كان من المقرر لها أن تغطي الفترة الأخيرة من الاستقرار النسبي للطبقة الحاكمة الإسبانية التي كانت ستمتد حتى تحطيم الجمهورية عام 1939 . لكن بريمودي ريفيرا لم يتمكن من البقاء في السلطة إلا ثمان سنوات لأن الأزمة الاقتصادية الكبرى التي انفجرت عام 1929 وضعت حدا لهذه الفترة، وأصبح المطلوب من الحكم المطلق أن يسحق كل احتجاج اجتماعي بأقدام القوات المسلحة. لقد أرغم الديكتاتور على الاستقالة عام 1930، وبعد ذلك بفترة قصيرة دعا الملك الفونسو الثالث عشر إلى إجراء انتخابات بلدية جرت في نيسان 1931 وكانت نتيجتها في غير صالح الأحزاب الملكية والدينية. ولما كان الملك غير مهيأ لهذه النتيجة غادر إلى المنفى، أما الليبرالية الإسبانية الخانعة والخرساء فلعلع صوتها أخيرا.

قامت جمهورية 1931 على ائتلاف من الأحزاب البرجوازية الليبرالية والحزب الاشتراكي الإسباني بزعامة فرانسيسكو لارغو كاباليرو وأندالیشو بریتو Prieto Indalecio(وكلاهما كان عضوا في الحكومة الأولى). هذا التحالف من الأحزاب المنبثقة من طبقتين اجتماعيتين متناقضتين كان سلف حكومة الجبهة الشعبية التي ستقود الجمهورية أثناء الحرب الأهلية بدءا من انتخابات شباط 1936.

لقد كانت الأحزاب البرجوازية، التي كان قائدها الأبرز مانويل آزانا، ضد الاشتراكية طبعا، وقامت شراكتها مع الحزب الاشتراكي، والشيوعي فيما بعد، على أساس الدفاع عن الحريات الديمقراطية والإصلاح الاجتماعي المحدود. ولم تكن عندها الرغبة أو الوسيلة

[1] Gerald Bernard, "The spanish Labyrith" Newyork: Cambridge University P.P 120 - 121.

لتحطيم سلطة الأرستقراطية العقارية آو بارونـــات الصنـــاعة. أما ديماغوجيتها الإصلاحية أيقظت بين جماهير العمال في المدينـــة والريف آمالا ليس بمقدور هذه الأحزاب تحقيقها.

كان النهوض الثوري للجماهير الاسبانية النتيجة الرئيسية لارتخـــاء قيود الحكم المطلق في ظل الجمهوريـــــة. وبدءا من 1931 انطرحت الثورة الاجتماعيـــــة، وهذا مـــا أفاق الليبراليين الجمهوريين. كان تروتسكي من أوائل من رأوا أن هذا النظام مخلوق ضعيف معني بالحفاظ على علاقـــــــــات الملكية الرأسمالية لكنه مضطر للتوازن القلق بين الجماهير الساخطة وبين المدافعين المتشددين من الرجعية البورجوازية. وحتى قبل إعلان الجمهورية، قال تروتسكي عن البورجوازية الجمهورية في مقالته «الثورة في إسبانيـــا» إن «خوفها من الجماهير أشد من عدائها للملكية » ولقب آزانا بـ« كيرنسكي إسبانيا» أي شخص عابر سيقوم قادة الصناعة الحقيقيون بتنحيته جانبا عندما يستعدون لتوجيـــه الضربة القاضية للحركة الجماهيرية التي تهدد سلطتهم. والمضحك المبكي في الثورة الإسبانية أن آزانا بقي في منصبه لا بفضل البورجوازية التي حاول فعلا أن يخدمها حتى النهاية، بل بفضل أحزاب الطبقة العاملة التي ضحت بإمكانية الثورة الاشتراكيـــة حفاظا على الأبهة الفارغة التي كانت ليبرالية آزانا تضفيها على الجمهورية.

منظمات اليسار الإسباني

الفوضوية :

لأسباب تاريخية محددة كانت الفوضوية - والأدق السنديكالية الفوضوية، أي الفوضوية المعبر عنها لا تنظيم سياسي بل نقابي - هي التيار الأوسع انتشارا بين العمال الإسبان . فممثلو الأممية الأولى - رابطة الشغيلة العالمية - الذين وصلوا في البداية إلى إسبانيا عام 1868 لم يكونوا أتباع ماركس بل باكونين. ووجدت الفوضوية مرتعـــا لها بين العمال الزراعيين الذين لا أرض لهم، والمنتشرين على رقعة جغرافية واسعة وغير المتمركزين أو المنظمين في المصانع الكبرى، كما هو حال العمال الصناعيين في البلدان الأكثر تطورا.

وكان مركز الفوضوية الرئيسي الثاني بين العمال المؤيدين للانفصال والمضادين لكل سلطة في مصانع برشلونة في كاتالونيـــــا. وهنا كان المزاج العام الذي تنشره البورجوازية الصغيرة الراديكالية كجزء من نضالها ضد دعاة المركزية في مدريد يتخذ شكل المعارضـــة لكل سلطـــة. فالعقيدة الفوضويـــة تتوافق مع هذه العواطف التحرريـــة Libertarian ولكن ليس فقط بمعارضتها الثورية للظلم البورجوازي بل أيضا، وبشكل سلبي بمعارضتها لقيام تنظيم منضبـــط للعمـــال يقاتلون من خلاله من أجل انعتاقهم. يؤكد الفوضويون على نضال العمال العفوي، ويتجنبون كل عمل سياســـي وتنظيمي باعتباره شركا بورجوازيا ويشجعون الإرهاب الفردي ضد ممثلي الحكومة.

إن أحد الأركان الأساسية للتفكير الفوضوي والذي كان سببا في تحلل الفوضوية الإسبانية ومن ثم دمارها هو رفضها لكل شكل من أشكـــــــال الدولة. وكان هذا الرفض يولد عملا جماهيريا ثوريا طالما أنه يتوجه ضد الدولـة البورجوازية، لكن الطبقة العاملة، إذا ما أرادت الانتصار، عليها في مجرى النضال الثوري أن تتجاوز أشكال التنظيم المحلية إلى شكل دولة خاص بها على الصعيد القومي .

كان الـ .C.N.T (الاتحـــاد القومي للعمل) الذي تأسس عام 1911 التنظيم الفوضوي الرئيسي، وبلغ عدد أعضائه 1.51 مليـون عام 1931. وكان يهيمن عليه المركز الفوضوي المحظورF.A.I. (الاتحاد الفوضوي الايبيري) الذي يعتقد أن عدد أعضائه عام 1936 كان حوالي ثلاثين ألف عضو[2].

وقيادة هذين التنظيمين كانت منقسمة إل جناحين يميني ويساري، وكان يقودهمـــــا على التوالي خوسيه غارسيا Garcia وأوليفر بونافنتورا Buenaventura . وبينما كانت الأزمة الثورية تتعمق في الثلاثينات، وتبلغ ذروتها في العمليات العسكرية المكشوفة، كان هذا الانقسام يلعب دورا هاما في تحطيم الفوضوية الإسبانية، وبتحطيمها كان يتحطم القطاع الأكثر كفاحية من الطبقة العاملة الإسبانية .

وتحت غطاء امتناع الفوضوية التقليدي عن المشاركة في الانتخابات كان غارسيا أوليفر، وغالبية القيادة الفوضوية، يغذون السير باتجاه النقابية الإصلاحية ليس إلا. هذه القيادة التي لم تشأ أن تدعو العمال إلى الصرع لتشكيل حكومة ثورية تخلـــــــت أخيرا عن مبدئها الأساسي المعارض لكل شكل من أشكال الحكومـــة عندما انضمت إلى البورجوازيـــة الليبرالية في حكومة الجبهة الشعبية. كان هذا الامتحان الرئيسي للفوضوية كنظرية ثورية. إذ أن قادتها قد تخلو عنها كمرشد عمل أثناء الثورة الحقيقية لأنها عديمة النفع. وقد شبه تروتسكـــي هذه العقيدة بالبرنس المطري الملي ء بالثقوب: إنه عديـم النفـع وخصوصا عندما تمطر.

الحزب الاشتراكي الإسباني :

كـــان هذا الحزب أحد التنويعات غير العادية للاشتراكية-الديمقراطية، إذ أنه قرر رسميـــا عدم الانضمام إلى الأممية الشيوعية فقط عام 1921 وفقط بأغلبية ضئيلة. وهذا أيضا كان منقسما إلى جناحين : يميني يقوده بريتو Prieto ويساري يقوده لارغو كاباليرو. ومع أنه أصغر من الفوضويين فقد كان يهيمن على اتحاد هام هو .U.G.T (الاتحاد العام

[2] Hugh Thomas, "The Spanish Civil War"(Newyork:Haroer & Brother,1961) P 40.

للعمال) الذي كان عدد أعضائه عدة مئات من الآلاف في بـــــداية 1930. وكانت أوساطه الرئيسية بين العمال الصناعيين في مدريـــد و بلباو وبين عمال المناجم في آستورياس.

كانت قوى بريتو إصلاحيـــة على المكشـــوف وشبيهة بالأحـــــزاب الاشتراكيـــة-الديمقراطية في فرنسا وألمانيا، في حين أن تناقضات أشد كانت تعتمل في جناح كاباليرو. بالكلام، وخصوصا بعد عام 1934، كان يدعو الى تسليـح الجماهيـــر والى ديكتاتورية البروليتاريا، أما بالأفعال فكان توفيقيا وتوافق مع الليبرالية وشارك في حكومات ائتلاف التعـــاون الطبقي بين عامي 1931-1936. ومن جهة أخرى فحتى بداية 1936، عندما اندمجت شبيبته بالشبيبة الستالينية، كانت شبيبته تتطـــور سريعا باتجاه الماركسية الثورية. وما تشكى منه تروتسكي بمرارة من أولئـك المعروفين بأنهم أتباعه في اسبانيا أنهم أخفقوا في رؤية هذا التيـار الثوري داخل الشبيبة الاشتراكية ولم يجدوا طريقة من العمل المشترك للوصول إليه.

الحزب الشيوعي[3]

كان في البداية أصغر الأحزاب الرئيسية للطبقة العـــاملة، لكنه ارتقى في مجرى الحرب الأهلية إلى موقع السيطرة الفعلية على الحكومة الجمهورية. وقامت أبرز قادة الحزب دولوريس أيبـاروري («La Pasionaria») في خطاب لها في موسكو عام 1934 بتقدير أعضائه عندما تأسست الجمهورية عام 1936 بثمانمائة عضو[4]. أما هغ توماس Hugh فيقول إن عدد أعضائه كان عام 1936 عشرة آلاف[5].

كان هذا الحزب بلا جذور داخل الطبقة العاملة الإسبانية، وذا قيادة يفتقد معظمها لشخصية المستقلة، وكان بشكل رئيسي أداة لسياسة الكومنتـــرن وتعبيرا عن تعرجات ستالين في عقد الثلاثينات المفعم بالأحداث. لم يترك ستالين أبدا مسألة تطبيق قرارات الكومنترن في اسبانيا فقط لنباهة مؤيديه هناك وإنما قام بدءا من عام 1933 بإرســـال مجموعة من «الخبراء» الخصوصيين وأكثرهم مقتا كان الايطاليان فيتورو كودفيلا Vittoro Codovilla وفيتورو فيدالي Vidali وكارلوس كونتريراس Contreras والهنغاري ايرنو غيرو Erno Gero[6].

لم يدعم الحزب الشيوعـــي الإسباني الحكومة الجمهورية عام 1931 لأن الكومنتـــرن كان لا يزال في مرحلة التطرف اليساري (المرحلة الثالثة) التي دامت من 1928 إلى 1934. إذ أن كل فروعه كانت طوال هذه الفترة ضد التعاون مع الحكومات البورجوازية، أو المشاركة فيها انسجاما مع الموقف التقليدي للمـاركسية. كما أنهم رفضـوا، في ظل وصاية ستالين، العمل المشترك مع الأحزاب الأخرى للطبقة العاملة. والنتيجة الأكثر مأساوية لهذه السياسة كانت في ألمانيا حيث قام الحزب الشيوعي الألماني بشجب الاشتراكيين الديمقراطيين باعتبارهم «اشتراكيين فاشيين»، ورفض السعي لإقامة جبهة موحدة معهم لمواجهة صعود هتلر. فوصول النازيين للسلطة، ومن ثم إبادة الحزب الشيوعي الألماني، دفع الكرملييـــن بعد عام 1933 إلـــى القيام بالانعطاف بعد فوات الأوان. لكن الستالينييـــن بدل أن يعودوا إلى التكتيك اللينيني المتمثل في الجبهة الموحدة للطبقـة العاملة، انتقلوا إلى دعم الحكومات الرأسمالية «الديمقراطية» تحت شعار «الجبهة الشعبية المضادة للفاشية».

اتخذ الانعطـــاف اليميني للكومنترن شكله الرسمي في المؤتمر السابع عام 1935. وقام الحزب الشيوعي الإسباني في انتخابات شباط 1936 بتأييد ائتلاف الجمهوريين والاشتراكيين (الحزب الاشتراكي)، وطلب من مندوبيه إلى الكورتس (البرلمان) التصويت لصالح الحكومة .

وموقف الكومنترن هذا حدد موقف تروتسكي من الحزب الشيـــوعي الإسبانـــي. فقبل استيلاء هتلر على السلطة، كان منظور تروتسكي العمل على إصلاح الأحزاب الواقعة تحت تأثير ستالين، إذ أنه وأتباعه في المعارضة اليسارية الأممية كانوا يعتبرون أنفسهم مجموعة مطرودة من الكومنتـــرن وليس حزبا مستقلا تمام الاستقـــلال. لذا في الوقت الذي كانت فيه المعارضة اليسارية الأممية - والملتزمون بها في إسبانيا - تبقي على تنظيمها الخاص وصحافتها الخاصة نراها تتوجه بدعواتها وانتقاداتها إلى قواعد الأحزاب الشيوعية وهذا ما تجلى في كتابات تروتسكي الموجودة في هذا الكتاب حتى مقالة «مشكلات المعارضة اليسارية الإسبانية» المؤرخة في كانون الأول 1932. وفي وصفه للموقع السياسي للكومنترن نراه يستخدم مصطلح "الوسطية البيروقراطيـــة" الذي يعني اللاتساوق Inconsistency ويترك المجال مفتوحا أمام عودة الأحزاب الشيوعية إلى السياسة الثورية حقا

أما بعد الهزيمة في ألمانيا فيتخلى تروتسكي وأتباعه عن الأمل بإصلاح الأممية الشيوعية طالما أن الحزب الشيـوعي الألماني كان عاجزا عن القيام بأي مقاومة جدية للفاشية، فهذا، من وجهة نظر تروتسكي، دلالة على مرض عضال. لذا تخلى في هذه المرحلة عن وصف الكومنترن بالوسيطة البيروقراطية، ولم يعد يعزو سياساته إلى مجرد أخطاء إجرامية بقدر ما أصبح يعزوها إلى نوايا متعمدة ضد الثورة من جانـــب البيروقراطية الستالينية، وأنها بسعيها «للتعايش السلمـــــي» مع البلدان الامبريالية استخدمت الحركات العمالية كبيادق شطرنـــــج خدمة لمتطلباتها الدبلوماسية. وهكذا لم يعد تروتسكي يعتبر إمكانية إصلاح البيروقراطية الستالينية مسألة واقعية، لذا نراه يطرح بجرأة تشكيل أممية

---

[3]- إذا توخينا الدقة يجب أن نناقش التروتسكيين الإسبان وحزب العمال للتوحيد الماركسي .P.O.U.M قبل الحديث عن الحزب الشيوعي طالما أن هاتين القوتين بالأصل أكبر من الستالينية الإسبانية منذ 1933 وحتى سنوات الحرب الأهلية (كان الـ P.O.U.M يعد أربعين عضو). ولكن بسبب المكانة الخاصة التي تشغلها المعارضة اليسارية الإسبانية والـ P.O.U.M في جهود تروتسكي لإنشاء حزب ثوري في إسبانيا فقد أفردنا لمعالجتها فصلا خاصا.

[4] - Stangey G.Payer, "The spanish Rruolutinon " (Newuork, W.W.Norton & Company, 1970)P. 144.

[5] - Thomas,OP.cit P.99.

[6] -تورط فيدالي فيما بعد في محاولة الاعتداء على حياة تروتسكي في المكسيك في أيار 1940. أما غيرو فتصرف كوكيل لستالين في قمع الثورة الهنغارية 1956.

جديدة وأحزاب جديـــدة. ومنذئذ أصبحت هذه المسألة المهمة الرئيسيـــة المسيطرة على أفكاره بخصوص اسبانيا .

المعارضة اليسارية وحزب العمال للتوحيد الماركسي

انضوى تحت راية المعارضة اليسارية في إسبانيا عدد من قادة الطبقة العـــاملة البارزين، ومنهم أندريه نن Nin الذي كان سكرتير الاتحاد القومي للعمل C.N.T. وفيما بعد سكرتير الأممية الحمراء للنقابات العمالية التابعة للكومنترن، وخوان أندريد Juan Andrade الذي كان أحد قادة شبيبة الحزب الاشتـراكي وعنصرا فاعلا في اكتساب قسم كبير من هذه الشبيبة إلى الشيوعية. لقد جذب هذان الثوريان الموهوبان إلى البلاشفـة اللينينيين - اسم المعارضة وقتها - بعض أفضل العناصر في الحزب الشيوعي القديـــم، ولكن مع شديد الأسف لم يكن بمقدور أي من المعارضين الإسبـــان، في هذه المرحلة، أن يرتقي إلى مستوى متطلبات الثورة الوشيكة رغم أفضليتهم بالمقارنـــة مع الذين سجدوا أمام ستاليـــن.

بدأت المعارضـــة اليســـارية الإسبانية تشق طريقها التنظيمي بعد عام 1931. وبحلول نهاية 1932 أصبحت أحد أكبر فروع المعارضة اليسارية الأممية، وتابعت نموها منذئذ، لكن هذا النمو كان أحادي الجانب على حســـاب الوضوح السياســـي. وقســـم كبير من هذا الكتاب عبارة عن مقترحات ورسائل من تروتسكي تتعلق بتكتيـــك وإستراتيجية المعارضة اليسارية الإسبانية. ورغم اختلاف تروتسكي ونن في العديد من المسائل الثانوية إلا أن جوهـــــر انتقاد تروتسكي لقيادة الثاني أنها توفيقية، إذ كان ينوي أن يتكيف مع البرامج السياسية للمنظمـــات غير الثورية لتحقيـــق مكاسب تكتيكية ثانويـة. وهذا يصح بخصوص علاقاته مع الاتحاد الكاتالوني الذي يقوده جواكيـــن موريـــن Joakin Maurin وبشكل أقل مع الفوضويين. أما الأمر الثاني الناجم عن نفس الرغبة في التكيف وتجنب الصراع مع من على يساره فكان ميله الواضح إلى الامتناع عن القيام بالإجراءات التي تؤدي إلى انخراط التروتسكيين الإسبان في العمل المشترك مع العمـــال والشبيبة الاشتراكية والفوضوية لتتوفر لهم في خضمه فرصة اكتسابهم إلى جانب السياســـة الثوريـــة .

كانت شكـــوك تروتسكي كبيرة فيما يتعلق بالطرائق التنظيمية لبناء الحزب التي تتبعها القيادة الإسبانية، إذ أن مفتاح تدريب الكوادر بالنسبة له هو الأممية، لا بالمعنى البرنامجي فحسب وإنما التنظيمي أيضا. فالمعارضة اليسارية كانت لا تزال في طور تعلم كيفية العمل في ظل الظروف الصعبة وكيفية التخلص من العناصر المعارضة والغريبة وكيفية إقامة قيادة جماعية جديرة بالمسؤولية. لقد توقع تروتسكي من القادة الإسبان أن يشاركوا بفعالية في الحياة الداخلية للمعارضة اليسارية الأممية وبمناقشاتها وصراعاتها. وهذا ما أكد عليه باعتباره واجبهم ليس فقط تجاه المعارضة اليسارية الأممية، بل أيضا تجاه المعارضين الإسبان. لكن نن - ربما بسبب تجاربه التعيسة مع الكومنترن المتستلن وربما لعدم قدرته على الارتفاع فوق المظاهر السلبية للتقليد الراديكالي الإسباني - أظهر عدم اهتمام إقليمي - provincial إزاء الحياة اليومية للمعارضة اليساريـــة الأممية إلا عندما كانت مناقشاتها وقراراتها تمس إسبانيا. لقد كان مشغولا بالمشكلات الإسبانية أكثر من اللزوم حتى يعطي المعارضة اليسارية الأممية من وقته المزيد. كما أنه لم يكن مهتما بطرح سياسة القيادة الإسبانية على لجنة بعيدة لتقوم بإمعان النظر فيها ونقدها لأن هذه اللجنـــة، كما رآها، عاجزة عن فهم الأحداث الإسبانيـــة، وعن معرفة ما يجب عمله بالشكل الذي يفهمه نن وأندريد وباقي من على الساحـــة. ولهذا السبب ظل في منأى عن المشاكل الداخلية للمعارضة اليسارية الأممية، وإن انخرط فيها فبطريقة ذاتية وعلى هواه.

وأسوأ ما في الأمر، من زاوية نظر تروتسكي، فشل القيادة الإسبانيـــة بإشراك قـــواعدها في مناقشات المعارضة اليسارية الأممية. وإلا أنى لهم أن يصبحوا أعضاء ماركسيين واسعي الاطلاع وقادرين على الاعتماد على أنفسهم ؟ ! وأنى لهم أن يتعلمـوا كيفية مقاومة ضغوط الوسط السياسي عليهم ؟ !

لقد عرف تروتسكي أن قيام النظام الجمهوري في نيسان 1931 يبشر بأزمة ثورية ستدخل طورها الحاسم في غضون السنوات القليلة القادمة، لذا حدد المهمة الرئيسية للمعارضين الإسبان على أنها النفاذ إلى العمـــال الراديكاليين في الاتحاد القومي للعمل لإبعادهم من تحت تأثير مضلليهم الفوضوييـــن. واقترح أن يكون الشكل التنظيمي لإنجـاز هذه المهمة هو الجبهة الموحدة بين الأحزاب اليسارية التي يجب أن تقوم على قاعدة حرية الثوريين بانتقاد برامج المشاركين الآخرين، والأهم على قاعدة تشكيل الأجهزة المستقلة لسلطة العمال السياسية، أي الجنتات (المجالـــس) JUNTS. وارتأى أن هاتيـــن الخطوتين لا يمكن الفصل بينهما، إذ أن اتفاق الجبهة الموحدة بين قيادات الأحزاب بدون إسناده بالمجالـــــس العمالية غير الحزبية من شأنه أن يضغط باتجاه تعزيز الأجهزة البيروقراطية للأحزاب الإصلاحية.

لقد تصور تروتسكي قبل عام 1934 أن طريق العمال الفوضويين يمر عبر الحزب الشيوعي الرسمي، لذا نراه يحث نن والتروتسكيين الإسبـــان على استخدام نفوذهم لتوجيـــه أعضاء الحزب الشيوعي بهذا الاتجـــاه. أما بعد هذا التاريخ فقل بدأ التجذر المتزايـــد لعقد الثلاثينات على الصعيد الدولي يتجاوز الأحزاب الشيوعيـة ووجد منفذا جديـــدا له تجلى بانبثاق أجنحة يسارية قابلة للحياة في الاشتراكية - الديمقراطية القديمة. وهذا ما حدا بتروتسكي إلى الاقتراح على فروع المعارضة اليسارية أن تدخل مؤقتا إلى الأحزاب الاشتراكية كيما تتصل بهذا الجيش الجديد من الطلاب والعمال الثوريين الشبـــاب. وعرفت هذه السياسة باسم «الانعطاف الفرنسي» لأن أول من طبقها التروتسكيون الفرنسيون عندما دخلوا إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي عام 1934 .

لقد وقف نن وآندريـــد في وجه هذا التوجه باتجاه الحزب الشيوعي في بداية الثلاثينات، ولأسباب مشابهة رفضا «الانعطاف الفرنســـــي» إذ كانا معجبين بمنظمتهم أيما إعجاب واعتقدا أنها تكفي نفسها بنفسها وبالغا بأهمية ما كسبته عدديا وكانا في غاية الانزعاج من احتمال اختلاطهم الكبير مع جمهور الأحزاب الأخرى المعادي لهم. لذا لم يستوعبا معنى ما ينجم عن اعتبار المعارضة اليسارية لنفسها فصيـــلا

من الأممية الشيوعيـــة. لقد فضلا تجاهل الحزب الشيوعي الإسباني الضعيف وقليل العدد والبدء فـــورا ببناء حزب جديد. وقد حذرهما تروتسكـــي من مغبة الانخداع بالمظاهر لأن خلف هذا الحزب عديم الفاعلية تقف قوة الاتحاد السوفياتي الضخمة وإن تجاهله يمكن أن يؤدي إلى كارثة في المرحلة القادمة .

وكان لنـــن موقف مشابه عام 1934 من الشبيبة الاشتراكيـــة السائرة يسارا. فالإدمـــاج مع شبيبة الحزب الاشتراكي كان سيعرض استقلال المعارضة التنظيمـــي للخطر. والأدق كان سيعرض الروتين المريح للخطر. لتقييم هذه الفرصة الضائعة من الضروري أن نتذكر أن لارغو كاباليرو قام عام 1934 بمهاجمة الأممية الشيوعية علنا باعتبارها «إصلاحية» وأعلن عن تعاطفه مع فكرة بناء أممية رابعة. وقد قامت صحيفة الشبيبة الاشتراكية في مدريد Renovacion بدعوة التروتسكيين بالاسم إلى الانضمام إلى الحزب الاشتراكي لجعله بلشفيا. لكن نـــن وآندريـــد لم يقبلا الدعوة، وبهذا مهدا الطريـــق أمام الستالينيين للاندماج بشبيبة الحـــزب الاشتراكي في بداية 1936 لينال الحزب الشيوعي بذلك أول قاعدة جماهيرية له في اسبانيا .

أما علاقات نـــن بمجموعة مورين في كاتالونيا فذات مغزى أكبر. لقد كان هذا الأخيـــر، كنـــن وآندريـــد ، قائدا بارزا في الحزب الشيوعي وطرد في نهاية العشرينات بسبب معارضته للستالينية. وقد أخذ معه تقريبا كل أعضاء الفرع الكـــاتالوني من الحـــزب، الاتحاد الشيوعي الكاتالوني – الباليار ي Cataln-Balearic والذي أصبح اسمه عام 1931 «حلف العمال والفلاحين» فهذه المجموعة اختلفت مع ستالين حول الخط اليساري المتطرف للمرحلة الثالثة أكثر مما حول أمور سياسية أساسية. وكان موريـــن منحازا للجناح اليميني أكثر مما للجناح اليساري من الحزب الشيوعي السوفياتي والكومنتـــرن، إذ كان متعاطفا جدا داخل الاتحاد السوفياتي مع التيار البوخـــاريني.

بتاريخ 1931/6/12 كتب تروتسكي نقدا لاذعا «لحلف العمـــــال والفلاحين» في رسالة علنية، وقال إن الاسم ذاته يوحي بأن الحزب ليس حزبا بروليتاريا. كما أن البرنامـــج لا يذكر الشيوعية، ولا يدعو لثورة اشتراكيـــة بل ديمقراطية. فالحلف يوبخ الحكومـــة الجمهورية البورجوازية بسبب «أخطائها» دونما توضيح لقاعدتها الطبقية، كما أنه يمتنع عن انتقاد السياسة الستالينية داخـــل الاتحاد السوفياتي. وعلاوة على هذا كان مورين قانعا بالنجاح داخل منطقة نفوذه ولم يكن لديه أي منظور لتوسيع منظمته الكاتالونية لتصير حزبا ممتدا على مجمل الساحة الإسبانية.

لقد جمعت نـن ومورين روابط من الصداقة الشخصيـــة لم تنقطع. وانه لمن المرعـــب، ولو بعد كل هذه السنوات، قراءة مراسلات نـــن – تروتسكي «الموجودة هنا كملحق» ورؤية مدى أثر هذه الاعتبارات الشخصية على نهج نن السياسي. وهذه سمـــة قاتلـــة في السياسي الثوري. ونقيضا لما ألح عليه تروتسكي، قام نن بترتيب اندماج بين التروتسكيين الإسبان ومجموعة مورين الذي تم بشكل أساسي على أرضية برنامج مورين لا التروتسكيين. وهذا ما أفضى إلى تشكيل .P.O.U.M (حزب العمال للتوحيد الماركسي) في أيلول 1935.

يقوم الستالينيون وكثير من المؤرخين بتعريف حزب العمال للتوحيد الماركسي كـ«تروتسكي» إلا أن هذا الحزب لم يعتبر نفسه كذلك ولا تروتسكي أو الأممية الرابعة اعتباره كذلك. وتقييم تروتسكي النهائي له أنه يطرح نظريا حلولا ثورية للأزمة الإسبانيـــة لكنه بنفس الوقت يتردد في القيام بالأفعال الضرورية الكفيلة بوضع هذه الحلـــول موضع التنفيذ، وبهذا كان العقبة الرئيسية أمام تشكيل حزب اشتراكي ثوري جماهيري في إسبانيا.

من جمهورية 1931 إلى الجبهة الشعبية :

منذ تأسست الحكومة في نيسان 1931 سارت الأمور باضطراد باتجاه الحرب الأهليـــة الأكيدة. فجماهير العمال الصناعيين والزراعيين توقعوا حدوث تغيرات سريعـــة في أوضاعهم في ظل النظام الجديد. ولما لم تتحقق هذه التغيرات بدأت الجماهير تتجاهل نصائح الليبرالية وتتحدى الطبقة الحاكمة مباشرة. وردت الحكومة « الشعبية » بطرائـــق أي نظام رأسمالي، بعصا البوليس والرصاص. ثم اجتاحت إسبانيـــــا موجة من الإضرابات في تموز وآب . ففي سيفيل (اشبيلية) Seville لم يتم سحق الإضراب العام إلا عندما استخدم الجيش المدفعية ضد المناطق العمالية، وهذا ما خلف ثلاثين قتيلا ومائتي جريـــح. أما في كانون الثـــاني 1933 فقد قام الحـــرس المدنـــــي البغيض والأسالوتس Assalots «الجمهوري» الذي أنشى مؤخرا – البوليس الخاص الذي اختير أعضائه لولائهم للجمهوريين - بإخماد انتفاضة فوضوية في قرية كاساس فيجاس Casas Viejas في كاديز Cadiz حيث أعدمت دزينة من المساجين بدون محاكمة.

وردا على ذلك حجبت الجماهير أصواتها عن الأحزاب الجمهوريـــة وسقطت الحكومة لتحل محلها حكومة تعيسة للراديكالي السابق أليجاندرو لاروكس Alejandro Lerroux هذا الكاهن السابق المحتال الذي عاد رجعيا اتكأ أكثر فأكثر على الدعائم القديمة للمحافظية - نسبة إلى المحافظين - الإسبانية : الكنيسة والجيش والأحزاب الملكية.

كان الجو مشبعا برائحة البارود، وحتى الإصلاحيين البليديـــن أدركوا أن هذه الرائحة في القرى الإسبانية تنتظر شرارة الثورة الاجتماعيـــة. وأصبح من الدارج القـــول، حتى في الدوائر البورجوازية، إن مستقبل إسبانيا لن يتحدد داخل الكورتـــــس بل في الاشتباك المسلح بين البروليتاريا والقوى الرجعية. فابن الديكتاتـــور السابق : خوسيه أنتونيـــو بريمودي ريفيـــرا، شكل في مدريد الحزب السياسي للفاشية الإسبانيـــة فالانج إسبونالا Falange Esponala وشرع السفاحون المسلحون بالاغتيالات المنظمة لقادة النقابات وسياسي اليسار .

تحول كل الاتجاه العام للسياسة الليبرالية والراديكالية في إسبانيا نحو اليســـار - ولكن فقط في الكلام - ففي كانون الثاني 1934، وبناء

على إصرار القوى الملتفة حول كاباليرو، أنشأ الحزب الاشتراكـــي لجنة لشراء السلاح وتوزيعه على أعضائه. وفي الذكـــرى الثالثة لتأسيس الجمهورية كتبت صحيفة كاباليرو السوشلست El Socialiste :

هل نريد 14 نيسان جديد ؟ نفضل أن نحقق شيئا آخر ألا وهو أكتوبـــر الإسبـــــاني. وإليكم الفرق : نيسان هو الأمل المحبط والوهم الضائع أما أكتوبر فهو الشوق الراسخ والحل الأكيد . . . نيسان مواطنون بأوراق اقترع أما أكتوبر فعمال بالبنـــادق[7].

لقد أمكن لكاباليرو أن يتحدث في مواجهة لاروكس، لكن امتحان هذه الأقوال سيأتـــــي فـي أيلول 1936عندما سينضم كاباليرو إلى نظام نيسان الجديد . الذي كان آزانا رئيس وزرائه، ليسهم بتعليق مشنقة أكتوبـــر الإسباني. أما الآن، عـــام 1934، فيكـمـــن حتى لسياسيي الجناح اليساري من البورجوازية الجمهورية أن يقوموا بشحطات من هذه الثورة اللفظية. لقد صرح آزانا بنفسه، وهو في المعارضة، أنه في الوقت الـــــــذي يفضل فيه الطريق الانتخابي فإنه « يمكن أن يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه إلا حمل البنادق »[8]

في أكتوبر 1934 استقدم لاروكـــس للمرة الأولى إلى حكومته ممثلي الـ .C.E.D.A الحزب الكاثوليكي المغرق في يمينيته، حزب جيل روبلز Gil Robles وسرعان ما قارنت أحزاب الطبقة العاملة هذه الخطوة بتعيين هندنبـرغ مستشارا في ألمانيا قبل سنة، ورأت فيها محاولة لفرض حكومة فاشية على إسبانيـــا. وكانت ردة الفعل سريعـــة إذ باشر الاشتراكيون والفوضويون إضرابا عاما حيث استولى عمال المناجـــم في أوستریاس على اوفيدو ليعلنوا قيام الكومونة. فاستدعت الحكومة الجنرال فرانكو ومرتزقة الجيش الأفريقي وفيالق المغرب الإسباني لاجتياح المدينة، وسقطت أوفيـدو في 12 أكتوبر وانتقمت القوات المنتصرة من العمال شر انتقام لأن شجاعتهـــم وصلت بهم إلى تحدي النظام القائم. وقد أسفرت نتائج المعـــارك والانتقـــــام عن خمسة آلاف قتيـــل وغصت السجون بأكثر من ثلاثين ألف معتقل سياسي. وستكون سياسة الإعدامات الجماعيـــة نقطة مركزية في إستراتيجية الإرهاب الفاشي داخل المدن التي ستسقط بيد فرانكو في الحرب الأهلية .

لقد تبين أن الثمن الذي دفعته الرجعية مقابل انتصارها في أوستريـــــاس كان باهظا. فالعمال انهزموا ولكن لم يرتعبوا. وتعمقت الكراهية للنظام ودخلت الأحـــــزاب في أزمـة مزقت التحالف المحافظ الذي كانت تستند إليه الحكومـــة. وفي شباط 1936 جرت انتخابات جديدة. أعادت آزانا إلى السلطة على رأس ائتلاف الجبهة الشعبية المؤلـــف من اليسار الجمهوري البورجوازي والحزبين الاشتراكي والشيوعي. في حين أن الفوضويين، وبخطوتهم المشؤومة الأولى نحو التحالف مع البورجوازية الليبراليـــة، تنكروا لمبدئهم في الامتناع عن الانتخابات وأهابوا بمؤيديهم التصويت للجبهة الشعبيـــة. وحتى حزب العمال للتوحيد الماركسي، الذي سبق وأدان مفهوم الجبهة الشعبية في صحافتـــه مرات كثيرة، قام بتأييد «انتقادي» لقائمة الجبهة الشعبية ووقع بيانها الانتخابي المؤيد للرأسمالية. ثم قام نـن وآندريـــــد بتبرير هذا السلوك بذرائع يسارية، وقالوا إنهم لا يثقـــون أبدا بآزانا وجماعته لكنهم يسعون فقط إلى هزيمة اليمينيين وضمان إطلاق سراح السجناء السيـــاسيين.

لكن تروتسكي رد قائلا إن خطوة كهذه، وبغض النظر عن مبرراتها، لا يمكـــــن أن تكون إلا وضع الطبقة العاملة الإسبانية تحت قيادة عدوها التاريخي، البورجوازيـــة، والتزامها بما يفرضه عليها من انضباط وكتب قائلا : « إن تصرف أندريد ليس إلا خيانة **للبروليتاريا من أجل التحالف مع البورجوازية**» (التشديد في النص الأصلي) كما رفـــض بشكل خاص فكرة نن وأندريد القائلة إن الصراع «المضاد للامبريالية» الذي تخوضه إسبانيا المتخلفة من أجل حق تقرير المصير القومي عبارة عن ظرف «خاص». لقـــد ادعوا أن ظرفا خاصا كهذا يسمح لهم بتشكيل تحالف سياسي على برنامج مشترك مـــع أحزاب البورجوازية «اليسارية» وفي مقالته «خيانة حزب العمال للتوحيل الماركسي» التي كتبها في كانون الثاني 1936 يهاجم تروتسكي بلا رحمة فكرة عزم أي قطاع من البورجوازية الإسبانية، ليبرالية أو غيرها، على حل مشاكل اسبانيا المتخلفة :

[7] - EL Socialista; April:129,1934.Cited by Richard A.H.Robinson in " The Origion of Franco's Spain"(Pittsburg:University of Pittsburg Press, 1970)P. 182 .

[8] في مقابلة مع لورنس فيرنسورث في صيف 1934.

Fernsworth,"Spain's Strugle for Freee-dom" (Poston:Beacon Press 1957)P.PI 156-61.

«إن تحالف قادة الطبقة العاملة الإسبانية مع البورجوازية اليسارية لا شيء «قومـــي» فيه لأنه لا يختلف بتاتا عن الجبهة الشعبية في فرنسا أوتشيكوسلوفاكيا أوالبرازيل أو الصين » .

ومن سوء حظ البروليتاريا الإسبانية أن صحة هذا الحكم تأكدت في مجرى الحرب الأهلية. لقد سعى آزانا، كرئيس للجمهورية، إلى مسايرة الرجعية وإلى أن يظهر للجيـــــش وللفالانج Phalange أن بإمكان حكومته تأمين الاستقرار وتفادي الثورة البروليتارية. وكما فعل الليندي بعد ثلاثة عقود ونصف، قام آزانا بمغازلة قيادات الجيـــــش واستخدام السلطة الحكومية لمنع تسليح الجماهير لتدافع عن نفسها ضد اليمين. لقد رفض آزانا تطهير فيلق ضباط الجيش الذي كاد يقف كمجموعة متعاضـــــدة وعلى أهبة الاستعداد، لضرب الجمهورية والطبقة العاملة من خلالها .

إذ تقييم تروتسكي لآزانا ككيرنسكي أصبح رأيا مشتركا بين جميع الجنرالات والأحزاب اليمينية. فالاستقطاب الطبقي قطع شوطا بعيدا ولم يعد ممكنا تسويته داخل صفاء جو البرلمان، بل سيسوى في الأحياء العمالية في برشلونة وفي سهول آراغـــون. والكلمـــــــة الفصل في مسألة من سيحكم إسبانيا لن تتفوه بها الخطابة البرلمانية وإنما فوهات البنادق. ومع شديد الأسف فإذ اليمين قد أدرك هذا أفضل من اليسار بكثير .

الحرب الأهلية

بدأت الانتفاضة الفاشيـــة في 1936/7/17 وفي الأيام الثلاثة التاليـــة أعلنت تقريبـا كل الحاميات العسكرية الخمسين تأييدها للفاشية. كما انضم إل التمرد الفاشي الغالبيـــة العظمى من الطبقة الحاكمة القديمة بما فيها الرأسماليون الصناعيون.

كان رد الفعل الغريزي لأزانا هو المساومة. لكن الشكل الوحيد لمواجهة الهجوم الفاشي كان يقوم في تسليح التنظيمات العمالية، إلا أن كاساريز كيروغا Casares Quiroga رئيس وزراء آزانا، أعلن بدلا من ذلك أن كل من يعطي السلاح للعمـــــــال سيعدم. وهذا ما ضمن انتصار الفاشيين في عشرات المدن وأدى إلى موت عشرات الآلاف من العمال. يكتب المؤرخ الليبرالي هف توماس Hugh Thomas قائلا :

قام الحكام المدنيون في كل مكان من المدن الكبرى في 18 تموز بالاقتداء بحكومة مدريد ورفضوا كليا التعاون مع التنظيمات العمالية التي كانت تصرخ مطالبة بالسلاح . وهـذا ما أدى في معظم الحالات إلى نجاح الانتفاضة الفاشية وإعدام الحكام المدنيين أنفسهـــم جنبا إلى جنب مع قادة الطبقة العاملة المحليين . . . ولكن لو وزعت حكومة كاساريز كيروغا الليبرالية السلاح وطلبت إلى الحكام المدنيين أن يحذوا حذوها، أي لو استخدمت الطبقة العاملة للدفاع عن الجمهورية مباشرة، لأمكن سحق الانتفاضة[9].

في الثامن عشر من تموز استقال كاساريز كيروغا وعين آزانا، الذي كان ما يزال بأمل بالتفاهم مع الفاشيين، المحافظ Conservative مارتينيز باريو Martinez Bario لتشكيل حكومة معتدلة كيما يظهر احترام النظام الجمهوري لفرانكو، وخرج مائة ألف عامل إلى شوارع مدريد يصرخون «خيانة» ويطالبون بالسلاح. وتشكلت حكومـــة جديـــــدة في التاسع عشر من تموز ووزعت السلاح على الجماهير على مضض. وهذا ما محدد بداية مرحلة جديدة وحاسمة من الثورة الإسبانية.

أخذت السلطة الفعلية تنتقل في كافة أرجاء إسبانيا الجمهورية إلى أيدي المنظمات العمالية. وعندما رفضت الحكومة الإقليمية للرئيس لويس كومبانيس L. Campanys في كاتالونيا تسليح الجماهير قام الاتحاد القومي للعمل وحزب العمال للتوحيد الماركسي بأخذ السلاح عنوة. وقد حدثت بعض أشرس المعارك في هذه المرحلة في برشلونة. قام الاشتراكـي الإنجليزي جورج أورويل Orwel الذي وصل إلى كاتالونيا في كانون الأول وخدم في ميليشيا حزب العمال للتوحيد الماركسي بتقديم الوصف التالي :

على الأرجح أن هذا الجهد لا يمكن أن يبذله إلا شعب كان يقاتل بعزيمة ثوريـــة، أي شعب يؤمن أنه يقاتل من أجل وضع أفضل مما هو قائـــم. يبدو أن عدد الذيـــن سقطـــوا في الشوارع في يوم واحد في مجمل المناطق التي اندلعت فيها الثورة ثلاثة آلاف. لقد اندفع الرجال والنساء المسلحون فقط بأصابع الديناميت عبر الساحات العامـــة ونسفـــوا الأبنية الحجرية التي كان يحتلها الجنود المدربون المسلحون بالرشاشات. كما تم تدمير مرابض الرشاشات التي أقامها الفاشيون في المواقع الإستراتيجية باقتحامها بسيـــارات تبلغ سرعتها ستين ميلا في الساعة[10].

وشكلت أحزاب الطبقة العاملة والنقابات في كاتالونيا ميليشيات عمالية سحقت الفاشيين على جبهة واسعة في أراغون. وكان أهم هذه الميلشيات الفصيل الفوضـــــوي الذي يقوده دوروتي Durruti.

والمهمة العاجلة التي كانت تواجه اسبانيا الجمهورية Loyalist هي إنشاء قوة عسكرية وتنظيم الإنتاج من أجل الدفاع. ورغم النظرية الستالينية القائلة بأن فرانكـــــو يمثل «الإقطاعية» - طرحت هذه النظرية فقط لتبرير التحالف مع البورجوازية الجمهوريـــة - فإن أصحاب المصانع في أغلب المناطق هاجروا إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة الفاشية. وقد قام العمال عفويا بالاستيـــلاء على المصانع وتشغيلها تحت

[9] Thomas,OP.cit.P.135.

[10] - George Orwel,"Homage To Catalonia"(Poston:Beacon Press,1952) PP.49- 50

إشرافهـــم، كما نظموا دوريات لتحل محل البوليس واستــولى الفلاحـــون على الأرض. ما كان يجري هو ثورة اجتماعية على نطاق واسع. ويصف جورج أورويل برشلونة كما رآها لدى وصوله في كانون الأول 1936 :

هذه هي المرة الأولى التي أتواجد فيها بمدينة تسيطر عليها الطبقة العاملة. لقد استــولى العمال عمليا على كل المباني الكبيرة والصغيرة وزينوها بالرايات الحمراء أو براية الفوضويين الحمراء والسوداء. وعلى كل الجدران رسمت على عجل صورة المطرقة والمنجل وكتبت الأحرف الأولى من أسماء الأحزاب الثورية. . . وعلى كل متجر أو مقهى كتبت عبارة تقول أنه ملكية عامـــة. . . لم تكن ثمة سيارات خاصة، فكلها صـــــــودرت للأغراض العسكرية. وكل الترامات وسيارات الأجرة والكثير من وسائط النقل طليت بالأحمر والأسود. وكانت الملصقات الثورية تعم أرجاء المكان فتبدو كأنها ألسنـــة من اللهب المتصاعد من الجدران الحمراء القانية والزرقاء الصافية بحيث تظهر الكتابات التي بداخلها وكأنها لوحات غضارية[11].

في 21 تموز قامت أحزاب الطبقة العاملة ونقاباتها في كاتالونيا بتنظيم اللجنة المركزية للميليشيا المضادة للفاشية التي أصبحت فورا القوة الحقيقيــة الوحيدة على الساحـــــة.

[11] - Ibid, PP. 4-5.

قامت في إسبانيا الجمهورية حكومتان تتنافسان على السلطة باسم الطبقات المتناقضة - وهذه الظاهرة اتخذت في روسيا اسم «ازدواجية السلطة» - بحيث اصطفت لجان المصانع المشكلة عفويا ووحدات الميليشيا والمجالس الفلاحية المدعومة من الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي في جانب، واصطفت في الجانب الآخر الحكومة الجمهورية الرسمية برئاسة آزانا والمؤلفة من حفنة من السياسيين الرأسماليين الليبراليين المقطوعين عن قاعدتهم الاجتماعية والمفتقدين لأي أنصار بين الشعب في الجمهورية. وهؤلاء الأخيرون سماهم تروتسكي «خيال البورجوازية» لأن الطبقة التي كانت تستند إليها سلطتهم انحازت إلى جانب فرانكو ولم يبق منها إلا تماثيلها المعتمدين في وجودهم السياسي ذاته على دعم الحزبين الشيوعي والاشتراكي اللذين أصبحا الدعامة الأساسية للنظام .

ولكن هذا لا يعني أن آزانا ووزراءه كانوا مستعدين لتبني برنامج الثورة الاشتراكية حفاظا على مناصبهم، بل كانوا ضد كل الإجراءات الاجتماعية الثورية التي قام بها عفويا عمال الزراعة والصناعة بعدما تحركوا. إذ كانوا يرون من الضروري تقليص الإصلاحات الاجتماعية إلى أبعد الحدود كيلا ينفر رجال الأعمال الليبراليين أو الحكومات الديمقراطية في فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة التي كانوا يأملون دعمها .

والحقيقة هي أن رجال الأعمال الليبراليين كانوا يقاتلون إلى جانب فرانكو، أما المهمة العسيرة المتمثلة في امتناع الديمقراطيات الغربية بالتغاضي عن مصالحها الطبقية والتخلي عن فرانكو فتبين أنها أيضا من قبيل الوهم. لأن هذه البلدان، وبذريعة الحياد، رفضت حتى بيع السلاح لحكومة إسبانيا الشرعية. وبنفس الوقت تجاهلت الدعم العسكري الكبير الذي كان يقدمه لفرانكو هتلر وموسوليني. والمضحك في الأمر أن من فبرك مبدأ «عدم التدخل» هو رئيس وزراء فرنسا الاشتراكي - الديموقراطي ليون بلوم، الذي كان يرأس حكومة الجبهة الشعبية التي وصلت إلى السلطة بأصوات الحزب الشيوعي .

كان ميزان القوى في إسبانيا الجمهورية يميل بشكل حاد لصالح منظمات السلطة البروليتارية. وقد أسهم في حفاظ آزانا على السلطة عاملان : الأول تذبذب وتردد قيادة الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي، إذ بدل أن يقوموا بتوحيد مجالس العمال في كل إسبانيا ويقيموا حكومة عمالية راحوا ينتظرون حتى استعاد الليبراليون زمام المبادرة لينضموا بعدها إلى حكومة الجبهة الشعبية في أيلول 1936 وليوافقوا من ثم على مضض على التدمير القسري لكل منجزات الثورة. والثاني سياسة الكومنترن. فعلى الصعيد العسكري، وبالعبارات التقليدية، كان الفاشيون يمتازون على الجمهورية بكل المزايا : تحت أمرتهم جيش مدرب وتفوق في القوى الجوية ودعم غير محدود بالسلاح والعتاد والرجال من حلفائهم الألمان والإيطاليين. لكن الدفاع الممكن الوحيد -كما أظهرت كل ثورة عمالية ناجحة- في مواجهة هكذا حلقة متكاملة يكمن في التعبئة الجماهيرية للعمال والفلاحين. وهذا تحديدا ما رفضه الحزب الشيوعي بإصراره على الحفاظ على علاقات الملكية البورجوازية وعلى الجيش النظامي. لقد كان شغل ستالين الشاغل تأمين تحالف عسكري مع الامبرياليات الديمقراطية ضد ألمانيا النازية، وكان هدفه في إسبانيا أن يثبت لحلفائه المحتملين أنه ليس معنيا بتشجيع انتشار الثورة وأنه يرغب بممارسة نفوذه لاحتواء الحركة العمالية في إطار الديمقراطية البورجوازية (وهذا أيضا تبين أنه وهم. إذ رغم رغبة ستالين بالتصرف كجلاد للثورة الإسبانية فإن هذا لم يؤثر بالامبرياليين «الديمقراطيين » ورفضوا التعاون الذي كان ينشده. وأخيرا التفت ستالين إلى هتلر، كما أن مناورات الكرملين الهادفة إلى الإبقاء على معاهدة ستالين-هتلر لعبت دورا لا بأس به في تخلي موسكو النهائي عن الجمهورية).

من الخطأ الفادح، بالطبع، أن نعزو نفس الأهمية إلى هذين العاملين اللذين تسببا بتحطيم الحركة العمالية على يد النظام وبالتالي تمهيد الطريق لانتصار الفاشية. فتردد وإذعان الأشخاص الذين يتصورون أنفسهم ثوريين أمر مدان، لكنه لا يدخل في نفس باب السياسة المضادة للثورة عمدا التي سار عليها الحزب الشيوعي. إذ أن ستالين وممثليه لم يخفوا برنامجهم الاجتماعي ، وهاهو جيسيس فرناندز Jesus Fernandez أحد قيادي الحزب الشيوعي ومحرر صحيفة إيلموندو أوبريرو Elmundo Obrero يقول :

من الخطأ الكامل الاعتقاد أن الحركة العمالية الحالية تهدف إلى إقامة ديكتاتورية البروليتاريا بعد الحرب. ولا يمكن أن يقال إن وراء مشاركتنا في الحرب أي دافع اجتماعي. إننا، نحن الشيوعيين، أول من ينكر هكذا افتراض. إن ما يدفعنا حصرا هو رغبتنا في الدفاع عن الجمهورية الديمقراطية[12].

وبعد سبعة أشهر تنكر ستاليني آخر للجان المصانع صراحة واتخذ موقفا صريحا ضد احتلال المصانع. إنه خوسيه دياز Diaz الذي أعلن في خطابه أمام الجلسة الكاملة للجنة المركزية للحزب الشيوعي المنعقدة بتاريخ 5 / 3 / 1937 :

إذا كانت كل محاولات «التشريك» و«التجميع» غير الناضجة التي قامت في البداية -وهي نتاج فهم غير واضح لطبيعة الصرع الحالي- يمكن تبريرها بكون كبار ملاك الأراضي والصناعيين قد هاجروا أراضيهم ومصانعهم وأنه كان من الضروري مواصلة الإنتاج مهما يكن الثمن، فهذه الأعمال لا يمكن تبريرها الآن إطلاقا. في الوقت الراهن، حيث توجد حكومة الجبهة الشعبية الممثلة لكل القوى المناضلة ضد الفاشية فهذه الأعمال ليس فقط غير مرغوب بها بل هي محظورة حظرا تاما[13].

وستالين نفسه أسدى إلى الحكومة الجمهورية نفس النصيحة حيث قال في رسالة بعث بها إلى لارغو كاباليرو في 21 / 6 / 1936 إن عليه

---

[12] - Elmundo Obrero, Auguste ; 1936. Cited by Felix Morrow in "Revolution And Conter-Revolution In Spain" (Newyork: Pioneer publishers, 1938) P 34.

[13] - Communist International, May, 1937:

أن « يجذب البورجوازية الوسطـــــى والدنيا عبر حمايتها من مصادرة أملاكها» وأن يعد الأحزاب الجمهورية بإبقاء آزانا رئيسا وأن يحترم «حقوق» الملكية والمصالح «المشروعة» للأجانب «مواطني الأمم التي لا تدعم المتمردين» أي فرنسا وبريطانيا[14].

بينما كان الفوضويون وحزب العمال للتوحيد الماركسي يتذبذبون بدأت الحكومة في مدريد تمارس مسؤولياتها. ففي الأسابيع الأولى أعيد العمل بفرض الرقـابة على الصحـــافة العمالية وبدأ العمل لمشروع حل الميليشيا ودمجها في « الجيش الشعبي» المشكل حديثا بدعوى مركزة الأعمال الحربية. وكان هذا تلفيقا ما بعده تلفيق. إذ أن الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي كانوا أيضا مع مركزة العمليات العسكرية ولكن المشكلة هي من **سيكون المسؤول عن القوات العسكرية**. لقد كانت خطوة كاباليرو ترمي إلى منع الطبقة العاملة من التأثير السياسي على القوات المسلحـــــة. ونقطة الانعطـــاف الأخيرة في مسار ازدواجية السلطة تمثلت بدخول الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركسي إلى الحكومة الإقليمية في كاتالونيا ، الجنراليتات Generalitat في أيلول 1936. الأمر الذي أدى أخيرا إلى قيام تروتسكي بقطع كل ما تبقى له من صلات مع حزب العمال للتوحيد الماركسي والى تخليه عن فكرة إمكانية قيام هذا الحزب بدور ثـوري تحـــت ضغط الأحداث. وفي التاسع من أوكتوبر قامت الجنراليتات بحل اللجنة المركزية للميليشيا المضادة للفاشية، وبالتالي طرد حزب العمال للتوحيد الماركسي من الحكومة .

وبينما كانت قوة لجان العمال تتضاءل كانت الحكومة الجمهورية تنحو نحو اليمين أكثر فأكثر. وهذا ما تجلى بموقفها من المستعمرات الإسبانية. فمراكش كانت القاعدة الرئيسية لعمليات فرانكو، ولم تستطع إسبانيا إخضاعها لسيطرتها إلا بعد عدة سنـــوات من حرب الصحـــراء المريرة. وكان يمكن للجمهورية أن تعلن استقـــلال هذا الشعب المستعمر المضطهد حتى من زاوية نظر الديمقراطية البورجوازية. وكانت إستراتيجية القتـال ضد فرانكو تتطلب القيام بذلك لكسب الشعب المغربي كحليف ضد الفاشية. لكـــن ستالين وآزانا كانا يخشيان تخويف حكومتي بريطانيا وفرنسا ذوات الإمبراطوريات الاستعمارية الواسعة في إفريقيا. وهكذا دافعت الجمهورية عن مطالبة الإمبراطورية الأسبانية بحكم المغرب .

لقد ناشد عبد الكريـــم الخطابي – أبرز قائد عسكري للشعب المغربي في حربه مع الإسبان – لارغو كاباليرو أن يستخدم نفوذه للسماح له بالعودة من منفاه إلى المغرب وتعهد بالقيام بانتفاضة مسلحة ضد فرانكو هناك. لكن كاباليرو الذي كان يلقبه الستالينيون «لينيـــن إسبانيا» رفض ذلك.

أحداث أيار في برشلونة وقمع حزب العمال للتوحيد الماركسي:

كانت برشلونة دوما أكبر مشكلة للحزب الشيوعي لأن نفوذه فيها كان دوما بالحـــدود الدنيا. ولكن ما إن وصلت الأسلحة الروسية والمتطوعين الأجانب حتى جمع بيـــن يديه قوة كبيرة تمنى أن يسحق بها الأحزاب المنافسة له داخل الطبقة العاملة.

بدأ الستالينيون هجومهم على ميليشيا الفوضويين وحزب العمال للتوحيد الماركســي بتكتيك هادىء، إذ استغلوا سيطرتهم على تدفق الأسلحة الروسيـــة ليحجبوها عن قطاعـــات الجبهة التي تدافع عنها الأحزاب التي لا تتفق معهم سياسيا. وهذا ما أدى إلى تسليم المزيد من الأراضي للفاشيين وإلى ذبح الآلاف من ثوريي الطبقة العاملة، وخصوصـا على جبهة أراغون. وقد قام بتوثيق هذه السياسة الأنانية مراقبون كثر ومنهم جيرالد بيرنان الذي يعتر كتابه «المتاهة الاسبانية» Spanish Labyrinth أحد أشهر الكتب اليسارية عن إسبانيا في هذه المرحلة وفيه يقول :

كان كسب الحرب بالنسبة [للشيوعيين]، يعني كسبها للحزب الشيوعي وكانوا دومـــــا مستعدين للتضحية بالمكاسب العسكرية لمنع حزب منافس. يقاتل إلى جانبهم. من تعزيز مواقعه[15].

وجورج أورويل الذي كان يقاتل على جبهة أراغون وجرح جرحا بليغا وصف النقص الكبير بالسلاح قائلا :

كان رجال المدفعية أسوأ تسليحا من فيلق تدريب الضباط في مدرسة عامة إنجليزيـــة، إذ كانوا مسلحين ببنادق ماوزر مهترئة يعلق مغلاقها عموما عمرها بعد إطـلاق رصاصات خمس. وكان ثمة رشاش لكل خمس تقريبا ومسدس لكل ثلاثيـــن. وهذه الأسلحة الضرورية جدا لحرب الخنادق لم تكن مرخصة من الحكومة ولا يمكن شراؤها إلا بشكل غير قانوني وبصعوبة كبيرة .

من الواضح أن الحكومة التي تسلح أولادا عمرهم خمسة عشر عاما ببنادق عمرها أربعيـــن عاما وترسلهم إلى الجبهة، وبنفس الوقت تبقي رجالها وأحدث أسلحتها في المؤخرة، من الواضح أنها تخاف الثورة أكثر مما تخاف الفاشية[16]. في أيار 1937 شعر الحزب الشيوعـــي وخبراؤه الروس أن قوتهم تكفي للتحرك ضد ميسرة القـوات الجمهورية. وكانت قيادة الفوضويين قد انضمت إلى الحكومة المركزية في تشرين الثاني 1936، وهذا يعني تخليهم عن النضال من أجل حكومة عمالية. أما حزب العمال للتوحيد الماركسي الذي ظل خارج الحكومة فاقتصر دوره على نصح الجبهة الشعبية والفوضويين بالدعوة إلى مؤتمر للمنظمات العمالية في عموم إسبانيا، وهذا بالطبع ما لم تكن عند الحكومة أية نوايا

---

[14] نيويورك تايمز 1939/6/4 ص 43. نشرت التايمز نص الرسالة الكاملة مترجما عن الفرنسية مع صور فوتوستاتية للصفحتين الأولى والأخيرة من الرسالة الأصلية البالغة أربع صفحات، كما نشرت معها مقابلة مع لويس أركستان Arquistan الصديق الحميم للارغو كاباليرو وسفيره في فرنسا تشهد بصحة الرسالة

[15] - Bernan, op, cit. p. 326.

[16] - Controversy, August. 1937.

بشأنه. في هذه الأثناء كانت الجماهير المؤيدة لكل من حزب العال للتوحيد الماركسي والفوضويين تتململ وهي ترى «حلفاءها» في الجبهة الشعبية يسلبونها مكاسب ثورة تموز.

قرر الحزب الشيوعي القيام باستفزاز عندما طلب إلى عملائه في بوليس برشلونة الاستيلاء على مبنى السنترال الذي كان يديره الفوضويون منذ تموز 1936 حين استولوا عليه من الفاشيين مقابل العديد من الضحايا. ولما رفض عمال الهاتف الفوضويـــــون تسليم المبنى اندلع قتال عنيف بين العمال والأسالوتس Asalots ، وانتصبت المتاريس في كل الشوارع تماما مثلما انتصبت في «ثورة 19 تموز». واندفع آلاف العمال إلى الشوارع ليدافعوا عن منظماتهم ضد هجوم البوليس الذي لا مبرر له. وعادت مسألة السلطة لتتطرح ثانية بفعل هذا الحادث.

كان أيار 1937 في برشلونة الفرصة الأخيرة التي سنحت للعمال لإقامة حكومة عمالية واستعادة ما سبق وخسروه لصالح التحالف الرأسمالي-الستاليني. وبدلا من استغـــلال هذه الفرصة قام قادة حزب العمال للتوحيد الماركسي بقبول الهدنة مع الجبهة الشعبية ودعوا العمال إلى العودة إلى بيوتهم بناء على تعهدها بعدم القيام بأعمال انتقامية.

وبعد انتهاء القتال أرسلت وحدات عسكرية لاحتلال المدينة من فالنيسيـــا Valencia التي أصبحت مقر الحكومة في تشرين الثاني 1936. وكل من كان ُيرى من الفوضويين أو أعضاء حزب العمال للتوحيد الماركسي أو الميليشيا كان يقتل فورا. وكذا الحال بالنسبة للبلاشفـــة اللينينيين، أولئك الأوفياء لبرنامج تروتسكي والذين ظلوا يحاولـون وضعه موضع التنفيذ رغم العقبات الهائلة.

قدم الحزب الشيوعي للحكومة المركزية مشروع قانون يطلب فيه حظر حزب العمـال للتوحيد الماركسي، وتمت المصادقـــة عليه أخيرا في 15 - 1937/7/16. واستحـث الستالينيون هذا القمع لليسار بحملة افتراء خسيسة تتهم قادة الحزب المذكور بكونهم عملاء مأجورين لفرانكو. وهذا ما التقطته الصحافة الستالينية لتطبل به وتزمـــر في كـــل أرجاء العالم. نشرت صحيفة الحزب الشيوعي الأمريكي الديلي ويركر في عددهـــا الصادر بتاريخ 1937/6/21 مانشيتا ناريا يقول »التروتسكيون الإسبان يتآمرون مع فرانكو» .

وحتى لارغو كاباليرو احتج على حرب الحزب الشيوعي العصبويـــــة. إذ قالت صحيفة مؤيديه ادیلانته Adelate في افتتاحيتها بتاريخ 5/11 : « إذا كانت حكومة كاباليرو ستطبق إجراءات القمع التي يحث عليها الفرع الإسبانـــــي من الكومنتـــرن فإنها. . . ستدمر وحدة الطبقة العاملـــــة، وتعرضها لخطر خسارة الحرب، وتحطيم الثـــورة»[17].

ولكن بحلول هذه المرحلة كانت قبضة الستالينيين أقوى من أن تتخلخل من الداخـــل. وأبعد كاباليرو أخيرا عن السلطة ليحل محله من هو أكثر طواعية، خوان نغريـــن Joan Nerin وفي حزيران بدأ الحزب الشيوعي هجومه النهائي على حزب العمال للتوحيد الماركسي. ويقدم هف توماس عن القمع صورة حية :

في برشلونة . . . وبناء على أوامر الجنرال القنصل العام الروسي Russian Consul General انطونوف اوفسينكوه Antonov Ovseenko أغلق مقر حزب العمال للتوحيد الماركسي في فندق فالكون Falcon ليتحول فورا إلى سجن لا بأس به. واعتبر الحزب المذكور حزبا محظورا واعتقل أربعون عضوا من لجنته المركزية. واقتيد أندريه نن وحده، أما زملاؤه فوجدوا أنفسهم في أحد أقبية سجون مدريد. وتخفى كل أعضاء الحزب العمالي وأصدقائه خوفا من الاعتقال لأن عادة الستالينيين بإلقاء كل ما ينسبون للقيادة من جرائم على الأتباع ايضا باتت معروفة جيدا. وكالت لهم الصحف الشيوعية الاتهامات يوميا بطريقة هستيرية ولكن بدون أن تتطرق للمحاكمة. . . وسرت شائعة ان آندريه نـــن قد قتل في السجن. . . ولكن في الحقيقة أنه كان في سجن أورلوف Orlov في المدينة الخربة لكاتدرائية الكالا دي هنيارس Alcala de Henars حيث كان تحت الأرض يقاســـــي من التحقيق السوفييتي المألوف مع من يُشك به كمنحرف[18].

ولما اقتنع المحققون السوفييت أنهم لن يستطيعوا الاستفادة من نـــن في تشويه صورة حزب العمال للتوحيد الماركسي في محاكمة استعراضية قرروا التخلص منه. ويصف هف توماس الاستغلال المخجل للألوية الأممية في تنفيذ العملية :

وأخيرا اقترح فيتوريو فيدالي Vittorio Vidali كارلوس كونتربراس Conteras ضرورة تمثيل هجوم «نازي» لتحرير نن. وهكذا جاء عشرة أعضاء من اللواء الأممي في إحدى الليالي المظلمة وهاجوا المنزل الذي كان يعتقل فيه نن في ألكالا. وأثناء «الهجوم» تحدثوا بالألمانية قصدا وخلفوا وراءهم بعض بطاقات القطار الألمانية، واقتادوا نن في عربة مغلقة وقتلوه[19].

نهاية الجمهورية:

بدأ مصير الجمهورية يتراجع بثبات بدءا من هذه المرحلة. ومع أن حرب الاستنزاف دامت واحدا وعشرين شهرا لكن الثورة سبق لها أن ماتت، وبومتها تلاشى كل أمل بإيقاف زحف فرانكو .

---

[17] - Cited by Morrow op. cit. p. 115.

[18] - Thomas op. cit. p. 454-54.

[19] . Ibid. PP. 454-55.

إن سجل انتهاء الحرب لتاريخ مرير من الإحباط والهزيمة والخيانة التي قام بها الضباط « الجمهوريين» إنقاذا لجلدهم. فالفاشيون اندفعوا إلى الساحل في فيناروز Vinaroz في نيسان 1938، وبذلك قسموا اسبانيا قسمين. وستالين الذي كان يسعى للتحالف مع هتلر -وهذا ما تحقق في السنة التالية عبر معاهدة عدم الاعتداء الألمانية- السوفييتية- أصبح الآن حريصا على تخليص نفسه من اسبانيا ليتجنب حرج المواجهة مع الوحدات الألمانية في الصراع الإسباني. وتسلسل أحداث ما جرى لاحقا واضح بما فيه الكفاية لكل من يريد القراءة : في 22 أيلول خاضت الألوية الأممية آخر معاركها في حملة إبرو Ebro ، وفي التاسع والعشرين من نفس الشهر وقع شامبرلين ودالادير معاهدة ميونخ مع هتلر لسد الطريق على إمكانية تحالف مع الاتحاد السوفييتي ضد ألمانيا، هذا التحالف الذي ضحى ستالين بالثورة الإسبانية على مذبحه. وفي الخامس عشر من تشرين الثاني كانت الألوية الأممية تغادر اسبانيا، وبذلك حررت ستالين في مفاوضاته مع برلين.

ليست مأساة البروليتاويا الإسبانية فقط في أنها انهزمت في صراع مكشوف مع عدوها اللدود، الفاشية، بل أيضا في خيانة من ادعوا أنهم قادتها. فعندما استولى الفاشيون على برشلونة في 1939/2/26 لم تصدر عنها أية رصاصة. لقد هرب مئات آلاف اللاجئين عبر الحدود إلى فرنسا ومنها إلى المنفى. وفي آذار 1936 استسلمت مدريد وفالينسيا. السياسيون الليبراليون ومسؤولو الحزب الشيوعي جهزوا أمور سفرهم قبل وقت طويل، أما الطبقة العاملة الاسبانية فلم تستطع الهرب.

كل شروط النجاح توفرت لانتصار ثورة اشتراكية في إسبانيا إلا شرطا واحدا: وجود حزب ثوري جماهيري يهدف إلى إقامة حكومة عمالية. وهذا الشرط تبين بالملموس انه لا غنى عنه .

لقد تصرّف ستالين في إسبانيا مفترضا إمكانية الحفاظ على الديمقراطية البورجوازية -في الوقت الذي تخلت فيه البورجوازية عنها- بمساعدة الحزب الشيوعي. لقد خافت موسكو من الثورة الاشتراكية بقدر ما خافت منها البورجوازية. وباسم « الديمقراطية» تصرفت كوكيل مقرف للرأسمالية في صراعها مع الحركة العمالية.

كتب تروتسكي في كراسه « دروس اسبانيا . الإنذار الأخير» الذي يتجلى فيه أفضل عرض لآرائه حول الثورة الإسبانية « إن ستالين وضع تكتيك البلشفية بخدمة الملكية البورجوازية. وبقلة عقله البيروقراطية تخيل أن «المفوضين» بحد ذاتهم يمكنهم أن يضمنوا النصر، ولكن تبين أن مفوضي الملكية الخامة يمكنهم فقط أن يضمنوا الهزيمة».

يحدونا الأمل في أن تسهم هذه المجموعة من كتابات تروتسكي بتسليح الجيل الخالي من الشبيبة الثورية كيلا تتكرر مرارة التجربة الإسبانية.

1972/5/11

LES Evans

القسم الأول

من الملكية إلى الجمهورية

تمهيد

تحت تأثير الأزمة الاقتصادية الكبرى لعام 1929 قام الجنرال بيرمودي رافيرا في كانون الثاني 1930 باستفتاء حاميات اسبانيا لمنحه الثقة، لكن زملاءه الضباط صوتوا ضـده. وكان سقوط الديكتاتورية إيذانا بقيام نظام شبه عسكري ضعيف سيفضي مباشـرة إلى الجمهورية.

كلف الملك ألفونسو الثالث عشر الجنرال داماسـو بيرنغوير فوست Damaso Fust برئاسة حكومة انتقالية كان يأمل منها أن تمهد الطريق لقيام ملكية دستوريـة. لكن نجـاح هذه المغامرة كان يتوقف على القوة التنظيمية للأحزاب الملكية والدينية وعلى قاعدتهـا الجماهيرية. وبما أن كل الأحزاب كانت محظورة في عهد بيرمودي رافيرا فإن الأجهزة الحزبية ليمين البورجوازيـة ووسطها كانت في حالة التشـوش، لذا كان المؤهـل الوحيد للاستفادة من هذه الإمكانيات الجديدة للنشاط السياسي هو أحزاب الطبقـة العاملة لأنها كانت تناضل بشكل سري في ظل الديكتاتورية.

وانسجاما مع تقاليدهم، كان الفوضويـون مستعدين **لمقاطعـة** أية انتخابات مقبلـة، أما الاشتراكيون فقاموا في خريف 1930 بتوقيع تحالف في سان سيباستيان مع ممثلي أحزاب البورجوازية الجمهورية تعاهدوا فيه على العمل الانتخابي المشترك.

وفي كانون الأول قام الضباط الجمهوريون المتمركزون في حامية جاكا Jaca بتمرد عسكـري ضد الملكيـة، لكنه أخمد وأعـدم منظموه. لكن السخـط الشعبي الذي تلاه دفع الملك إلى تشكيل حكومة جديدة والدعوة إلى انتخابات جديدة، فاستقال بير نغويـز وحلـت محله حكومة مدنية في شباط 1931.

ولأن الملك كان مقتنعا بعدم مقدرة الأحزاب اليمينية على كسب الأغلبيـة في انتخابـات الكورتس (البرلمان) فقد دعا إلى انتخابات بلدية في 12 نيسان كل المدن الكبيـرة صوتت بالكامل لصالح الأحزاب الجمهورية والاشتراكية، لكن الملكيين حافظـوا على الأغلبية عبر أسلوبهم المخادع في السيطرة على المناطق الريفية، عبر المخاتير Cacique وعندما بدأت الحشود الكبيرة تتجمع في شوارع مدريد معلنة عداءها للملكية قرر الملك التنازل عن العـرش قائلا «لقد أظهرت انتخابات يوم الأحد أنني لم أعد أحظى بمحبة شعبي».

وأعلنت الجمهورية في الرابع عشر من نيسان وتسلمت مقاليـد الأمور حكومة جديـدة تسيطر عليها أحزاب الجمهورية. كان أول رئيس للوزراء الدون نيسيتو ألكالا زامورا Niceto Alcala Zamora المحامي الأندلسي وأحد وزراء الفونسو قبل انقلاب بيرمودي ريفيرا. ونال حقيبة الداخلية مدافع بالرز عن الكنيسة الكاثوليكية ميغيل مورا Miguel Maura وحظي الحزب الراديكالي المحافظ بحقيبتين إحداهما لأبيجندور لاروكس والثانية لديغو مارتينيز باريو Deigo Martines Bario وهكذا تكاد هذه الحكومة ألا تتميـز عن حكومة أقصى اليمين في حين أن اليسار الجمهوري الليبرالي كان ممثلا بوزير الدفاع مانويل آزانا وكاساريز كيروغا وألفارودي ألبورنز ونيكولاي دي أولور وفرنـاندو دي لوس ريوس. وهذا الأخير كان شكليا عضوا في الحزب الاشتراكي لكنه لا يلتزم بالانضباط الحزبي. أمّا الممثلان الحقيقيان للحزب الاشتراكي فكانا لارغو كاباليرو وأندراليشو بريتو، اللذين شكلا أقلية في حكومة أغلبيتها الساحقة بورجوازية.

في الخامس من نيسان أصدرت الحكومة الانتقالية الجديدة «مجموعة قوانين قضائية» ضمّنتها برنامجها. كما اقترحت دعوة الكورتيس التأسيسي لتبني دستور جديد وليقوم دوريا بانتخاب حكومة بشكل رسمي. وتعهدت القوانين بحرية الدين وضمان الملكيـة الخاصة ووعدت بتحقيق الإصلاح الزراعي.

ملاحظة بخصوص منفى تروتسكي: من المفيد للقارئ أن يتذكر أين كان تروتسكـي عندما كتب مختلف الوثائق المجموعة في هذا الكتاب. لقد نفاه نظام ستاليـن هو وعائلته بالقوة من الاتحاد السوفييتي في شباط 1929 وعاش في تركيـا حتى 1933. وتم تنظيم المعارضة اليساريـة (البلاشفة اللينيين) في نيسان 1930 تحت إشرافه. ومشكلات نموها وتطورها شغلت بعضا من وقته عندما كان مشغـولا 1930-1931 أيضا بكتابة «تاريخ الثورة الروسية»

كل المقالات الموجودة في القسم الأول كتبت في تركيا. إما في جزيرة برنكيبـو أو في كاديكوي Kadikoy إحدى ضواحي استانبول. وقد كانت كلها – عدا كراس «الثـورة في اسبانيا» - عبارة عن رسائل موجهة إلى قادة الفرع الإسباني من المعارضة اليسارية الأممية حديث التأسيس، وقد قام تروتسكـي باختيار قسم منها للنشر. وما لا يجب أن يغيـب عن البال أن إستراتيجية تروتسكي والمعارضة اليسارية كانت في فترة كتابة هذه المقالات تتمثل في إصلاح الأممية الشيوعية والفروع المنتسبة إليها.

مهمات الشيوعيين الإسبان:[20]
1930 / 5 / 25

[20]- رسالة إلى محرري Contra La Corriernte أول صحيفة بلشفية لينينية أصدرها مهاجرون إسبان في المنفى في بلجيكا.

أيها الرفاق الأعزاء:

أحيي بحرارة صدور العدد الأول من صحيفتكم. تنزل المعارضة اليسارية إلى الميدان في لحظة ملائمة جدا وحاسمة. فالانتظام الكبير الذي تنتشر به الأزمة الإسبانيـــة الآن يفسح المجال أمام الطليعـة البروليتارية لكي تجهز نفسها، علما بأني أشك بدوام هـــــذه الفترة طويلا.

لقد سقطت ديكتاتورية بريمودي ريفيرا بدون ثورة، من جراء تفسخها الداخلـــــــي. وبكلام آخر، إن ما حسم أمر الديكتاتورية بادئ ذي بدء ليس القوى الثوريـــة للمجتمع الجديد بل ضعف المجتمع القديم. وهذا لم يحدث عبثـــا: فمن جهـــة لـم تعد الحاجة الماسة لسحق الجماهير الثورية مبررا لوجود النضام الديكتاتوري من وجهة نظر الطبقات البورجوازية، ومن جهة أخرى أصبح هذا النظام يتعارض وحاجات البورجوازية الاقتصادية والمالية والسياسية والثقافية. لكن البورجوازية ظلت حتـى اللحظـــة الأخيرة تتجنب النزول لكل ثقلها ضد الديكتاتورية. لقد تركتها تتعفن وتسقـط كـما الثمرة الناضجة.

وبعدئذ اضطرت الطبقات المختلفة، عبر تمثيلاتها السياسية، للإفصـــاح عن مـوقفها علنا أمام الجماهير. وهنا نرى مفارقة: إن نفس الأحزاب التي رفضت بسبب محافظيتها أن تخوض أي نضال جدي ضد الديكتاتورية العسكرية أخذت الآن تعلن أنها جمهورية وتحمل الملكية مسؤولية الديكتاتورية. كما لو أن الديكتاتورية كانت طوال هذه الفترة معلقة بخيط من شرفة القصر الملكي، وكما أنها لم تتم المحافظة عليها بالدعـم السلبـــي حينا والنشط حينا لأكثر شرائح البورجوازية نفوذا، هذه الشرائـــح التي قامت بكـــل قوتها بشل فاعلية البورجوازية الصغيرة وسحق عمال المدن والريف.

وما هي النتيجة؟ لا تزال الملكيـــة قائمة وتقوم بوظائفهـــا في الوقت الذي يكون فيه ليس فقط العمال والفلاحون والبورجوازية الصغيرة المدينية والمثقفون الشبـــاب جمهوريـــن، بل أيضا كل البورجوازية الكبيرة تقريبا إما جمهوريـــة أو تدعـــــي كذلك. إذا كان بريمودي ريفيرا يتعلق فقط بخيط من الملكية فبأي خيط كانت الملكيـــة تتعلق في هـذا البلد «الجمهـــــــوري»؟! يبدو هذا اللغز محيرا للوهلة الأولى، لكن حله ليس معقـــدا. إن نفس البورجوازية التي كانت «تتحمل» بريمودي ريفيرا كانت في الواقع تدعمه، تماما مثلما تدعم الملكية اليوم، بالوسيلة والوحيـــدة المتوفرة بين يديها، أي بتسميـــة نفسها جمهورية. وهكذا نراها تتكيف مع نفسية البورجوازية الصغيرة، وهذه أفضل وسيلة لخداعها وشلها.

إن المشهد التالي، رغم شدة دراميته، ليس بلا جانب كوميـــــدي بالنسبة للمتفـــرج: تجلس الملكية على ظهر البورجوازية التي لا تستعجل إسقاطها. وتنسل خلسة بين الجماهير الهائجة ويرد على احتجاجات الجمهور ومظالمه ولعناته بصوت المهرج الخشن: أنظروا إلى هذا المخلوق الذي على ظهري، إنه عدوي اللـــدود، سأعدد لكم جرائمـــه، انتبهوا، الخ. وعندما يبدأ الجمهـــور الذي يسليه المشهـــد بالضحـــك تغتنم البورجوازية هذه الفرصة لتسير بحملها أبعد قليلا. إذا كان هذا هو النضـــال ضد الملكية فكيف هو النضال لدعمها إذن؟

إن مظاهرات الطلاب الجريئة ليست إلا محاولة يقوم بها الجيل الأصغر من البورجوازية، وخصوصا البورجوازية الصغيرة، لإيجاد مخرج لعدم الاستقرار الذي ألم بالبلد بعد تحررها المفترض من ديكتاتورية بريمودي ريفيرا التي لا تزال تحتفظ بكل عناصرها الأساسية. عندما ترفض البورجوازية بعناد أن تحل المشكلات الناجمة عن أزمة مجتمعها أو عندما تكون البروليتاريا غير مستعدة للاضطلاع بهذه المهمة، فغالبـا ما يتنطـــح الطلاب لحلها. وهذه الظاهرة لاحظناها أكثر من مرة في مسار الثورة الروسية الأولى 1905 وكنا دائما نقيم عاليا مغزاها الدلالي لأن نشاطا طلابيـــا ثوريا كهذا، أو نصف ثوري، يعني ان المجتمع البورجوازي يجتـــاز أزمة عميقة. إن البورجوازية الصغيرة التي تشعر بالقوة المدمرة تعتمل في صدر الجماهير تحاول بطريقتها الخاصة، أن تجد مخرجا من المأزق الذي وصل إليه المجتمع وتدفع الأمور السياسية إلى الأمام.

تنظر البورجوازية إلى حركة الطلاب بعين نصف راضية نصف حذرة. لا بأس أن يوجد الشباب «الأولاد» عدة ضربات للبيروقراطية الملكية طالمـــا أنهم لا يتجاوزون حدودهم ويستثيرون الجماهير الكادحة.

لقد أظهر العمال الإسبان غريزة ثورية كلية السلامة عندما ساندوا الحركة الطلابيـــة، ولكن عليهم طبعا أن يعملوا تحت رايتهم الخاصة وتحت قيادة تنظيمهم البروليتاري الخاص. وهذا ما يجب أن يتكفل به الشيوعيون الاسبـــان، وكيمـــا يتحقق لابـــد من سياسة صحيحة. ولهذا السبب يتوافق صدور مجلتكـــــم، كما سبق وقلت، مع مرحلة في منتهى الأهمية والحرج في مجمل تطور الأزمة، والأدق إنه يتوافق واللحظة التي تتحول فيها الأزمة الثورية إلى ثورة.

ففي سياق سخط جماهير البورجوازية الصغيرة الحاد وفي سياق الأزمة الحادة ككل تتخذ حركة العمال الإضرابية –نضالهم ضد إعادة التنظيم الصناعي ضد البطالة– أهمية مختلفة كليا وأكثر عنفا بما لا يقاس. يجب أن يرتبط نضال العمال وثيق الارتباط بمجمل المشاكل الناجمة عن أزمة البلد. وكون العمال قد تظاهروا مع الطلاب يشكل الخطـوة الأولـــى على طريق النضال البروليتاري الطليعي نحو الهيمنة الثورية ولو أن هذه الخطوة لا تزال غير كافية وغير واثقة. إن السير على طريق الهيمنة الثورية يتطلب قيام الشيوعييـــن بالنضال الحازم والشجاع والفعال من أجل المطالب الديموقراطية وعدم فهم هذا الأمر سيعني ارتكاب أكبر خطيئة عصبوية. في هذه المرحلة لا تميز البروليتاريا نفسها على صعيد **الشعارات السياسية** عن باقي التجمعات السياسية «اليساريـــة» البورجوازيـــة الصغيرة برفضها للديموقراطية (كما يفعل الفوضويين الساندیكاليون) وإنما بالنضال الحازم والصريح من أجلها، وبنفس الوقت تقوم بإدانة تذبذب البورجوازيـــة الصغيـــرة بلا رحمة.

إن طرح البروليتاريا للشعارات الديمقراطية لا تعني أبدا أنها ترى إسبانيا تسير باتجاه ثورة بورجوازية. فطرح كهذا لا يقوم به إلاّ المتحدلقون ذوي الجمل الجاهزة والمكرورة لأن إسبانيا خلّفت مرحلة الثورة البورجوازية بعيدا وراءها.

إذا تحولت الأزمة الثورية إلى ثورة لا بد لها أن تتجاوز النطاق البورجوازي، وفي حال النصر ستسقط السلطة بيد البروليتاريا. يمكن للبروليتاريا في هذه المرحلة أن تقود الثـــورة – أي أن تلف حولها الشرائح الواسعة من العمال وكل المظطهدين بشرط واحد: أن تطرح الآن المطالب الديموقراطية بالترابط مع مصالحها الطبقية.

وهذه المطالب ستكون ذات أهمية حاسمة بالنسبة للفلاحيـــن في المقـــام الأول. وهم لن يمحضوا البروليتاريا ثقتهم عبر الاستنتاج المنطقي، أي بالموافقة على شعار ديكتاتورية البروليتاريا كتعهد لفظي. ففي مرحلة معينة لابد أن يرى الفلاحـــون، كطبقـــة مضطهدة كبيرة، في الشعار الديموقراطي أداة بيد المظطهَدين للإطاحة بالمضطهدين. وسيربطون حتما شعار الديموقراطية السياسية بشعار إعادة التوزيـــع الجـذري للأرض، وستؤيد البروليتاريا كلا المطلبين بشكل صريح. وسيوضـــح الشيوعيـــون لطليعة البروليتاريا في الوقت المناسب كيفية تحقيق هذه المطالب، وبهذا يبذرون بذور النظام السوفييتي المقبل.

كما تدافع البروليتاريا عن كل الشعارات الديموقراطية حتى على صعيد المسائل القومية وذلك بإعلان استعدادها لدعم حق تقرير المصير، بما فيه حق الانفصـــال، لمختلـــف الجماعات القومية بالوسائل الثورية. ولكن هل تقوم الطليعة البروليتاريـــة بنفسهـــا بطرح شعار انفصال كاتالونيا؟ إذا كان هذا الشعار يعبر عن رغبة الأغلبيـــة فنعـــم. ولكن كيف تعبر هذه الرغبة عن ذاتها؟ من البديهي أنها تفصح عن ذاتها عبر استفتـــاء شعبي حر أو عبر اجتماع ممثلي كاتالونيا أو عبر الأحزاب التي تدعمها فعلا الجماهير الكاتالونية، أو حتى عبر ثورة مسلحة تقوم بها القومية الكاتالونية. ومرة أخرى نرى، والكلام على الهامش، مدى رجعية تنكر البروليتاريا للشعارات الديموقراطيـــة. وإلـــى أن يتم ذلك، وطالما لم تعبر أية أقلية قومية عن رغبتها، فلن تتبنى البروليتاريا شعار الانفصال، وإنما تعلن سلفا، وعلى الملأ، دعمها الكامل والصادق لهذا الشعـــار في حـــــال تعبيره عن رغبة كاتالونيا.

لا جدوى من القول أن ليس للعمال الكاتالونيين الكلمة الفصل في هذه المســألة. فـــإذا توصلوا إلى نتيجة مفادها أن من الخطأ تجزئة قواهم في الأزمة الحالية التي تفتح أمام البروليتاريا الاسبانية إمكانيات هائلة، عليهم أن يوجهوا دعاوتهم نحو إبقاء كاتالونيا جـــــزءا من إسبانيا استنادا إلى هذه الأرضية أو غيرها. من جهتي أرى أن المحاكمة السياسية للأمور تستدعي مثل هذا الحل، وفي هذه المرحلة سيكون مقبولا حتى لغلات الانفصال طالما أنه من الواضح تماما أن حق تقرير المصير في كاتالونيا وغيرها من المناطق سيكون بعد الثورة أسهل بكثير مما هو عليه الآن.

عندما تدعم الطليعة الشيوعية كل الحركات الديموقراطية فعلاً للجماهير فإنها ستخوض نضالا لا هوادة فيه ضد ما يسمى البورجوازية الجمهورية لتكشف القناع عن خداعهـا وخيانتها وطبيعتها الرجعية وعن كل محاولاتها لإبقاء الجماهير الكادحة تحت تأثيرها.
لن يتخلى الشيوعيون أبدا عن حريتهم أثناء العمل السياسي. ويجب أن لا ننســـى أن الإغراءات من هذا النوع كثيرة جدا أثناء الثورة. والتاريخ المأساوي للثورة الصينيـــــة[21] يشهد على ذلك بما لا يقبل الدحض ولكن في الوقت الذي يصون فيه الشيوعيون استقلالهم التنظيمي التام واستقلال دعاوتهم الكامل فإنهم يقومـون على أوســـع نطاق بممارسة سياسة الجبهة الموحدة[22] التي تفسح الثورة أمامها مجالا واسعا.

ستبدأ المعارضة اليسارية بتطبيق هذه الجبهة مع الحزب الشيوعي الرسمي. ويجـــب أن لا تسمح للبيروقراطيين بخلق الانطباع بأن المعارضة اليسارية تعادي العمال الذين يسيرون تحت راية الحزب الشيوعي الرسمي. على العكس فالمعارضة مستعدة للمشاركة في كل نشاط البروليتاريا الثوري وللنضال إلى جانب هؤلاء العمال. أما إذا رفـــض البيروقراطيون العمل المشترك مع المعارضة فعليهم تحمل المسؤولية الكاملة لهذا الرفض أمام العمال.

إن استمرار الأزمة الإسبانية يعني الاستيقاظ الثوري لملايين الكادحين. وليس هناك ما يشير إلى أنهم سينجذبون سريعا إلى راية الشيوعية، لا بل على الأرجح أنهم في البدايـــــة سيدعمون البورجوازية الصغيرة الراديكالية، أي بشكل رئيسي الحزب الاشتراكي وجناحه اليساري بشكل خاص. فهذا بالضبط ما حدث مع المستقلين[23] الألمـــــان أثناء ثورة 1918–1919. هكذا سيتجلى التجذر الحقيقي الواسع للجماهيـــر وليس في نمو «الاشتراكية الفاشية»[24] يمكن للفاشية أن تنتصر من جديد –وهذه المرة «اجتماعيا» أكثر مما «عسكريا» و أي كـــ«اشتراكية فاشية» موسوليني– فقط كنتيجة لهزيمة الثورة وتبدد أوهام الجماهير التي آمنت بها. ولكن على ضوء التطور المضطرد للأحداث الحالية لا يمكن أن

---

[21]- قبل الثورة الصينية 1925–1927 وبناء على أوامر ستالين دخل الشيوعيـــــون الصينيون إلى الكومنتانغ البورجوازي القومي (حزب الشعب) الذي كـــان يقوده تشان كاي تشيك. وبدل أن ينتهجوا سياسة مستقلة قاموا بالإشـــــادة بتشـــان كثوري عظيم، ولم يغيروا هذه السياسة إلا بعدما قام تشان بذبح الشيوعيين والنقابيين في شنغهاي.

[22]- إن سياسة تشكيل جبهات موحدة مع التيارات الأخرى داخل الطبقة العاملـــة صاغها لينين وتروتسكي وأقرتها المؤتمرات الأولى للكومنترن. لكن الأممية الشيوعيـــة في ظل ستالين أغلقت الطريق أمام هذه الجبهات مع الاشتراكيين الديموقراطييـــــن وباقي التنظيمات غير الواقعة تحت السيطرة الستالينية رغم استمرار تأكيدها بأنهـــا مع هـــذه الجبهات شريطة ألا تكون «جبهات موحدة من فوق» أي أن يجري النقاش بشأنها مع قواعد التنظيمات غير الستالينية وليس مع قادتها.

[23]- قامت أقلية من الاشتراكيين الديموقراطيين الوسطييـــن داخل الحـــزب الاشتراكي بالانفصال عنه عام 1916 وشكلت الحزب الاشتراكي المستقل في ألمانيا لكنهـــا عادت إلى حزبها الأول عام 1922.

[24]- إن نظرية «الاشتراكية الفاشية» من بنات أفكار ستالين ومفادها أن الاشتراكيـــة الديموقراطية والفاشية ليستا نقيضتين بل توأمين. وطالما أن الاشتراكيين الديموقراطيين عبارة عن أحد تنويعات الفاشية، وطالما أن الجميـــع، إلا الستالينييـــــن، هذا أو ذاك من التنويعات الفاشية (ليبرالي فاشي، أو عمالي فاشي، أو تروتسكي فاشي) فلم يكن مسموحا للستالينيين الانخراط مع أي تيار في جبهـــة موحـــــدة ضد الفاشيين العاديين الصريحين. وما كان يمكن لأي نظرية أن تساعد هتلر أثناء السنوات التي وصل بها إلى السلطة أفضل من هذه النظريـــــة. وأخيـــــرا تخلى الستالينيون عنها عام 1934 وسرعان ما بدأوا بمغازلة ليس الاشتراكيين الديموقراطيين فحسب بل أيضا السياسيين الرأسماليين أمثال روزفيلت ودالادير وآزانا.

تحدث الهزيمة إلا كنتيجة للأخطاء الهائلة من جانب القيادة الشيوعية.

لقد أظهرت تجربة الثوريين الألمان والايطاليين بشديد الوضوح أن ما يمكن أن يعزز مواقع الاشتراكية-الديموقراطية[25]، العدو الأخطر على البروليتاريا، هو الراديكالية اللفظية والعصبوية وارتباطهما بالتقييم الانتهازي للقوى الطبقية ولسياسة التعرج Zig - Zag والقيادة البيروقراطية، أي باختصار كل ما يشكل جوهر الستالينية.

يجب أن تتشرشح الاشتراكية–الديموقراطية أمام الجماهير، وهذا ما لا يتم بالشتائم لأن الجماهير لا تثق إلا بتجربتها الجماعية. أثناء الفترة التمهيدية من الثورة يجب إعطاء الفرصة للجماهير حتى تقارن عمليا بين الممارسة السياسية للشيوعيين والممارسة السياسية للاشتراكيين الديموقراطيين. من البديهي أن النضال لكسب الجماهير سيخلق الشروط لهذه المقارنة في حال إصرار الشيوعيين أمام الجماهير على الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين الديموقراطيين. لقد اتفق ليبكنخت[26] في العديد من الحالات مع المستقلين، وخصوصا مع جناحهم اليساري، وأقام البلاشفة تحالفا علنيا مع الاشتراكيين الثوريين[27] اليساريين. وإلى أن وصلنا إلى مرحلة الانتفاضة المسلحة سبق أن عقدنا سلسلة اتفاقات محددة مع المناشفة الأمميين[28]، كما تقدمنا بعشرات الاقتراحات لتشكيل الجبهة الموحدة. لم نخسر شيئا من جراء هذه السياسة. ولكن بالطبع لم يكن المقصود منها جبهة موحدة على غرار اللجنة الأنغلو-روسية[29] التي كان معناها تحالف الستالينيين في مرحلة الإضراب العام الثوري مع كاسري الإضراب. كما لم يكن المقصود منها جبهة موحدة بروح الكومينتانغ[30]: حيث تم ضمان قيام ديكتاتورية بورجوازية على العمال والفلاحين باسم شعار كاذب لوحدة العمال والفلاحين.

بهذا الشكل تتبدى لي المهمات المنظورات عن بعد، علما بأني أدرك جيدا مدى افتقاد هذه الملاحظات للتعيين. من الممكن، لا بل على الأرجح، أني قد تركت بعض الأمور الهامة، لكنكم ستتدبرون أموركم بأنفسكم. إنكم ستجدون طريقكم طالما أنكم مسلحون بالنظرية الماركسية وبالأسلوب اللنيني الثوري وستعرفون كيف تتفهمون أفكار الطبقة العاملة وعواطفها وكيف تعطونها الشكل السياسي الصحيح. إن الهدف من رسالتي إن هو إلاّ تلخيص عام لمبادئ السياسة الثورية التي أثبتت صحتها تجربة ثورات روسية ثلاث.

مع تحياتي الحارة وأفضل التمنيات بالنجاح.

المخلص لكم

ليون تروتسكي.

2- الفاشية الإسبانية.
1930 / 11 / 12

في مقالتي (مهمات الشيوعيون الإسبان) عبرت بحذر شديد عن فكرة مفادها أنه بعد عدة سنوات من الديكتاتورية وبعد حركة المعارضة البورجوازية وبعد كل الصخب الجماهيري للجمهوريين وبعد مظاهرات الطلاب لابد أن نتوقع تحرك العمال. كما قلت أن هذه الأحداث يمكن أن تفاجئ الحزب الثوري. وما لم أكن مخطئا فإن العديد من الرفاق الإسبان ظنوا أني أبالغ بالأهمية الدلالية لمظاهرات الطلاب، وبمنظورات الحركة الثورية للعمال. ومنذئذ اتخذت حركة إضرابات العمال في إسبانيا أبعادا هائلة. ويستحيل كليا معرفة من يقود هذه الإضرابات فعلا.

ألا تعتقدون أن إسبانيا تمر بنفس الدائرة التي مرت بها إيطاليا 1918 – 1919: اختمار، إضرابات، إضراب عام، استيلاء على المصانع، عدم وجود قيادة، تراجع الحركة، نمو الفاشية، قيام ديكتاتورية مضادة للثورة؟ لم يكن نظام بريمودي ريفيرا فاشيا لأنه لم يرتكز على رد فعل

---

[25]- الاشتراكية الديموقراطية تم تشكيلها عام 1889 كرابط رخوة بين الأحزاب القومية الاشتراكية الديموقراطية العالمية، وكانت تجمع عناصر ثورية وأخرى إصلاحية، وفرعها الألماني كان الأكثر نفوذا. انتهى دورها التقدمي بحلول عام 1914 عندما انتهكت فروعها الأساسية أبسط مبادئ الاشتراكية بدعمها لحكوماتها الامبريالية في الحرب العالمية الأولى. لقد تفتت هذه الأممية أثناء الحرب الأولى ولكن أعيد إحياؤها كمنظمة إصلاحية عام 1923.

[26]- كارل ليبكنخت 1871–1919: اشتراكي ديموقراطي ألماني، يساري ومضاد للعسكرية، وكان من صوت ضد إعتمادات الحرب في الريخستاغ عام 1914. سجن بسبب نشاطه المضاد للحرب من 1916 – 1918، وكان أحد قادة انتفاضة برلين 1919. اغتاله ضباط الحكومة في كانون الثاني من نفس العام.

[27]- الاشتراكيون الثوريون اليساريون: هم الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الثوري البورجوازي الصغير في روسيا، والذي تدعمه بقوة أوساط الفلاحين. وكان كيرنسكي يقود جناحها اليميني. انشق عن الحزب في أوكتوبر 1917 وشكل جناحه اليساري مع البلاشفة حكومة ائتلافية انفرط عقدها عندما انقلب الاشتراكيون الثوريون اليساريون على الحكومة السوفياتية بعد توقيعها لصلح بريست–ليتوفسك مع ألمانيا.

[28]- المناشفة الأمميون: مجموعة من المناشفة اليساريين بقيادة مارتوف الذي كانوا قريبين من البلاشفة في العديد من المسائل. وكان المناشفة حزبا اشتراكية معتدلا يعلن ولاءه لكارل ماركس، لكنه كان يعتقد أن على الطبقة العاملة أن تتوحد مع البورجوازية الليبرالية للإطاحة بالقيصرية وإقامة الجمهورية الديموقراطية. تشكل المناشفة إثر انشقاق حزب العمال الاشتراكي الديموقراطي الروسي عام 1903 وبقوا داخل الأممية الثانية في حين سار البلاشفة على طريق تشكيل الحزب الشيوعي الروسي.

[29]- لجنة الوحدة النقابية الأنغلو-روسية: شكلها ممثلوا النقابات السوفياتية والبريطانية في أيار 1925 حيث استخدمعا ممثلو الأخيرة ليظهروا «تقدميتهم» ويقوا أنفسهم شرّ النقد من اليسار وكانت هذه اللجنة قبل فترة قصيرة من الإضراب العام 1926 في غاية النفع. استمر الروس بدعم اللجنة حتى عندما قام الأعضاء البريطانيين بخيانة الإضراب العام. ولم تنهر اللجنة إلا عام 1927 بعدما انسحب منها الأعضاء البريطانيون لما لم يعودوا بحاجة إليها.

[30]- الكومينتاغ الصيني (حزب الشعب): الحزب القومي للبورجوازية الصينية الذي أسسه صن عام 1911 وقاده بعد عام 1926 تشان كاي تشيك، جزار الثورة الصينية 1925– 1927 والذي ظل حاكما للبلد حتى أطاحت به ثورة 1949.

الجماهير البورجوازية الصغيرة. ألا تعتقدون معي أنه يمكـــن أن تتوفر شروط قيام فاشية إسبانية حقيقية كنتيجة لهذا النهوض الثوري الأكيد إذا بقيت الطليعة البروليتارية، كما كانت، سلبية ومتقلقلة؟! إن أخطر ما في هذا الوضع هو تضييـــــع الوقت.

3- إنشاء السوفييتات
1930 / 12 / 21

ما هي المنظورات إذن؟ ... على ما أفهم من رسالتكم فإن كل التنظيمات والمجموعات تنجرف مع التيـــار، أي إنها تشارك في الأحداث بقدر ما تجرفهم. كما أنه لا يوجد لدى أي تنظيم برنامج ثوري للعمل، أو حتى منظور مدروس جيداً.

يبدو لي أن مجمل الوضع يتطلب طرح شعار السوفييتـــات، هذا إذا قصدنا بكلمـــة السوفييتات مجالس العمال التي انبثقت في روسيا لأنها كانت في البداية لجـــان إضراب قوية، لم يتخيل أي من المشاركين الأوائل بالسوفييتات أنها ستكون أجهزة السلطـــة في المستقبل. بديهي أنه لا يمكن إنشاء اصطناعيـــا، ولكن من الضـــروري تشجيع قيامها أثناء كل إضراب محلي تتواجد فيه غالبية التيارات ويتخذ طبيعة سياسية. في ظل هذه الشروط، هذا هو الشكل التنظيمي الوحيـــد القادر على تولي قيادة الحركة وفرض الانضباط الثوري عليها في العمل.

أقول لكم بصراحة إنني خائف جدا من أن يضطر مؤرخو المستقبل إلى اتهام الثوريين الإسبان بعدم معرفة كيفية الاستفادة من وضع ثوري استثنائي.

4- من أجل السوفييتات الإسبانية.
1931 / 1 / 8

من الواضح أن الأوضاع في إسبانيا تختلف عما هي عليه في كل البلدان الأخرى لأنهـا تمر الآن في مرحلة من النهوض الثوري الجلي والواضح. فحرارة الجو السياسي ينبغي أن تسهل كثيرا عمل البلاشفة اللينينيين باعتبارهم الجناح الثوري الأكثر إقداما وثباتـــا في المبادئ. لقد شتت الأممية الشيوعية الشيوعيين الإسبان وأضعفت الحزب الشيوعي الرسمي وأحالته حزبا عاجزا. وقيادة الكومنترن فعلت في إسبانيا ما فعلته في العديـد من الحالات الهامة: لقد فوتت وضعا ثوريا وتركت العمال الإسبان لمصيرهم بلا قيادة في أشد اللحظات حرجا. وهاهم يخوضون نضال الإضراب الثوري على أوسع نطـــاق بلا قيادة تقريباً.

في ظل هذه الأوضاع يطرح البلاشفة اللينيـــون شعار السوفييتات. يتبين وفقا لنظرية الستالينيين وتجربة انتفاضة كانتون[31] أن السوفييتات يجب أن لا تقام إلاّ عشية الانتفاضة المسلحة. وهذه نظرية مدمرة وتجربة مدمرة لأن السوفييتات يجب إنشاؤها عندمـــا تُظهر الحركة الفعلية للجماهير حاجتها لها. فهي تتشكل في البداية كلجـــان إضراب واسعة، وهذا هو واقع الحال في إسبانيا. ومما لا شك فيه أن مبادرة البلاشفة اللينينيـــن في ظل هذه الظروف ستجد لها صدى بين الطليعة البروليتارية، وهذا ما سيفتح أمـــام المعارضة الإسبانية أفقا واسعا في المستقبل القريب. نتمنى لأصدقائنا الإسبـــان النجـــاح.

5- السوفييتات والكورتيس التأسيسي.
1931 / 1 / 12

هل ستجري الانتخابات فعلا في الأول من آذار[32]؟

يبدو أننا نستطيع في الوقت الراهن أن نبطل انتخابات بيرنغوير بالتطبيق الفعال لتكتيك المقاطعـــة. فبهذا الشكل أبطلنا عام 1905 انتخابات الدوما التشريعيـــة التي كانت مجرد استشارية. ما هي سياسة الشيوعيين بهذا الخصوص؟ هل سيوزعون الكراريـــس والتصريحات والبيانات؟

ولكن نقاطع الكورتيـــس باسم ماذا هل باسم السوفييتـــات؟ أعتقد أن من الخطأ طـــرح المسألة بهذه الطريقة لأن جماهير المدينة والريف يمكن أن تتوحد في الوقت الحاضر فقط تحت راية الشعارات الديموقراطية، وهذه الشعارات تتضمن انتخاب الكورتـــس التأسيسي على قاعدة الاقتراع العام المتساوي السري المباشـــر لا أعتقد أن بإمكانكـــم الآن أن تتجنبوا هذا الشعار. فالسوفييتات لم توجد بعد، والعمال الإسبان –هذا إذا تغاضينـــا عن الفلاحين– لا يعرفون ما هي السوفييتات كما أنها ليست بنت تجربتهم. إن الصراع حول الكورتس، في المرحلة القادمـــة، سيستغرق كل حياة البلد السياسيـــة، لـــذا من الخطأ مواجهة شعار الكرتس بشعار السوفييتـــات، هذا من جهة، أمّا من الجهـــة الأخرى فإن إنشاء السوفييتات في المستقبل القريب غير ممكن إلاّ على قاعدة تعبئة الجماهير بالشعارات الديموقراطية. وهذا يعني منع الملكية من تشكيل كورتس مزيف ومخادع ومحافظ، وضمان تشكيل كورتس تأسيسي ديموقراطي يستطيع أن يعطي الأرض للفلاحين وأن يقوم بالعديد من الأشياء الأخرى. وتشكيل سوفييتات العمال والفلاحين والجنـــود يجب أن يأتي تعزيزا لمواقع الجماهير الكادحة.

6- الثورة في إسبانيا
1931 / 1 / 24

[31]- حدثت انتفاضة كانتـــــون في 1927/12/11 وسحقت بعد خمسين ساعة وراح ضحيتها 5700 عامل. كانت قمة مرحلة المغامرة التي أعقبت انهيار الحركة الثوريـــة في آب.

[32]- انتخابات الأول من آذار هي انتخابات بلدية جرت أخيرا في 12 نيسان.

1- إسبانيا القديمة:

السلسلة الإمبريالية مهددة بالانقطـــاع مرة أخرى في حلقتها الأضعف، في إسبانيـــا. فالحركة الثورية تتطور فيها بفاعلية كبيرة حتى أن الرجعية العالمية محرومة سلفاً من الأمل بالعودة السريعة للنظام فيها.

مما لا شك أن إسبانيا واحد من أكثر بلدان أوروبا تخلفـــاً، لكنه تخلف ذو طبيعـــة استثنائية يغلفه ماضيها العريق. فبينما كانت روسيا القيصرية متخلفة دوماً عن جاراتها الغربيات وتتقدم ببطء تحت تأثيرهم، عرفت إسبانيا عصور ازدهار كبير تفوقت فيها على كل أوروبا وسيطرت على جنوب أمريكا. فالتطور الهائل للتجارة المحلية والعالميـــة تغلب شيئا فشيئا على التشتت الإقطاعي للأقاليم الإسبانية وعلى الخصوصية القومية فيها. وكان تنامي قوة وأهمية الملكية الإسبانية في هذه القرون مرتبطا وثيق الارتبـــاط بالدور الممركز لرأس المال التجاري وبالتكون التدريجي «للأمة الإسبانية»

لكن اكتشاف أميركا الذي اغتنت إسبانيا بفضله وقويت أصبح فيما بعد وبالا عليهـــــا، وعندما تحولت عنها طرق التجارة الكبرى. لقد تجاوزت هولندا إسبانيا بعدما اغتنت، وبعد هولندا تفوقت بريطانيا على كل أوروبا أيما تفوق وحافظت عليه لزمن طويـــل. ومع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر بدأت إسبانيا اندحارها الذي اتخـــذ طابعا رسميا. لنقل، منذ دمار أرمادا العظمى Great Armada عام 1588. هذه الحالة التي استقرت عليها إسبانيا الإقطاعية–البورجوازية هي التي سماها ماركس «التفســخ البطيء والمشين».

حاولت الطبقات المالكة القديمة والجديدة –نبلاء الأرض ورجـال الدين الكاثوليـــــك بملكيتهم والطبقات البورجوازية بمثقفيها– أن تتشبث بخيلائها القديم ولكن وحسرتاه من غير مواردها القديمة. ففي عام 1820 أفلتت منها مستعمرات أمريكا الجنوبيـــة، وبفقدانها لكوبا 1898 تجردت إسبانيا تقريبا من كل ممتلكاتها الاستعمارية. أمـــا مغامراتها في المغرب فلم تؤد إلاّ إلى تدميرها وصب الزيت على نار الاستياء الشعبي العميـــق[33].

إن إعاقة تطور إسبانيا الاقتصادي قادت بالضرورة إلى إضعاف الميل إلى التمركز الكامن في الرأسمالية. فتراجع الحياة التجارية والصناعية في المدن، وتدني الروابط الاقتصادية فيما بينها أديا إلى قلة اعتماد الأقاليم على بعضها البعض. وهنا حجر الزاوية في عدم نجاح إسبانيا البورجوازية إلى الآن في التخلص من الميول المضادة للمركزية في أقاليمها. إذ أن شح الموارد القومية والشعور بعدم الاستقرار لا يمكن أن يساعـــدا البلاد عـــلى الخلاص من التيارات الانفصالية وإنما يغذيانها. تتجلى الإقليمية في إسبانيا بقوة غيـــر عادية، وخصوصا لدى مقارنتها بجارتها فرنسا حيث أقامت الثورة العظمى أخيرا أمـــة واحدة لا تنفصم، على أنقاض الأقاليم الإقطاعية.

صحيح أن الركود الاقتصادي لم يسمح بتشكيل مجتمع بورجوازي جديد، لكنه سمـــح بتفسخ الطبقات الحاكمة القديمة، إذ غالبا ما كان النبلاء يغلفون غرورهم بالأسمـــال. فالكنيسة كانت تنهب الفلاحين، ولكن بين الفينة والأخرى كانت الملكية تنهبهـــا، هذه الملكية التي سبق لماركس أن قال عنها أنها تتقاطع مع الاستبداد الآسيوي أكثر مما مع الحكم المطلق الأوروبي. كيف؟

إن مقارنة القيصرية الروسية بالاستبداد الشرقي التي حدثت أكثر من مرة تبدو طبيعية جدا بحكم التاريخ والجغرافيا. وتحتفظ هذه المقارنة أيضا بكل قوتها فيما يتعلق بإسبانيا لأن الفرق يقوم فقط في أن القيصرية الروسية تشكلت على أرضية **التطور البطـــيء** جدا للنبلاء بينما تشكلت الملكية الاسبانية في ظل شروط **انحدار** البلد **وتفسخ** طبقاته الحاكمة. وإذا كان سبب قيام الحكم المطلق الأوروبي يعود فقط إلى صراع المدن القوية ضد الأقاليم الإقطاعية ذات الامتيازات فإن الملكية الاسبانية، مثلها مثل القيصريـــــة الروسية، قد استمدت قوتها النسبية من عجز الأقاليم الإقطاعية والمدن على حد سواء. وهذا سبب تشابهها الواضح مع الاستبداد الآسيوي.

لقد هيمنت التيارات المضادة للمركزية على التيارات الدافعة باتجاهها في كل من الاقتصاد والسياسة. وهذا ما زعزع أسس البرلمانية في اسبانيا. فضغط الحكومة على الناخبين كان حاسما: طوال القرن الماضي كانت الحكومة تنال الأغلبية عبر الانتخابـــات لأن الكورتس كان يجد نفسه معتمدا على الوزارات المتعاقبة التي كانت بدورها تجد نفسهـــا تعتمد على الملكية. كانت مدريد تتحكم بالانتخابات لكن الملك كان يتحكم بالسلطـــة.

كانت الملكية ضرورة مزدوجة للطبقات الحاكمة المجزأة وغير المتمركزة لأنها كانت أعجز من أن تحكم البلد بالأصالة عن نفسها. وهذه الملكية التي كانت تعكس ضعف الدولة ككل كانت على ما يكفي من القوة لفرض إرادتها على البلد بين انتفاضتيـــن. وهكـــذا يمكننا تسمية نظام الدولة باختصار «حكم مطلق متفسخ ومقتصر على انقلابات عسكرية دورية» وتعبر شخصية ألفونسو الثالث عشر عن هذا النظام أيما تعبير من زاويـــة تفسخه وميوله المطلقة وخوفه من الانقلابات العسكرية. فمناورات الملك وتآمره وخياناته وتغلبه على التحالفات المؤقتة المعادية له، كل هذا لا يكمن في شخص ألفونسو الثالث عشر بقدر ما يكمن في مجمل طبيعة النظام الحكومي. وفي ظل الأوضاع الجديـــدة فإن ألفونسو الثالث عشر لا يقوم إلاّ بتكرار التاريخ المشين لجده العظيـــم فرديناند السابـــــع.

يمثل رجـــال الدين إلى جانب الملكية، وبالتحالف معها قوة ممركزة أخرى. فلا تـــزال الكاثوليكية حتى يومنا هذا دين الدولة، ويلعب

[33]- المغامرات الإفريقيـــة لإسبانيا قيدت الجيش الإسباني بالحروب لإخضاع المغرب حتى عام 1927.

رجال الدين دورا بارزا في حياة البلـــد باعتبارهم محور الرجعية الأكثر ثباتا. وتنفق الدولة سنويا عشرات ملايين البيزتات دعما للكنيسة[34].

الجماعات الدينية متعددة جدا وثروتها كبيرة ونفوذها أكبر. إذ أن عدد الرهبان والراهبات يقارب السبعين ألفا، وهذا ما يساوي عدد طلاب المدارس العليا وأكثر من ضعـف عدد طلاب الجامعة. لذا ليس غريبا في ظل هذه الأوضاع أن يكون 45 % من السكان أميين، وأغلبهم ريفيون طبعا.

إذا كان الفلاحون قد فازوا ببعض المكاسب من جراء قوة الإمبراطورية الإسبانيـة فـي ظل شارل الخامس (كارلوس الأول) فقد عانوا من الأمرين نتيجة انحطاطها[35]. لقـد عاشوا حياة فقر لعدة قرون، وفي بعض الأقاليم حياة إمـلاق. وحتى يومنـا هذا مـا انفكوا يشكلون 70 % من السكان ويقع على عاتقهم القسط الرئيسي من عبء بنيان الدولة. فصورة القرية الاسبانية كما يلي: إمكانية الحصول على الأرض والمياه محدودة وريوع وضرائب مرتفعة وأدوات بالية وتكنيك زراعي بدائي وطلبات الكنيسة وارتفاع أسعار المنتجات الصناعية وفيض سكاني وعدد كبير من المتشردين والمملقين والرهبان. تلكم الأوضاع قادت الفلاحين إلى المشاركة في العديد من الانتفاضات منذ زمـن بعيد، لكـن هذه الانفجارات الدموية لم تكن لتعم كل إسبانيا بل بقيت ظواهر محلية متلونـة بأكثـر الألوان تعددا، وغالبا بأشد الألوان رجعية. ولما كانت كل الثورات الإسبانية مجـرد ثورات صغيرة فإن الانتفاضات الفلاحية كانت عبارة عن حروب صغيرة، لذا فإن إسبانيا بلد ممتاز لحرب العصابات.

2- الجيش الاسباني في السياسة:

نشأت في إسبانيا بعد حربها مع نابليون[36] قوة سياسية جديدة: إنها ضباط الجيـش. هذا الجيل الشاب من الطبقات الحاكمة وريث بقايا الإمبراطورية التي كانت عظيمة في يوم من الأيام والذي تدنت مرتبته الاجتماعية كثيرا.

في بلد الإقليمية والانفصالية هذا لابد أن يكون للجيش أهمية كبيرة كقوة ممركـزة. وهو لم يصبح مجرد دعامة للملكية بل أيضا وسيلة للتعبير عن عدم رضى كل شرائح الطبقات الحاكمة. فتجنيد ضباطه يتم، كما في البيروقراطيـة، من تلك العناصـر الكثيرة جدا في اسبانيا التي تريد من الدولة، قبل كل شيء آخر، تأمين وسائل عيشها. ولما كان عدد الطامحين من المجتمع «المثقف» يتجاوز كثيرا مناصب الدولة والبرلمان وباقي المناصب. فإن عدم رضى الذي لم يصل إلى مبتغاهم كان يغذي المعسكـر الجمهوري غير المستقر. شأنه في ذلك باقي التجمعات في اسبانيا. وبما أن عدم الاستقرار هذا كان يخفي سخطا اجتماعيا حادا وأصيلا فإن الحركة الجمهوريـة كانـت تقدم بين الفينة والأخرى مجموعات ثورية شجاعة وصلبة ترى في الجمهوريـة شعارا سحريا للخلاص.

يبلغ العدد الكلي للجيش الاسباني حوالي 170 ألف منهم 13 ألف ضابـط، وإلى ذلـك سنضيف قوات البحرية البالغ تعدادهـا 15 ألف. هذا هو سلاح الطبقـات الحاكمـة. وبما أن الهيئات القيادية تشرك قواعد الجيش في مؤامراتها فهذا يخلق الشروط لحركة مستقلة للجنود. فيما مضى انخرط ضباط الصف في السياسـة بدون الضباط، وحتـى ضدهم. فضباط صف حامية مدريـد أجبروا الملكية على تقديم دستور عام 1836. وفي عام 1866 قام رقبـاء المدفعية الساخطون على أنظمة الجيش الأريستوقراطيـة بتمرد مسلح. ورغم ذلك بقيت القيادة بأيدي الضباط وظل الجنود العاجزون سياسيا يسيرون خلف قادتهم الساخطين، علما بأن سخط الجنود كانت تغذيـه قـوى اجتماعية أشد عمقا.

تتوافق التناقضات داخل الجيش عموما مع فرع الخدمة. فكلما كان السلاح أكثر تطورا، أي كلما كان يتطلب من الجنود والضباط ذكاء أكبر، كلما كانوا –والكلام بشكل عـام– أكثر استجابة للأفكار الثورية. ففي الوقت الذي تميل فيه الخيالة عموما للملكيـة نرى المدفعية تشكل نسبة كبيرة من الجمهوريين. ولا غرابة في أن القوى الجوية الجديدة، الفرع الأحدث، وقفت إلى جانب الثورة وجلبت معها بعضا من المغامرة الفردية التي استفتهـا من مهنتها. ويبقى القول الفصل للمشاة.

إن تاريخ اسبانيا تاريخ الاضطرابات العسكرية المستمرّة، إذ أن الانقلابات العسكريـة وثورات القصر كانت تجري في أعقاب بعضها البعض. وطوال القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين ظلت الأنظمة السياسية تتغيّر، ومع كل تغير كانـت تتبدّل حكومات لا حصر لها Kaleidoscopically فالملكية الإسبانية التي لم تقدم لها أي من الطبقات السائدة ما يكفي من الدعم الوطيد – مع أنهم جميعـا كانـوا يحتاجونهـا غالبا ما كانت تجد نفسها تعتمد على جيشها فقط. وتشتت الأقاليم كان يسم المؤامرات العسكرية بميسمه. فالتنافس بين المجموعات الحاكمة لم يكن إلا تعبيرا خارجيـا عن افتقار الثورة الإسبانية لطبقة حاكمة. ولهذا السبب تحديدا كانت الملكية تنتصر على كل ثورة جديدة. وبعد كل انتصار جديد كانت الأزمة المستعصية تنفجـر مـن جديد. فالأنظمة التي كانت تقتلع بعضها بعضا لم يتمكن أي منها من ترسيخ جـذوره، وإذ سرعان ما كانت ترهق نفسها وهي تصارع المشاكل الناجمة عن ضآلة الدخل القومي العاجز عن إشباع شهوات الطبقة الحاكمة وطموحاتها. لقد رأينـا على وجـه التحديد الشكل المخجل الذي أنهت به الديكتاتوريـة العسكريـة الأخيرة أيامهـا: لقد سقط بريمودي ريفيرا المتجهّم حتى بدون انقلاب عسكري جديد، لقد هبـط ببساطة هبوط دولاب يمر على مسمار.

كل الثورات الإسبانية كانت عبارة عن تحركات أقلية ضد أقلية أخرى: فالطبقـات الحاكمة أو شبه الحاكمة كانت تتخاطف فطيرة الدولة

---

[34]- كانت قيمة البيزيتا 11.6 سنت أمريكي عام 1930 أمّا عام 1972 فكانت قيمتها 1.5 سنت.

[35]- شارل الخـامس 1500–1558: كان الامبراطور الروماني المقدس بين 1519–1556 وكان أيضا ملـك إسبانيا بين 1516–1556 باعتباره كـارلوس الأول.

[36]- الحرب مع نابوليون: استسلمت الملكية الاسبانية لنابوليـون عام 1808 لكن الجيش البريطاني بقيادة دون ولنغتون - wellington طرد الفرنسيين في حرب الاستقلال واستقدم فرديناند السابع ليتولى العرش.

من أيدي بعضها البعـــض بصبر نافذ.

إذا كنا نفهم من عبارة «الثورة الدائمة» تعاقب الثورات الاجتماعية الذي ينقل السلطـــة إلى الطبقة الأكثر ثورية بحيث تستخدمها لإلغاء الطبقات، وبالتالي لإلغاء إمكانيـــة كل ثورة جديدة فنحن نقول: رعغـم «عدم انقطاع» الثورات الإسبانية فليس فيهـــا ما يشبه الثورة الدائمة. إنها أقرب إلى الاضرابات المزمنة المعبرة عن مرض عضـــال لأمة تخلفت كثيراً.

مما لا شك فيه أن الجناح اليساري من البورجوازية، المثقفين الشبـــاب تحديـــدا، أخذ على عاتقه منذ زمن طويل مهمة تحويل اسبانية إلى جمهورية. وجرت العادة أن يقوم الطلاب الإسبان المستقطبون من بين صفوف الشبيبة الساخطة لنفس الأسبـــاب العامة لاستقطاب الضباط، جرت العادة أن يقوموا بممارسة نفوذ يفوق كثيرا نسبتهم العددية. في حين أن سيطرة الرجعية الكاثوليكية أوقدت لهيب المعارضة داخل الجامعات وأعطته طابعا مضادا للدين. ولكن على أية حال فإن الطلاب لا يخلقون نظامـــا، تتميز الأنساق العليا من الجمهوريين الإسبان ببرنامج اجتماعي محافظ إلى أبعد الحدود، وهي ترى مثلها في فرنسا الرجعية الحالية، وتعتقد أنها ستمتلك الثروة بامتلاكهـــا الجمهورية. فهذه الأنساق لا تميل إلى، وحتى غير قادرة على، اختطاط طريق اليعاقبة[37] الفرنسيين وخوفها من الجماهير أشد من عدائـها للملكية.

إذا كانت شقوق قمة المجتمع البورجوازي في إسبانيا تملوها العناصر المنحدرة مـــن الطبقات العليا، أي الساعين الكثر وراء الدخل والمناصب، فإن من يملأ الشقـــوق الدنيا، شقوق الأساس. هي العناصر المنحدرة من البروليتاريـــا، أي حثالـــة البروليتاريـــا كثيرة العدد. عاطلون عن العمل بحلل مبهرجة وعاطلون عن العمل بالأسمـــال. هذه البروليتاريا هي الأخطر على الثورة إلا إذا وجدت قاعدة دعمها الحقيقية وقيادتها السياسية.

ست سنوات من ديكتاتورية بريمودي ريفيرا قمعت وسحقت كل سخط وتمرد، لكنهـــا حملت من أحشائها علة الملكية التي لا براء لها: كانت قوية في مواجهة كل طبقة على حدة ولكنها عاجزة عن مواكبة ركب المتطلبات التاريخيـــة للبلد. وهذا العجـــز أدّى إلى تحطيم الديكتاتورية على صخرة الصعوبات المالية وباقي المشكلات قبل أن تتمكن الموجة الثورية الأولى من الوصول إليها. لقد أوقظ سقوط دي ريفيرا كل أشكـــال السخـــط والأمل وبهذا أصبح الجنرال بيرنغوير بمثابة بواب الثورة.

3- البروليتاريـــا الإسبانية والثورة الجديدة:

من النظرة الأولى نرى في هذه الثورة نفس العناصر التي رأيناها في سلسلـة الثورات السابقة: الملكية الغادرة والزمر المجزأة من المحافظين والليبراليين الذين يحتقـرون الملك ويزحفون على بطونهم أمامه والجناح اليميني من البورجوازيين دائم الاستعداد للخيانة والجناح اليساري للجمهوريين الجاهز دوما للمغامرة والضباط المتآمريـــن الذين يريد بعضهم الجمهورية والبعض الآخر الترقية والطلاب الهائجين الذيـــن ينظر إليهم آباؤهم بعين الحذر وأخيرا العمال المضربين المبعثرين بين عدة تنظيمات والفلاحين الذين وصلوا إلى حمل المذاري وحتى البنادق.

ولكن من الخطأ الفادح الافتراض بأن الأزمة الحالية تنتشر على منوال الأزمات السابقة أو على شاكلتها لأن العقود الأخيرة، وخصوصا سنوات الحرب العالميـــة، أسفـــرت عن تغييرات هامة على صعيد اقتصاد البلد وتركيبها الاجتماعي. صحيح أن إسبانيا لا تزال في مؤخرة أوربا: لكنها خبرت تطورها الصناعي الخاص سواء في مجال الصناعة الثقيلة أو الخفيفة. فأثناء الحرب تطورت كثيرا الصناعات المنجمية والنسيجية وبنـــاء المحطات الهيدروكهربائية... الخ ونشأت المراكز والمناطق الصناعية في طول البلاد وعرضها، وهذا ما أوجد علاقة جديدة للقوى وفسح في المجال أمام منظورات جديـــدة.

إن نجاح التصنيع لم يخفف التناقضات الداخلية وإنما أججها لأن الظرف الذي إزدهرت به صناعة إسبانيا، البلد المحايد في ظل مزراب الذهب المتدفق عليها من جراء الحرب، هذا التصنيع تحول إلى مصدر جديد للمصاعب بعد إنهـــاء الحرب عندما تلاشـــى الطلب الأجنبي المتزايد على البضائع الإسبانية. لم تختف الأسواق الخارجيـــة فحسب حصة اسبانيـــا الآن من التجارة العالمية أقل مما كانت عليه قبل الحرب (كانـت 1.2 % أما الآن فهي 1.1 %) – بل كانت الديكتاتورية مضطرة أيضا للدفاع عن سوقها الداخلي من وجه تدفق السلع الأجنبية، وساعدها على ذلك ارتفاع تعرفة الحواجز الجمركيـــة في أوروبا. فارتفاع التعرفة الجمركية أدى إلى ارتفاع الأسعار الذي أدى بدوره إلى إنقاص القدرة الشرائية للشعب والتي هي قليلة أصلا. ولهذا السبب لم تنهض الصناعـــة بعد الحرب من رقادها. وهذا ما يتجلى بالبطالة المزمنة من جهة وبالانفجارات الحـــادة للصراع الطبقي من جهة أخرى.

إن مقدرة البورجوازية الإسبانية الآن على القيام بالدور التاريخي الذي قامت به فيمـــا مضى البورجوازيتان البريطانية والفرنسية أقل مما كانت عليه حتى في القرن التاسع عشر. فالبورجوازية الصناعية الكبيرة التي ظهرت متأخرة جدا في اسبانيا والمعتمدة على رأس المال الأجنبي والملتصقة كعلقة على جسد الشعب ليست قادرة على البروز كقائدة «للأمـــة» ضد الملكيات الإقطاعية ولو لفترة قصيرة لأنها معادية للشعب وتشكل حلفا رجعيا مع أصحاب البنوك وكبار ملاكي الأراضي ومع الملكية وجنرالاتها وموظفيها، وكلهم يلتهمون بعضهم بعضا في صراع داخلي. ويكفي أن نذكر أن صناعيي كاتالونيا كانـــوا أهـــم داعمي ديكتاتورية بريمودي ريفيرا.

لقد قوّى التطور الصناعي البروليتاريا وأوقفها على أقدامها. فمن بين الـ 23 مليون من السكان – كان يمكن أن يكونوا أكثر لولا الهجرة –

[37]- اليعاقبة هم المجموعة السياسية الأكثر جذرية في الثورة الفرنسية. سيطروا على السياسة الفرنسية منذ إسقاط الجيروند عام 1791 حتى تيرميدور 1794.

ثمة حوالي 1.5 مليون عامل في الصناعة والتجارة والنقل. وإليهم يمكن أن نضيف حوالي نفس الرقم من عمـــال الزراعـــة. كانت الحياة الاجتماعية في اسبانيا محكومة بالدوران في حلقة مفرغة ما لم توجد طبقة قادرة على تولي حل المسألة الثورية. إلاّ أن ظهور البروليتاريا على ساحة الصراع التاريخي يغير الوضع جذريا ويفسح المجال أمام احتمالات جديدة. وحتى نفهم هذا كما ينبغي يجب أن نفهم في البداية أن السيطرة الاقتصادية للبورجوازية وتنامي الأهمية السياسية للبروليتاريا يمنع البورجوازية الصغيرة تحديدا من احتلال موقع قيادي في حياة البلد السياسية. إن السؤال حول إمكانية الاضطرابات الثورية الحالية على توليـد ثورة حقيقيـة قادرة على إعادة تنظيم أساس الحياة على المستوى القومي، هذا السؤال يتحول مباشرة إلى: هل يمكن للبروليتاريا أن تتولى قيادة الحياة على المستوى القومي أم لا؟ ليس هناك غيرها من يطالب بهذا الدور في الأزمة الاسبانية. وعلاوة على ذلك فإن التجربة التاريخية في روسيا أوضحت بما فيه الكفاية مدى الثقل النوعي الذي تتمتع به البروليتاريا التي وحّدتها الصناعة الكبيرة داخل بلد زراعي متخلف وواقع ضمن شبكة علاقات نصف إقطاعية.

صحيح أن العمال الاسبان قاموا بدور كفاحي في القرن التاسع عشر ولكن دوما بقيـادة البورجوازية، ودوما في النصف الثاني كقوة ثانوية. لقد تعزز دورهم والثوري المستقل في الربع الأول من القرن العشرين. فانتفاضة برشلونة 1909[38] أظهرت مـــدى الطاقة الثورية الكامنة في بروليتاريا كاتالونيا الشابة. كما أن العديـد من الإضطرابـات تحولت إلى انتفاضات علنية في مناطق أخرى من البلاد، إذ أضرب عمال السكك الحديدية عام 1912 وصارت المناطق الصناعية ساحات لكفاح البروليتاريا الباسلـــة. لقد أظهر العمال الاسبان تحررهم الكامل من الروتين ومقدرتهم على التجاوب السريع مع الأحداث وعلى رص صفوفهم بشجاعة أثناء الهجوم.

كانت السنوات الأولـــى لما بعد الحرب 1917-1920. والأدق السنوات الأولـــى لما بعد الثورة الروسية، سنوات المعارك الكبيرة للبروليتاريا الاسبانية. فقد شهد عـــام 1917 إضرابا ثوريا عاما مهدت هزيمته، وهزيمة بعض المعارك اللاحقة، الطريـق أمـــام ديكتاتورية بريمودي ريفيرا. وعندما طرح انهيار الديكتاتورية مرّة أخرى بكـل ثقله مسألة المصير اللاحق للشعب الاسباني، وعندما تبين أن الخلاص لا يمكن توقعه مـــن مسعى الزمر القديمة الجبان ولا من العويل العقيم لراديكاليي البورجوازية الصغيـرة، صرخ العمال بالشعب عبر سلسلة إضرابات ناجحة: **نحن هنا.**

يحلو للصحفيين البورجوازيين الأوروبيين «اليساريين» والاشتراكييـــن الديموقراطيين السائرين في ركابهم أن يتفلسفوا بخصوص الثورة الاسبانية ليقولوا إنها ستكون مجرد نسخة أخرى عن الثورة الفرنسية العظمى بعد تأخر مائة وخمسين عامـــا. إن شرح مسألة الثورة لهؤلاء كمناقشة الأعمى في مسألة الألوان لأن إسبانيا بكل تخلفها تجاوزت كثيرا فرنسا القرن الثامن عشر. فالمشاريع الصناعية الكبرى وعشرة آلاف ميل من السكك الحديدية وثلاثين ألف ميل من التلغراف أهم بكثير، بالنسبة للثورة، من المخلفات التاريخية.

أمّا المجلة الانجليزية الشهيرة الايكونومست فتحاول أن تقدم خطوة إلى الأمام عندمـا تقول عن الأحداث الإسبانية «نجد هنا رياح باريس 1948 و1871 أكثر مما نجـــد رياح موسكو 1917». لكن باريـــس 1871 هي خطوة من 1848 باتجـــاه 1917، ومعارضة هذه بتلك محاولة عقيمة. والنتيجة التي توصل إليها تاركين Tarquin[39] في السنة الماضية في مجلة «صراع الطبقات» La Lutte Classes أكثر جدية وعمقا «إن البروليتاريا (الاسبانية) المدعومة من الجماهير الفلاحية هي القوة الوحيدة القادرة على الاستيلاء على السلطة» بالمنظور التالـــــي «لا بد لهذه الثورة أن تقيم ديكتاتوريـــــة البروليتاريا التي ستنفذ الثورة البورجوازية وتفتح الطريق بشجاعة أمام البناء الاشتراكي». وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تطرح بها المسألة الآن.

4- برنـــامج الثورة

الجمهورية الآن هي الشعار الرسمي للنضال، لكن تطور الثورة سيدفع إلى راية الملكيـة ليس فقط المحافظين والليبراليين بل أيضا الأقسام الجمهورية من الطبقـات الحاكمة. فأثناء ثورة 1854 كتب كانوفاس ديل كاستيل Canovas del Castillo[40] «نحن نناضل حفاظا على العرش ولكن من غير بطانة تكون وصمة عار في الجبين». والآن يقـــوم السنيور رومانونز Romanones وآخرون بتطوير هذه الفكرة العظيمة كما لو أن الملكية، وخصوصا في اسبانيا، ممكنة بدون بطانة.

من المؤكد أنه يمكن قيام جملة ظروف تضطر فيها الطبقات المالكة للتضحية بالملكيـة إنقاذا لجلدها (ألمانيا على سبيل المثال) ولكن على الأرجح أن ملكية مدريد نفسها ستبقى حتى يحين موعد انتصار ديكتاتورية البروليتاريا. مما لا شك فيه أن شعار الجمهوريـة هو أيضا شعار العمال: لكن قيامها لا يعني بالنسبة لهم استبدال الملك برئيـــس وإنما تطهير كل المجتمع من بقايا الإقطاع. وبهذا تكون الأهمية الأولى للمسألة

---

[38]- انتفاضة برشلونة لعام 1909: كان نتيجتها مأسي «الأسبوع المأســـاوي» عندما اندلعت المظاهـــرات احتجاجا على الأمر بإرسال جنود الاحتياط الكاتالونييـــن إلـــى المغرب. وتم أثناء الانتفاضة إحراق 48 كنيسة لكن الحكومة المركزية قامت بسحـــــق المظاهرات.

[39]- Tarquin: هو الاسم الحركي لأندريه نـــن قائد المعارضة اليسارية الاسبانية حتى عام 1935 عندما حدثت القطيعة بينه وبين تروتسكي واندمج مع «حلف العمال والفلاحين» الذي يقوده مورين ليشكلا «حزب العمال للتوحيد الماركسي».

- (الصراع الطبقي) هي المجلة النظرية الشهرية للمعارضة اليسارية الفرنسية.

[40]- أنتونيو كانوفاس دي كاستيلو: سياسي محافظ قام بصياغة الدستور في ظل الملكية الذي تمت استعادته بعد الجمهورية الأولى.

- الكونت Alvare de Figueron de Romanoes 1836–1905: رجل دولة ملكي وملاك عقاري كبير في Gavadalajara وأهم مالك للعزب الحقيقية في مدريد.

الزراعية.

تمثل العلاقات في الريف الإسباني صورة للاستغلال شبه الإقطاعي. فإفقار الفلاحين، خاصة في الأندلس وكستيلي، واضطهاد ملاك الأراضي والسلطات والمخاتير كثيرا ما دفع العمال الزراعيين والفلاحين على طريق التمرد العلني. فهل يعني هذا أنه يمكن تطهير العلاقات الرأسمالية من العلاقات الإقطاعية حتى أثناء الثورة؟ أبدا. إنه يعني أنه في ظل الأوضاع القائمة في اسبانيا لابد للرأسمالية من استخدام الوسائل الإقطاعية لاستغلال الفلاحين. لذا فتوجيه سلاح الثورة ضد بقايا العصور الوسطى في اسبانيا سيعني توجيه ضد جذور النظام البورجوازي نفسها.

تحتاج البروليتاريا لبرنامج ديموقراطي ثوري واضح لكي تبعد الفلاّحين عن ضيق الأفق المحلي وعن التأثيرات الرجعية. إن توقهم للأرض وعبوديتهم الناجمة عن الريع المرتفع يفرضان طرح **مصادرة الأراضي الخاصة** لصالح الفلاحين الفقراء. وعبء الموارد المالية للدولة والدين الحكومي الذي لا يحتمل والنهب البيروقراطي والمغامرات الأفريقية، كل هذه الأمور تستدعي ضرورة قيام حكومة قليلة المصاريف، وهي ما لا يمكن أن يقيمها كبار ملاكي الأراضي ولا أصحاب البنوك والصناعيون ولا النبلاء الليبراليون. حكومة كهذه لا يمكن أن يقيمها إلاّ الكادحون أنفسهم.

أما سيطرة رجال الدين وملكية الكنيسة فتطرح المسألة الديموقراطية المتمثلة في **فصل الكنيسة عن الدولة وتجريدها من ملكيتها وتحويلها لصالح الشعب.** وهذه الخطوة الحاسمة ستؤيدها حتى القطاعات الفلاحية المؤمنة بالخرافة أشد الإيمان عندما تقتنع أن مبالغ الميزانية المخصصة للكنيسة، وثروة الكنيسة نفسها، لن تذهب من جراء هذا الفصل إلى جيوب الليبراليين الملحدين، كما هو واقع الآن، بل لرعاية الأراضي الفلاحية المنهكة.

والاتجاهات الانفصالية تزود الثورة بالمهمة الديموقراطية المتمثلة في **حق تقرير المصير**، وقد برزت هذه الاتجاهات في شتى مظاهر الحياة في عهد الديكتاتورية. ولكن في الوقت الذي تكون فيه «انفصالية» البورجوازية الكاتالونية مجرد بيدق شطرنج في لعبتها مع حكومة مدريد فإن انفصالية العمال والفلاحين إن هي إلاّ غلاف لتمردهم الاجتماعي. لذا يجب التمييز بدقة بين هذين الشكلين من الانفصالية. ورسم الخط الفاصل بين العمال والفلاحين والمضطهدين قوميا وبين بورجوازيتهم يتطلب من طليعة البروليتاريا اتخاذ الموقف الأكثر جرأة وإخلاصا في تناول مسألة حقّ تقرير المصير سيدافع العمال مطلق الدفع عن حق الكاتالونيين والباسكيين في تنظيم شؤون حياتهم بشكل مستقل عندما تعبر أغلبية هاتين القوميتين عن رغبتهما في الانفصال الكامل. لكن هذا بالطبع لا يعني قيام العمال الطليعيين بدفع الكاتالونيين والباسكيين على طريق الانفصال. على العكس فالوحدة الاقتصادية للبد في ظل **حكم ذاتي واسع للمناطق القومية** سيحقق للعمال والفلاحين فوائد جمة من الناحيتين الاقتصادية والثقافية.

من غير المستبعد أن تحاول الملكية قطع الطريق على التطور اللاحق للثورة عبر ديكتاتورية عسكرية جديدة، لكن المستبعد هو النجاح الفعلي لهذه المحاولة على المدى الطويل. إن درس بريمودي ريفيرا لا يزال ماثلا للعيان وقيود الديكتاتورية الجديدة ستوضع على القروح التي لم تبرأ من قيود الديكتاتورية القديمة. فالملك يرغب بالمحاولة، حسب أقوال الصحف، وها هو يفتش قلقا بحثا عن مرشح كفء لكنه لا يجد متطوعين. يقينا إن تحطم ديكتاتورية عسكرية جديدة سيكون باهظ الثمن بالنسبة للملكية وممثلها الأبرز أما الثورة فستكسب زخما قويا. ويستطيع العمال أن يقولوا للطبقة المالكة: فلنتراهن أيها السادة.

هل يمكننا أن نتوقع من الثورة الاسبانية أن تتجاوز المرحلة البرلمانية؟ هذا غير مستبعد نظريا، إذ من المفهوم أنه يمكن للحركة الثورية في غضون فترة قصيرة نسبيا أن تمتلك قوة كبيرة بحيث لا تترك للطبقات الحاكمة لا الزمان ولا المكان من أجل البرلمانية. لكن هذا المنظور غير وارد عمليا لأن البروليتاريا الاسبانية، ورغم كفاحيتها، لا تعرف حزبها الثوري ولا خبرة لها بتنظيم السوفييتات بالإضافة إلى غياب الوحدة بين صفوف الشيوعيين المشتتة وغياب برنامج عمل واضح يقبل به الجميع، كل هذا قائم في الوقت الذي تنطرح فيه مسألة الكورتس على جدول الأعمال. في ظل هذه الأوضاع لا بد لنا أن نفترض أن الثورة ستمر عبر المرحلة البرلمانية.

وهذا لا يستثني إطلاقا اللجوء إلى تكتيك مقاطعة الكورتس المزيف لبير نغوير تماما كمقاطعة العمال الروس الناجحة لدوما بوليغين Bulygin التي أدت إلى انهيارها[41]. فتحديد تكتيك المقاطعة ينبغي أن يتقرر استنادا إلى علاقة القوى في مرحلة معينة.

وحتى في الوقت الذي تجري فيه مقاطعة كورتس بير نغوير ينبغي على العمال الطليعيين أن يطرحوا في مواجهته شعار **الكورتس التأسيسي الثوري.** يجب أن لا نألوا جهدا في كشف خداع الكورتس **التأسيسي** الذي تتشدق به البورجوازية «اليسارية» التي تريد في الحقيقة كورتس مساومة يلقي الحظوة عند الملك وبير نغوير ويهدف إلى المساومة مع الشلل الحاكمة القديمة ذات الامتيازات. لا يمكن لجمعية تأسيسية حقيقية أن تنعقد إلاّ في ظل حكومة ثورية. وهذه الحكومة لن تكون إلاّ نتاج انتفاضة مسلحة ناجحة يقوم بها العمال والجنود والفلاحون.

يمكننا، بل يجب علينا، أن نواجه كورتس المساومة بالكورتس الثوري. ولكن علينا ألا ننسى أنه من غير الصحيح في هذه المرحلة أن نتخلى عن الكورتس الثوري. إن طرح شعار ديكتاتورية البروليتريا في مواجهة مشكلات وشعارات الديموقراطية الثورية (الجمهورية –

[41] - دوما بوليغين: سميت باسم الوزير القيصري للشؤون الداخلية وكانت عبارة عن هيئة برلمانية مزيفة تأسست عام 1905 وكانت تتمتع بسلطة ضئيلة. تم انتخابها عبر اقتراع عام مقيد إلى حدّ كبير وكان القيصر يعتبرها هيئة استشارية لا تشريعية. واحتفظ القيصر بحق دعوتها إلى الاجتماع أو حلها كما يحلو له.

الثورة الزراعية – فصل الكنيسة عن الدولة – مصادرة ممتلكات الكنيسة – حق تقرير المصير – الجمعية التأسيسية الثورية) لن يكون إلا مذهبية في غاية البؤس والعقم. فقبل أن تستولي الجماهير على السلطة يجب أن تلتف حول الحزب البروليتاري القائد. كما أن النضال من أجل التمثيل الديموقراطـــي في الكورتس، في هـــذه أو تلك من مراحل الثورة، يمكن أن يسهل هذه المسألة إلى حد بعيد.

إن شعار **تسليح العمال والفلاحين** (إنشاء ميليشيا العمال والفلاحين) يجب أن يكـــون ذا أهمية قصوى في النضال. ولكن يجب في هذه المرحلة أن يرتبط وثيق الارتباط بقضايا الدفاع عن منظمات العمال والفلاحين والثورة الزراعية وضمان الانتخاب الحر وحماية الشعب من الانقلابات العسكرية الرجعية.

على الحزب البروليتاري أن ينقش على رايته برنامجا ثوريا **للتشريع الاجتماعي**، وخصوصا التأمين ضد البطالة وإلقاء عبء الضرائب على كاهل الطبقات الغنية والثقافة الشعبية الحرة، أي كل هذه الإجراءات وغيرها التي لا تتجاوز في ذاتها إطار المجتمع البورجوازي.

وإلى جانب هذه المطالب علينا أن نقدم من الآن مطالب ذات أهمية انتقاليـــة: تأميـــم سكك الحديد –كلها ملكية خاصة– وتأميم المناجم والبنوك وسيطرة العمال على الصناعة وأخيرا تنظيم الدولة للاقتصاد. كل هذه المطالب مرتبطة بالانتقال من النظام البورجوازي إلى الاشتراكي لأنها تعد العدة له. وهكذا بعد تأميم البنوك والصناعـــــة يمكـــن لهذه الإجراءات أن تصبح جزءا من منظومة خطوات تفضي إلى اقتصاد يمهد الطريق إلى المجتمع الاشتراكي.

من يرى تناقضا بين الشعارات الديموقراطية والشعارات الانتقالية أو الاشتراكية المحضة هم المتحذلقون فقط لأن هكذا برنامج مشترك، باعتباره يعكس التركيب المتناقـــض لصيرورة المجتمع تاريخيا، إنما ينبثق حتما من تنوع المشاكل الموروثة عن الماضي. إن اختزال كل هذه التناقضات والمهام إلى **ديكتاتورية البروليتاريا** باعتبارها القاسم المشترك أمر لابد منه ولكن غير كاف بتاتا. وحتى إذا استطردنا وافترضنا أن طليعـــــــة البروليتاريا قد استوعبت فكرة أن ديكتاتورية البروليتاريا فقط هي القادرة على إنقاذ إسبانيا من استمرار تفسخها فتبقى مشكلة التحضير ماثلة بكل قوتها: كيفية توحيـــد القطاعات غير المتجانسة وشغيلة القرى المتنافرين حول الطليعة. عندما نفصل ديكتاتورية البروليتاريا الصرفة عن المهام المحددة تاريخيا والتي تدفع الجماهير الآن علـــى طريق التمرد فهذا يعني أن نستبدل بالمفهوم الماركسي للثورة الاجتماعية مفهوم باكونيـــــن[42]، وهذا أضمن طريق لدمار الثورة.

من البديهي أن الشعارات الديموقراطية لا تهدف إلى تقريب البروليتاريا من البورجوازية الجمهورية، لا بل إنها ترسي الأساس لصراع ظافر ضد البورجوازية اليسارية وتكمن من كشف طبيعتها المضادة للديموقراطية في كل خطوة تخطوها كلما كانت الطليعة البروليتارية أكثر شجاعة وتصميما وصلابة في النضال من أجل الشعارات الديموقراطية كلما استقطبت الجماهير أسرع وكلما كان تقويضها لأسس دعم الجمهوريين البورجوازيين والاشتراكيين الإصلاحيين أسرع. وكلما سارعت خيرة عناصر الجماهير بالانضمام إلينا كلما تسارع التطابق في أذهان الجماهير بين الجمهورية الديموقراطية والجمهورية العمالية.

حتى تتحول الصيغة النظرية الصحيحة إلى حقيقة تاريخية ملموسة يجب أن تنفـذ إلى وعي الجماهير استنادا إلى تجربتها وحاجاتها. ولتحقيق ذلك علينا أن نتجنب الغـوص في وحل التفاصيل كيلا نربك وعي الجماهير. يجب أن يتم التعبير عن برنامج الثـــورة بعـــدة شعارات واضحة وبسيطة تختلف حسب دينامية الصراع. وهذا تحديدا ما تتألـــف منـــه السياسة الثورية.

5- الشيوعية والفوضوية السنديكالية والاشتراكية الديموقراطية

لقد بدأت قيادة الكومنترن، كالمعتاد، بالتغاضي عن الأحداث الإسبانية[43] ومؤخـرا أعلن مانويلسكـــي، «قائـــد» البلدان اللاتينية، أن الأحداث الإسبانيـــــــــة لا تستحق الاهتمام. تفضلوا ! لقد سبق لهؤلاء الناس أن أعلنوا عام 1928 أن فرنســـــا علـــى حافة الثورة. إذن بعدما قاموا طويلا بتشييع الجنازات على موسيقى الأعـــــراس لم يبق أمامهم إلاّ أن يستبقوا الزفاف على أنغام موسيقى الجنازات، وإذا تصرفـــوا خـــلاف ذلك فهذا يعني أنهم يخونون أنفسهم. ومع ذلك عندما تبين لهم أن الأحـــداث، التـــي لم يتم التنبؤ بها في تقويم المرحلة الثالثة[44]، تابعت تطورها بقي قادة الكومنترن صامتين. وهذا ينم عن وقار شديد. لكن أحـــــداث كانون الأول جعلت استمـــرار الصمـــت ضربا من المستحيل[45]. ومرة أخرى، وبالانسجام التام مع التقاليـــد، انعطـــف قائد البلدان اللاتينية بمقدار 180°: لا زلنا نذكر مقالته في البرافدا 17

---

[42]- ميخائيل باكونيـــن 1814–1887: معاصر لماركس في الأممية الأولى ومؤسس للفوضوية. طرح نظرية عن الاتحاد اللادولتي للتجمعـــات المحكومـــة ذاتيـــــــا.

[43]- الكومنترن (الأممية الشيوعية أو الثالثة) تشكلت في ظل قيادة لينين كوريث للأممية الثانية. اعتبر تروتسكي أطروحات المؤتمرات الأربع الأولى للكومنترن حجر الزاوية البرنامجي للمعارضة اليسارية وفيما بعد للأممية الرابعة.

- ديمتري مانويلسكي 1883–1952: كان كتروتسكي عضوا في المجموعة الماركسية المستقلة التي اندمجت مع الحزب البلشفي عام 1917. دعم مجموعة ستاليـــــن في العشرينات وكان سكرتيرا للكومنترن بين 1933–1943، رغم إشـــارة تروتسكي له «كقائد للبلدان اللاتينية» فإن القائد الذي عينه الكومنترن لفرعـــــه «اللاتيني» طوال الثلاثينات كان بالميرو تولياتي الذي فرّ من إيطاليا موسولوني عام 1924.

[44]- حسب المخطط الذي أعلنه الستالينيون عام 1928 فإن «المرحلة الثالثة» كانـــت المرحلة الأخيرة للرأسمالية، مرحلة موتها الوشيك وحلول السوفييتات محلهـــــــا. وبناء على ذلك فقد تحدد تكتيك الكومنترن أثناء السنوات الست التالية بالطرف اليساري والمغامرية والنقابات «الحمراء» لعصبوية ومعارضـــة الجبهة الموحـــدة. تم التخلي عن نظرية وممارسة «المرحلة الثالثة» عام 1934 وحل محلهـــا نظرية وممارسة الجبهة الشعبية أو جبهة الشعب (1935–1939). لكـــن المرحلـــــــة اللاحقة لم تعط رقما. كانت «المرحلة الأولى» 1917–1924 (مرحلة الأزمة الرأسمالية والنهوض الثوري) و«المرحلة الثانية»: 1925–1928 (الاستقـــــرار الرأسمالي).

[45]- حدثت أحداث كانون الأول 1930 في أعقاب التمرد المؤيد للجنرالات الجمهوريين في ذلك الشهر في حامية جاكـــــا الذي سرعان ما سحق لكن السخط العـــــام الناجم عن الانتقام من الثائرين أرغم الملك على الدعوة الانتخابات التي جرت في نيسان 1931.

كانـــون الأول.

تسمى هذه المقالة ديكتاتورية بير نغويز، كديكتاتورية بريمودي ريفيرا،» «ديكتاتورية فاشية» موسوليني، ماتيوتي، بيرمودي ريفيرا، ماكدونالد، تشـــان كاي تشيـــك، بير نغوير، دان، كل هؤلاء أشكال مختلفة من الفاشية[46]. عندما يكـــون لديـــك وصف جماهير فلماذا تزعج نفسك بالتفكير؟! وحتى تكونوا شاملين لم يبق لكم إلاّ إضافة نظام النجاشي الحبشي «الفاشي» إلى الكاتالوك. تخبرنا البرافدا أن البروليتاريا الإسبانية لا تتبنى «برنامج الحزب الشيوعي وشعاراته» باضطراد فحسب، بل أيضا» «أصبحت واعية لدورها المسيطر في الثورة» وبنفس الوقت تتحدث الرسائل الصحفيـــة عـن تشكيل سوفييتات فلاحية في إسبانيا.. لقد بات معروفا في ظل القيـادة الستالينيـــة أن أول من تبنى نظام السوفييتات ويقيمها هم الفلاحون (مثال الصين). إذا كانت البروليتاريـا قد «أصبحت واعية لدورها المسيطر» وأم الفلاحين باشروا بتشكيل السوفييتـات تحت قيادة الحزب الشيوعي فهذا يعني أنه يجب اعتبار انتصار الثورة الاسبانيـة أمرا مضمونا – على كل حال إنه مضمون حتى يحين الوقت الذي يقوم فيه ستالينـن ومانويلسكي باتهام ممثليهم الإسبان بعدم تطبيق الخط العام بشكل صحيـح. هـــذا الخط الذي يتكشف أمامنا على صفحات البرافدا جهلا عاما وسخفا عاما. لم يعد بمقدور هؤلاء القادة أن يتعلموا أي شيء بعدما أفسدتهم سياستهم حتى النخاع.

في الحقيقة إن العنصر الذاتي للثورة –الحزب والمنظمات الجماهيرية والشعارات– ورغم زخم النضال، لا تزال مختلفة جدا عن المهمات التي تتطلبها الحركة. وهذا هو الخطـر الرئيسي في الوقت الحاضر.

هذه المرحلة من الثورة –انتشار الإضرابات نصف العفوية التي أدت إلى هزائم أو ضحايا أو انتهت بدون مكاسب– لا يمكن تخيلها إطلاقا. إنها مرحلة استيقاظ الجماهير وتعبئتهم وانخراطهم في النضال. لم تشارك في هذا النضال فقط نخبة العمال بل كل الجماهيـر، ليس فقط عمال المصانع بل أيضا الحرفيون والسائقون والخبازون وعمال البناء والري وأخيرا عمال الزراعة: ذوو الخبرة يوسعون نطاق عملهم والمنخرطون الجدد يتعلمون. فعبر هذه الإضرابات تبدأ الطبقة تشعر بذاتها كطبقة.

يمكن للعفوية التي تشكل في هذه المرحلة مصدر قوة للحركة، أن تصير في المستقبل مصدر ضعفها. وإذا افترضنا استمرار الحركة من تلقاء ذاتها، بلا برنامج واضح وبلا قيـادة، فهذا يعني أننا نفترض منظورا يائسا لأن المطروح ليس أقل من الاستيلاء على السلطـــة. وحتى أشد الإضرابات عصفا لا تحل المشكلة، فما بالك بالإضرابات المكسورة؟!. ما لم تشعر البروليتاريا أثناء النضال في الشهور القادمة أن مهمتهـــا وأساليـب عملها قد أصبحت أكثر وضوحا وأن صفوفها قد قويت وتعززت فسيبدأ التخلخـــل يفعل فعله في صفوفها. إذ أن الشرائح الواسعة التي استثارتها هذه الحركة للمـــــرة الأولى ستعاود سلبيتها، وداخل الطليعة البروليتارية وبقدر ما تشعر بالأرض تميد من تحت أقدامها، سيبدأ النفس الميال للأفعال الحرفية والمغامرة عموما بالانتعاش.

بنهاية كهذه لن يجد الفلاحون وفقراء المدينة عموما قيادة يعتمدون عليها، وسرعـــان ما يتحول استيقاظ الآمال إلى خيبة أمل وإنهاك. بنهاية كهذه سيولد وضع في إسبانيا يكرر إلى حد ما الوضع الذي نشأ في إيطاليا بعد خريف 1920[47]. ولم تكن ديكتاتورية بريمودي ريفيرا فاشية بل ديكتاتورية عسكرية نموذجية لزمرة عسكرية تستند على أقسام معينة من الطبقات المالكة. ولكن بالوضع المشار إليه آنفا –سلبية الحزب البروليتاري وتردده وعفوية الجماهير– ستجد الفاشية الحقيقية قاعدة لها في إسبانيا. فالبورجوازية الكبيرة ستهزم جماهير البورجوازية الصغيرة اليائسة والمحبطة وغير المتوازنة وبالتالي ستجعلها توجه حقدها ضد البروليتاريا. صحيح أننا لا زلنا بعيدين عن هذه المرحلة ولكن يجب أن لا نضيع الوقت.

حتى في حال افتراضنا للحظة أن الجناح اليساري من البورجوازية –الضباط والطلاب والجمهوريـــن– سيقود الحركة الثورية إلى النصـــر، فعقم هذا النصر سيتكشـــف، في التحليل النهائي، أنه والهزيمة سيّـــان. تقوم قاعدة دعم الجمهوريين، كمـــا سبق وقلنا، على علاقات الملكية الحالية. ونحن لا نتوقع منهم تجريد كبار ملاك الأراضي من ممتلكاتهم ولا إلغاء امتيازات الكنيسة وتطهير الإسطبلات القذرة للبيروقراطيـــة المدنية والعسكرية. فالطبقة الملكية ستحل محلها بطانة جمهورية، وسنجد أنفسنا إمّا نسخة جديدة من جمهورية 1873–1874

---

[46]- بنيتيو موسوليـــــــي 1883–1945: ديكتاتور إيطاليا الفاشي من 1922 إلى 1945.

- جياكومو ماتيوتي 1885–1945: نائب اشتراكـــي إصلاحي شجب الدجل البرلماني للفاشيين وأدان إرهابهم في البرلمان الإيطالي ولهذا فتك به جلادو موسوليـــــي.

-رامزي ماكدونـــــالد 1866–1937: أصبح رئيسا للوزراء في أول حكومة عمالية بريطانيـــــــة (1924) لكنه ترك حزب العمال في دورته الثانية (1929– 1931) ليشكل حكومة «وحدة وطنية» مع الثوريين (1931–1935).

المترجم.

- تشان كاي تشيك 1887–1975: القائد العسكري للكومنتانـــغ البورجـــــوازي القوي (حزب الشعب) في الصين أثناء ثورة 1925–1927. كـــان في يمين الكومينتانغ الذي دخل إليه الشيوعيون بناء على أوامر الكومنترن. أشاد الستالينيـــون به باعتباره ثوريا عظيما حتى عام 1927 عندما ارتكب مجزرة دموية شيوعيي شنغهاي ونقابييها.

- فيودور دان 1871–1947: أحد مؤسسي الاشتراكيـــة الديموقراطيـــة الروسية وأحد قادة المناشفة في رئاسة سوفييت بتروغراد عام 1917. كان أثناء الحـــرب الأولـــى داعية سلام وخصما لدودا للثورة البلشفية.

- النجاشي الحبشي: هو لقب هيلاسيلاسي إمبراطور إثيوبيا من 1930–1936 ومن 1941 -...

[47]- إيطاليا بعد خريف 1920، نمت الحركة الثورية في إيطاليا منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وفي أيلول 1920 استولى العمال على المصانع. خاف الاشتراكيون الديموقراطيون وارتدوا إلى الخلف وظلت البروليتاريا بلا قيادة. وبحلول تشرين الثانـــــي حدثت أول مظاهرة كبيرة للفاشية. كان قادة الاشتراكية يأملـــون بعـــودة البورجوازيـــة ضد الفاشية وكبحوا العمال عن مقاومة عصابات موسوليني لكن البورجوازية انتقلت إلى جانب الفاشييـــن. وفي اللحظة الأخيرة دعا الاشتراكيون الديموقراطيون العمال إلى الإضراب العام، لكن العمال المحبطين والمشوشين لم يستجيبـــوا وتمكن الفاشيون من تعزيز قبضتهم. مسار الأحداث هذا كلـــي الوضـــوح فـــي فصل «دروس التجربة الإيطالية» من كتاب تروتسكي «النضال ضد الفاشية في ألمانيا».

العقيمة التي لم تدم طويلا[48].

إن كون الاشتراكيين الديموقراطيين يجرجرون أنفسهم في أذيال القادة الجمهوريين لمن طبيعة الأمور. بالأمس كانت الاشتراكية الديموقراطية تمسك بيدها اليمنى بديكتاتورية بريمودي ريفيرا، وها هي اليوم تمسك بالجمهوريين بيدها اليسرى. فالهدف الرئيسي للاشتراكيين الذين لا يريدون، ولا يستطيعون انتهاج سياسة مستقلة هو المشاركة في حكومة بورجوازية متماسكة، ولتحقيق ذلك لن يرفضوا التصالح حتى مع الملكية.

الجناح اليميني من الفوضويين السنديكاليين ليس محصنا أبدا ضد مصير كهذا، وأحداث كانون الأول درس كبير وتحذير قاس من هذا المجال. لا مجال للاختلاف في حقيقة أن الاتحاد القومي للعمل CNT يضم العناصر الأكثر كفاحية من البروليتاريا طالما أن انتقاءه لعناصره قد تم على مدى سنوات عديدة. لذا فإن تقوية هذا الاتحاد وتحويله إلى منظمة حقيقية للجماهير مهمة كل عامل طليعي ومهمة الشيوعيين قبل الجميع. يمكن أن يساعد في هذا الاتجاه العمل داخل النقابات الإصلاحية وفضح خيانة قادتها بلا كلل ودعوة العمال إلى الاتحاد في اتحاد نقابي واحد. وظروف الثورة ستساعد كثيرا على إنجاز هذا العمل.

وبنفس الوقت ما من أوهام لدينا، مهما تكن، بخصوص الفوضوية السنديكالية كمذهب وأسلوب نضال. فالفوضوية السنديكالية التي تفتقد البرنامج الثوري ولا تفهم دور الحزب إنما تجد العمال من سلاحهم. «يشجب» الفوضويون السياسة حتى تضغط على أنفاسهم ليقوموا من ثم بالتمهيد لسياسة العدو الطبقي. وهذا ما حصل في كانون الأول. إذا اكتسب الحزب الاشتراكي موقع القيادة أثناء الثورة فسيقوم بشيء واحد: صب السلطة التي كسبتها الثورة في المنخل الجمهوري لتنتقل عبره مباشرة إلى مالكيها الحاليين وبهذا يكون الإجهاض مصير الجنين.

يمكن للفوضويين السنديكاليين أن يقدموا الثورة فقط إذا تخلوا عن آرائهم الفوضوية، وواجبنا مساعدتهم في ذلك. من المفترض أن يذهب قسم من قادة الفوضويين السنديكاليين إلى الاشتراكيين أو أن تلقي بهم الثورة على قارعة الطريق، أمّا الثوريون الحقيقيون فسيكونون معنا وستنضم جماهير جماهيرهم إلى الشيوعية وكذلك ستفعل غالبية العمال الاشتراكيين.

تكمن ميزة الوضع الثوري في أن الجماهير تتعلم فيه بسرعة. وتطور الجماهير سيقود حتما إلى اختلافات وانشقاقات ليس فقط داخل الاشتراكيين بل أيضا داخل السنديكاليين. وفي سياق الثورة ستقوم لا محالة اتفاقات مع السنديكاليين الثوريين وسننجز هذه الاتفاقات بإخلاص، ومن الخطأ الفادح تضمين هذه الاتفاقات بعضا من الازدواجية والتكتم والخداع. حتى في تلك الأيام والساعات التي يتوجب فيها على الشيوعيين أن يقاتلوا جنبا إلى جنب مع العمال السنديكاليين يجب أن لا يخفوا الفروقات وأن لا يسكتوا عن انتقاد الموقف الخاطئ مبدئيا للحليف. وإذا ما تحقق هذا الشرط ستتطور الثورة باضطراد.

6- الجنتا الثورية والحزب Junta :

لقد أظهرت أحداث الخامس عشر من كانون الأول التي هب بها العمال في كل المدن الكبيرة والقرى البعيدة مدى كفاحية العمال من أجل وحدتهم في العمل. وإذا كانوا قد استخدموا راية الجمهوريين فلأنهم لم يجدوا من يرفع رايتهم عاليا بما فيه الكفاية. وهزيمة حركتهم لم تلق عليهم ولو ظلا من الرعب إذ اعتبروها خبرة ومدرسة وتحضيرا. وهذه إحدى الصفات البارزة للنهوض الثوري.

وحتى تدخل البروليتاريا طريق النضال الواسع فهي تحتاج من الآن إلى منظمة تسمو فوق الانقسامات السياسية والقومية والإقليمية والنقابية القائمة حاليا في صفوفها وتستجيب للموجة الثورية الحالية. وهذه المنظمة التي ينتخبها ديموقراطيا عمال المصانع والمطاحن والمشارع التجارية وسكك الحديد والنقل البحري، هذه المنظمة التي ينتخبها ديموقراطيا بروليتاريو المدن والريف لا يمكن أن تكون إلاّ السوفييات. لقد أضرّ المنحرفون[49] كثيرا بالحركة الثورية في كل أنحاء العالم عندما أدخلوا في كثير من الأذهان انحرافا مفاده أن السوفييتات لا تخلقها إلاّ الحاجة إلى الانتفاضة المسلحة وفقط عشيتها. لكن الحقيقة أن السوفييتات تقوم عندما تشعر حركة الجماهير الثورية –ولو أنها لا تزال بعيدة عن الانتفاضة– بالحاجة إلى منظمة مسؤولة تضم عمال المشاريع والمهن المختلفة وقادرة بنفس الوقت على قيادة نضالاتها السياسية والاقتصادية. ويمكن للسوفييتات أن تضطلع بدور قيادي في مرحلة النضال المباشر من أجل السلطة إذا ترسخت داخل الطبقة العاملة أثناء الفترة التمهيدية من الثورة. صحيح أن كلمة «السوفييت» قد اتخذت بعد ثلاث عشر عاما من وجود النظام السوفييتي معنى مختلفا نوعا ما عن المعنى الذي كان لها عام 1905 أو في بداية عام 1917 حيث لم تظهر كأجهزة للسلطة بل كمنظمة كفاحية للطبقة العاملة. إن كلمة جنتا المرتبطة مباشرة بكل تاريخ إسبانيا الثوري تعبر عن هذه الفكرة أفضل من أي شيء آخر: لذا ينطرح نشوء جنتات العمال على جدول أعمال اليوم في إسبانيا.

على ضوء الحالة الراهنة للبروليتاريا، يفترض تشكيل الجنتات مشاركة الشيوعيين والفوضويين السنديكاليين والاشتراكيين الديموقراطيين وقادة الإضرابات اللاحزبيين. لا يمكننا التنبؤ عن بعد بمدى المراهنة على مشاركة الفوضويين السنديكاليين والاشتراكيين في السوفييتات. ولكن ما لا شك فيه أن الاندفاعة القوية للحركة سترغم العديد من السنديكاليين، وربما بعض الاشتراكيين، على السير مع الثورة أكثر مما يرغبون، شريطة أن يقوم الشيوعيون من جانبهم بالعمل الضروري لتشكيل جنتات العمال. فتحت ضغط الجماهير يمكن أن تصبح، ويجب أن تصبح القضايا العملية لتشكيل السوفييات، كنسبة التمثيل وزمان الانتخابات وشكلها وما شابه، موضع اتفاق ليس فقط بين كل

---

[48]- الجمهورية الأولى 1873–1874. إنتهت بتتويج ألفونسو الثاني عشر.

[49]- إن الـ Epigons هم الأتباع الذين يفسدون مذاهب معلميهم. وقد استخدم تروتسكي هذا التعبير للستالينيين الذين يدعون بأنهم أتباع لينين وماركس.

فصائل الشيوعيين بل أيضا مع السنديكاليين والاشتراكيين الذين يوافقــون علـــى تشكيلها. وطبعا سيبرز الشيوعيون في كل مرحلة النضال ورايتهم مشرّعة.

ورغم آخر منتجات النظرية الستالينية من غير المرجح أن تظهر الجنتات الفلاحية كأجهزة منتخبة بأعداد كبيرة قبل استيلاء البروليتاريا على السلطة، بل ستظهر في الفترة التمهيديـــة أشكال جديدة من التنظيم لا تقوم على الانتخابات وإنما على الاختيار الفـــردي: اتحادات فلاحية ولجان الفلاحين الفقراء ونوى شيوعية واتحاد عمال الزراعة وما شابه. واستنادا إلى برنامج زراعي ثوري علينا أن نقوم من الآن بوضع الدعاية لشعـــار **الجنتات الفلاحية** على جدول أعمال اليوم.

الطرح الصحيح لمسألة «جنتات الجنود» هام جدا بسبب طبيعة التنظيم العسكري نفسه. ويمكن أن تظهر هذه الجنتات فقط في المرحلة النهائية من الأزمة الثورية عندما تفقــد الدولة سيطرتها على الجيش. أمّا في المرحلة التمهيدية فستكون المسألة مسألة تنظيمات ذات طابع شخصي بين مجموعات من الجنود الثوريين أو بين النوى الحزبية. وفـــي كثير من الأحيان ستكون مسألة صلات شخصية بين العمال وأفراد من الجنود.

مما لا شك فيه أن الانتفاضات الجمهورية لكانون الأول 1930 ستدخل التاريخ كفتـرة انتقالية بين مرحلتين من النضال الثوري. صحيح أن الجناح اليساري من الجمهوريين اتصل بقادة المنظمات العمالية ليقوموا معا بعمل واحد، ولكن كان يتعيـــن علـــى العمال العزّل أن يقوموا بدور المصفق للجمهوريين باعتبارهم المنفذين الرئيسيين. يبين هذا الحادث بشكل نهائي عدم الانسجام بين مؤامرة الضباط والإضراب الثوري. فالحكومة وجدت داخل الجيش نفسه قوات كافية لمواجهة المؤامرة العسكرية باعتبارها تضـــع أحد فروع الخدمة في مواجهة الآخر. وما إن انسحقت الانتفاضة حتى استحال الإضراب العام عدما لأنه كان بلا مستقبل أو قيادة خاصة.

إن الدور الثوري للجيش كقسم مسلح من الشعب، لا كأداة لتجـــارب الضبـــــاط، سيقرر في التحليل النهائي دور الجماهير العمالي والفلاحية أثناء النضال. وحتى ينتصر الإضراب الثوري يجب أن يؤدي إلى اصطدام العمال بالجيش. فالهـــام فـــي الموضوع ليس الجاني العسكري الصرف لهذا الصدام وإنما جانبه السياسي. يمكننا أن نكسـب جماهير الجنود فقط عندما نشرح لهم بوضوح المهام الاجتماعية للثورة، وهذه المهمات تحديدا هي ما يخيف الضباط. من الطبيعي أنه يتعين على ثوريي البروليتاريا من الآن إيلاء اهتمامهم للجنود وذلك بإنشاء نوى من الثوريين الواعين الشجعان داخـــل أفواجهم، علما بأن عملهم السياسي داخل الجيش الخاضع لعملهم بين العمـــــال والفلاحيـــن لا يمكن أن يتطور إلاّ على أساس برنامج واضح. وعندما تحين اللحظة المناسبة يجب على العمال بتفوقهم العددي وقوة هجومهم أن يدفعوا القسم الأعظم من الجيـــش إلى جانب الشعب أو على الأقل إلى الحياد. وطرح المسألة بهذا الشكل العـــــام لا يستبعد قيام الطليعيين والضباط المتعاطفين مع الثورة «بمؤامرة عسكرية» مباشرة قبل الإضراب العام والانتفاضة المسلحة. ولكن هذه «المؤامرة» لا علاقة لها بالانقلابات العسكرية: إنها ذات طبيعة ثانوية وتقوم مهمتها في ضمان انتصار الانتفاضة البروليتاريـــة.

والحل الناجح لكل هذه المهام يتطلب ثلاث شروط: أولا الحزب وثانيا الحزب و**ثالثـــا** الحزب.

كيف ستكون العلاقة بين التنظيمات والمجموعات الشيوعية وماذا سيكون مصيرها في المستقبل؟ تصعب الإجابة عن بعد. لكن التجربة ستبيـــن ذلك. فالأحـــداث العظيمـــة تمتحن مصداقية الأفكار والتنظيمات والناس. إذا تبين أن قيادة الكومنترن عاجـزة عن تقديم أي شيء للثورة الإسبانية إلاّ السياسة الخاطئة وأوامر الأجهزة والانشقاقات فسينشأ الحزب الشيوعي الحقيقي لإسبانيا ويتفولذ خارج الإطار الرسمي للأمميـــة الشيوعية. لابد من خلق حزب مركزي موحد بشكل أو بآخر.

لا يمكن للبروليتاريا أبدا أن تبني تنظيمـهـــا السياسي على قاعدة من الفيدراليـــــة لأن المطلوب ليس حزبا شيوعيا على شاكلة نظام الدولة المستقبلي في إسبانيا بل حزبا يكون رافعـة فولاذية لإزالة النظام القائم. وهذا الحزب لا يمكن أن يتأسس إلاّ على مبدأ المركزيـــة الديموقراطية.

وستكون جنتا العمال بمثابة الساحة العريضة التي سيتم عليها فحص وتدقيق كل حزب وكل مجموعة أمام أعين الجماهير. سيطرح الشيوعيون الجبهة الموحدة للعمال في مواجهة التحالف القائم عمليا بين الاشتراكيين وبعض السنديكاليين والبورجوازية. إن الجبهـــة الموحدة الثورية هي فقط ما يمكن البروليتاريا من نفخ روح الثقة في الجماهير المضطهدة في الريف والمدينة، ولا يمكن تحقيقها إلاّ تحت راية الشيوعية. والجنتا تتطلب حزبا قائدا، وبدون قيادة حازمة ستبقى شكلا تنظيميا فارغا وسيؤول حتما إلى الارتكاز علـــى البورجوازية.

تنتصب أمام أعين الشيوعيين الإسبان مهمات تاريخية جسام، وسيتابع عمال العالم التقدميون سيرورة الدوما الثورية العظيمة باهتمام كبير، وعاجلا أم آجلا ستتطلب هذه الثـورة ليس فقط تعاطفهم بل أيضا تعاونهم. ونحن جاهزون.

7- من أجل وحدة الشيوعيين

1931/01/31

يجب أن يتوحد الشيوعيون الإسبان. هذا الشعار سيكون جذابا جدا بلا شك في المرحلة القادمة وسيزداد شعبية مع ازدياد نفوذ الشيوعيين،

لهذا السبب يبدو لي أنه يجب إكمال شعار الجبهة الموحدة مع العمال السنديكاليين والاشتراكيين بشعار وحدة الشيوعيين (على برنامج محدد).

8- تكتيك المقاطعة

1931/2/5

اعتقد أنكم لن تتمكنوا من التخلي عن شعار الكورتس التأسيسي الثوري لأن تعـــداد الفلاحين في إسبانيا يبلغ أكثر من 70 %. فكيف سيفهم هؤلاء شعار «الجمهورية العمالية»؟ سيقول لهم الاشتراكيون والجمهوريون من جهة والقساوسة من الجهة الأخـــرى إن العمال يريدون أن يجعلوا من الفلاحين دمى يحركونها كما يحلو لهم. فكيف ستردون على هذا؟ طالما أن الأمور كذلك فليس ثمة إلا جواب واحد: نريد أن يقوم العمـــال والفلاحون بطرد الموظفين المعينين من فوق والمستغلين وشركاءهم عموما، كما أننـــا نريدهم أن يعبروا عن إرادتهم الحرة بالاقتراع العام والشامل. يمكن أن ينساق الفلاحون إلى الجمهورية العمالية، أي إلى ديكتاتورية البروليتاريا، في مجرى الصراع الـذي سيحدث على الأرض، الخ. ولكن يستحيل أن تطلبوا من الفلاحين الموافقـــة على ديكتاتورية البروليتاريا كصيغة يتوصلون إليها عبر الاستنتاج المنطقي.

من البديهي أن الشيوعيين قد أخطأوا بعدم توليهم زمام المبادرة في تكتيك المقاطعـــة لأنهم، باعتبارهم قادة العمال الثوريين، الوحيدون القادرون على طبع حملة المعارضة بالطابع الكفاحي الصلب. ومع ذلك من الواضح أن الرغبة بالمقاطعة واسعة الانتشار بين الأحزاب المعارضة، وهذا انعكاس لسخط الجماهير الشعبية ودلالة عليه. يبـــدو أن آخر الأخبار تؤكد أن الاشتراكيين والجمهوريين قد صوّتوا لصالح المقاطعة. ولكـــن لو نشط الشيوعيون ووضعوا خطة للمقاطعة أمام الاشتراكيين والجمهوريين في الوقت المناسب لوجدوا صعوبة أكبر في رفضها. لقد ربط بيير نغوير وحكومته أنفسهم بشـــدة بانتخابات الأول من آذار. فلو أن المقاطعة تجبره على القيام بتراجع ما فستكون نتائجها هائلة على صعيد رفع الوعي الثوري للجماهير، وخصوصا إذا كان الشيوعيون قـــادة تكتيك المقاطعة.

9- الجمهورية العمالية والكورتس التأسيسي

1931/10/13

لسنا مضطرين أبدا للتخلي عن شعار «الجمهورية العمالية». لكنه في المرحلـــة الراهنة ذو طابع دعائي أكثر منه تحريضي. ينبغي أن نوضح للعمال الطليعيين أننا نسير باتجاه الجمهورية العمالية ولكن ما يجب أن يتحقق أولا هو حشد الفلاحين حولهـــا. ولكـــن من غير الممكن جعل الفلاحين يدعمون الجمهورية العمالية –التي تعني في الواقع ديكتاتورية البروليتاريا– إلاّ عبر ممارسات وسطية، ومن ضمنها الممارسات ذات الطابع البرلماني. فالفلاحون لن يقبلوا ديكتاتورية البروليتاريا إلا بعد استنفاذهم الإمكانات الأخـــرى. صحيح أنه قد تم تجريب كل الإمكانات الأخرى في إسبانيا ولكن لا تزال هناك الفرصة لديموقراطية «تامة ومبدأية» تتحقق بالوسائل الثورية. وهذا هو الكورتس الثـــوري. بديهي أننا لا نجعل من هذا الشعار صنما. فإذا ما سارت الأمور أسرع سنعرف كيف نستبدل بشعار آخر في اللحظة المناسبة.

10- استقالة بيرنغوير[50]

1931/2/15

أذكر أني قد كتبت لكم من قبيل «التأمل» كم سيكون رائعا لو أن المقاطعة ترغم الملكية على الركوع على ركبتيها، أو على الأقل على إحدى ركبتيها، وها هو أمر واقع. فالمغزى السياسي المباشر لاستقالة بيرنغوير ليس كبيرا، لكن مغزاه الدلالي عظيـــم. إن ما تعنيه استقالة بيرنغوير وشبه استسلام الملك هو التالي: عجز الملكية وانحطـــاط الفئات الحاكمة وافتقادها للثقة بنفسها والخوف، الخوف من الشعـــب والثـــورة والغد. كما تعني تقديم التنازلات الكبيرة في محاولة لقطع الطريق على العواقب الوخيمـــة. وهذا رائع. إنه لرائع حقا، ولا يمكن أن نتخيّل ما هو أروع، لأن كل هذا سيزعزع الأسطوري للسلطة في وعي الشعب. وستخترق قلوب الملايين موجة مـــن الرضى والجرأة لتدفئها وتلهمها وتدافعها إلى الأمام.

إن الوضع الثوري العام الملائم لنشاط الحزب البروليتاري قائم الآن بامتياز، وكـــل المسألة تكمن في الحزب نفسه

ولكن مع شديد الأسف لم يكن الشيوعيون هم الأبرز بين دعاة المقاطعة، لذا لم يحققوا أية انتصارات هامة طوال الحملة التي دامت شهرين أو ثلاثة. ففي فترات المد الثوري العاصف، تنمو هيبة الحزب نموا محموما إذ ما قام فورا، في المنعطفات الحاسمة، بطرح الشعار الصحيح الذي تثبت الأحداث صحته. لقد سنحت لنا عدة فرص لتجـــاوز وضعنـــا الراهن أثناء الشهور والأسابيع القليلة الماضية. ولكن طالما أن النظر إلى الخلف لا ينفع فلننظر إلى الأمام لأن الثورة لا تزال في مستهلّها ويمكننا تعويض ما فاتنا مائـــة مـــرة.

المسألة الدستورية البرلمانية تصبح مركز الحياة السياسية الرسمية في البلد، ولهـذا لا يمكن لموقفنا منها أن يكون لا مباليا. يجب برأيي، أن

[50]- عندما استقال بيرمودي ريفيرا عين ألفونسو الثالث الجنرال داماسو بيرنغوير فوسته ليرأس حكومة انتقالية في كانون الثاني 1930.

نطرح شعار الكورتس التأسيســـــي الثوري بقوة مضاعفة وأن لا نتراجع عن استخدام الصيغ الديموقراطية الواضحة مثل: الاقتراع العام الشامل بدءا من الثامنة عشرة بلا قيد أو شرط وبلا تمييز بسبـب الجنس، وربما يكون سن الثامنة عشرة كبيرا جدا في بلد جنوبي مثل إسبانيـا. يجـب أن نراهن بكل شيء على الشباب.

إن مسألة الجبهة الموحدة لكل الفصائل الشيوعية، بما فيها الحزب الشيوعي الرسمي، لابد أن تنطرح على جدول الأعمال لأن الجماهير في غضون الأسابيع والأشهر القليلة القادمة ستشعر بالحاجة الماسة إلى قيادة ثورية رصينة وموحدة، أمّا المشاحنات بيـــن الشيوعيين فستزعج الجماهير. ستضغط الفصائل الشيوعية من أجل الوحدة، ولكن ليـــس إلى الأبد، لأن الأحداث ربما تقذف كلا منها مرة أخرى باتجاهات مختلفة. إلاّ أن تقارب الفصائل الشيوعية في الفترة القادمة يبدو محتما بالمطلق. وهنا أيضا، كما هي الحـــال في مسألة المقاطعة وفي كل مسألة سياسية راهنة، فالفصيل الذي يبادر إلى توحيد صفوف الشيوعيين هو الذي يربح. وحتى يتمكن اليسار الشيوعي من امتلاك زمام المبـــادرة يجب أن يكون هو نفسه موحدا ومنظما. فمن الضروري أن تسارع المعارضة اليسارية إلى التشكل في فصيل جيد التنظيم، ولو صغيرا في البداية، وأن يقوم بإصـــدار نشرته الخاصة ومجلته النظرية الخاصة. وهذا بالطبع لا يعني امتناع الشيوعيين اليساريين عن المشاركة في منظمات أكبر اتساعا، على العكس إنه يفترضها. ولكن الشرط اللازم لهـذه المشاركة هو تنظيم صفوف المعارضة اليسارية.

11- جنتـــات الجنـــود والعمـــال

1931/3/13

بضع كلمات عن جنتات الجنود، هل تريدون أن ترونها تنشأ كمنظمات مستقلة؟ هذه مسألة جدية تتطلب منّا أن نقوم منذ البداية برسم خط عام لممارستنا يترك المجـــال مفتوحـا أمام إدخال التعديلات اللازمة إذا بيّنت الممارسة العملية ضرورتها.

لم تصل الأمور في روسيا 1905 إلى نشوء سوفييتات الجنود، وكان ظهور ممثلي الجنود في سوفييتات العمال أمرا عارضا. أمّا سوفييتات الجنود عام 1917 فلعبت دورا عظيما إذ كان سوفييت الجنود في بتروغراد مرتبطا منذ البداية بسوفييت العمال، علاوة علـــى ذلك أن الجنود كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة. لكن سوفييتات العمال والفلاحيـن فـــي موسكو قامت بمعزل عن بعضها، وهذا تم أساسا لأسباب تنظيمية لأن الجيش الضخم كان وقتها يشكل حوالي 10 – 12 مليون فلاح.

الجيش الحالي في اسبانيا هو جيش مرحلة سلام. وهو غير هام بالمقارنة مع عدد السكان، أو حتى مع البروليتاريا، فهل ظهور سوفييتات الجنود المستقلة أمر محتم فـي هـــذه الشروط؟ من وجهة نظر السياسة البروليتارية، نحن معنيون بجذب مندوبـــي الجنـــود إلى جنتات العمال بقدر ما تتوحد هذه الجنتات. أما الجنتات المكونة فقط من الجنود فيمكن أن تظهر فقط في ذروة الثورة أو بعد انتصارها. إلاّ أن جنتات العمال يمكـــن (ويجب) أن تظهر في مرحلة أبكر على أساس الإضرابات أو مقاطعة الكورتس أو فيما بعد على أساس المشاركة في الانتخابات. لذا يمكننا أن نجذب ممثلي الجنود إلى جنتـــات العمال قبل وقت طويل من نشوء جنتـــات الجنود. وأستطرد قائلا أننا إذا بادرنا إلى إنشاء سوفييتات العمال في الوقت المناسب، ونجحنا في ذلك، وتأكدنا من هيمنتهـــا على الجيش فعندئذ سنتمكّن من منع ظهور جنتات الجنود **المستقلة** خوفا من وقوعها تحت تأثير الضباط الوصوليين أكثر مما تحت تأثير العمال الثوريين. إن صغر الجيش الاسباني وضآلة أهميته هما في صالح هكذا منظور. وهذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فإن هذا الجيش، ورغم صغره، لذو تقاليد سياسية ثورية أكثر من أي جيش آخر. وهذا يمكـــــــن أن يتعارض، إلى حد ما، مع تمثيل جنتات العمال للجنـــود. أنتم ترون أنني لم أبتّ في هـــذا الموضوع، كما أشك في إمكانية الرفاق المعايشين للوضع على البتّ فيه، لذا أودّ أن أطرح المسألة للتفكير. فكلما سارعت الدوائر الواسعة من العمال الواعين إلى مناقشـــة القضايا الأساسية كلما كان حلها أسهل. على أية حال لابد من السير على طريق دمج ممثلـــي الجنود بمجالس العمال، وحتى إذا كان النجاح جزئيا فهذا جيد ولكن في الوقت الذي ينبغي عدم نسيان هذا الهدف عليكم أن تقوموا في الوقت المناسب بدراسة المزاج السائـد داخل الجيش وداخل كل فرع من فروع الخدمة وداخل كل ســـلاح من الأسلحـــــــة.

وفي الختام يستحسن أن تقوموا جماعيا برسم خارطة سياسية لإسبانيا يكون الهدف منها القيام بتحديد أدق لعلاقات القوى داخل كل منطقة ولعلاقة القوى بين المناطـق بحيـــث تشتمل أيضا على مقاطعات العمال والمراكز الثورية والمنظمات الحزبية والنقابية والحاميات والمقاطعات ذات الحركات الفلاحية ودراسة موازين القوى بين البيض والحمـــر. ليس مهما مدى ضآلة عدد أعضاء المعارضة الآن لأن بمقدورهم المبادرة إلى القيام بهذه الدراسة في المناطق المختلفة بالتعاون مع خيرة ممثلي المجموعات العمالية الأخرى، وبهذا ستتشكل عناصر هيئة أركان الثورة. والنواة المركزية ستعطي لهذا العمـــــل ما يحتاجه من وحدة وتماسك. إن هذا العمل التمهيدي الذي يبدو «أكاديميا» للوهلة الأولى سيكون في المستقبل ذا أهمية هائلة، وربما حاسمة. إن أكبر الخطايا في مرحلة كالتي تمر بها إسبانيا هي إضاعة الوقت.

12- قـــول الحقيقـــة[51]

1931/4/12

[51]- رسالة إلى هيئة تحرير «الكومونزمو» المجلة النظرية للمعارضة اليسارية الإسبانية.

أيها الرفاق الأعزاء:

وأخيرا تلقيت النبأ الذي طالما انتظرت: لقد بدأت المعارضة اليسارية الشيوعية بنشـــر لسان حالها النظري «كومونزمو Comunismo» لا يراودني الشك أبدا في أن صدور هذه المجلة سيكون وقعه إيجابيا لأن إسبانيا تجتاز مرحلة ثورية. وبمرحلة كهذه يكـون عقل الطليعة البروليتارية متفتحا وتواقا لفهم الأمور ليس باستقلاليتها عن بعضها وإنما بكل تعقيدها الداخلي. لقد كانت المراحل الثورية دوما مراحل تطور الفضـــول النظـــري للطبقات المتقدمة تاريخيا.

ما من نظرية يمكنها الإجابة على المشكلات الكبرى التي تواجه الشيوعيين الإسبان إلاّ الماركسية. كما يجب أن نبين أيضا وبشكل قطعي، أنه ما من مجموعة يمكنها في الوقـــت الراهن، أن تقدم للعمال الإسبان تفسيرا ماركسيا صحيحا لظروف الثورة وقواها المحركة ومنظوراتها وأهدافها إلاّ المعارضة اليسارية. ففي الوقت الذي تقوم فيه الفئة الوسطية لقيادة الكومنترن الرسمية بإخضاع مشكلات الثورة لمصالح وحاجات مكانة البيروقراطية[52] –هذه الفئة التي تشرشحت كثيرا والتي لا تسمح بالمناقشة النقدية لأية مسألة– فإن المعارضة اليسارية تطرح هدفا لها قول الحقيقة. إن الوضوح والدقة النظرية، وبالتالي الصدق الثوري، هو ما يجعل التيار الثوري قوّة لا تقهر. عسى أن تنمـــــو الـ«الكومونزمو» وتزدهر في ظل هذه الراية.

أعدكم ببذل أقصى الجهد لدعمكم وخصوصا بإسهامي الغزيـــــر معكم في الكتابـــة، وأني لأدعو كل رفاقنا في الفكر إلى القيام بذلك، وها أنذا أرسل لكم مسودة بيـــــان حول الاتحاد السوفييتي انتهيت منها قبل بضعة أيام. آمل أن يقوم الشيوعيون الطليعيون في إسبانيا بإيلاء المشكلات الداخلية للدولة العمالية نفس الاهتمام الذي يجب أن يوليه شيوعيو الإتحاد السوفييتي وبقية البلدان لمشكلات الثورة الاسبانية.

عاشت الكومونزمو وعاش البلاشفة اللينينيون الإسبان وعاشت البروليتاريا الإسبانية الثورية.

[52]- المجموعـــة الوسطيـــة الرسميـــة: إن الوسطية مصطلح استخدمه تروتسكي ليشير إلى التيارات التي تقف أو تتذبذب داخل الحركة الراديكاليـــة بين الإصلاحيـــــــة، موقع البيروقراطية والأريستوقراطية العماليتين، الماركسية المعبرة عن المصالح التاريخية للطبقة العاملة. طالما أن التيار الوسطي مجرد من القاعدة الاجتماعيـــــة المستقلة لذا يجب أن يتم بمصطلحات مَنْشَئِهِ وديناميته الداخلية والاتجاه الذي يخطته أو تدفعه إليه الأحداث. وحتى حوالي 1933 رأى تروتسكـــــي الستالينيـــــة تنويعا خاصا من التنويعات الوسطية –رآها وسطية بيروقراطية– وبعد ذلك التاريخ رأى هذا المصطلح غير ملائم لوصف ما كانت البيروقراطية الستالينية تصيـــره.

القسم الثانـــــي

من الجمهورية إلى الحرب الأهلية

تمهيد

أعلنت حكومة الكالا زامورا عن إجراء انتخابات الكورتيــس في حزيران 1931. واندلعت في أيار اشتباكات في مدريد بين الملكيين وحشود من العمال حيث قام العمال الفوضويون بإحراق عدد من الكنائس انتقاما من رجال الدين العفنين الموالين للملكيـــــة.

كانت الأغلبيـــــة الساحقة في هذه الانتخابات من نصيب الأحزاب المؤيدة للحكومـــــة. إذ إن مجموع ما نالته الأحزاب اليمينية كان فقط 60 مقعدا مقابل 116 مقعــدا للحزب الاشتراكي وحده. أمّا بقية المقاعد فتوزعت كما يلي: 60 للاشتراكيين الراديكاليين و30 لحزب العمل الجمهوري بزعامة آزانا و90 لراديكالي لاروكس و43 للأسكوبرا الكاتالونية و22 للحزب التقدمي بزعامة الكـــالا زامورا و16 للقوميين الغاليـــن Gallegan بزعامة كاساريز كيروغا. كل الأحزاب المذكورة لاحقا مؤيدة للجمهورية.

دار صراع حامي الوطيس داخل الكورتس الجديد حول مسألة الوضع الممتاز للكنيسة، أمّا خارجه بين العمال الراديكاليين والعمال الزراعيين فحول مسائل الإصلاح الزراعي والسيطرة العمالية والأجور. لكن الانقسامات بين الأحزاب البورجوازية حول الموقف من الاكليركية لم تنعكس على موقفهم من حركة العمال، إذ استخدمت الحكومة نفـــس طرائق أسلافها الملكيين في القمع والإكراه.

قام الاتحاد القومي CTN بتنظيم سلسلة من الإضرابات العامة المحلية في تمـــوز وآب وكان أكثرها صدامية ذاك الذي حدث في اشبيلية Seville حيث أمر آزانا الجيش بقصف مقاطعات العمال بالمدفعية.

كان الموقف من الكنيسة سبب بداية تمزق الإئتلاف الجمهوري الموحد ضد الطبقة العاملة. فاستقال الكـالا زامورا في تشرين الأول تعبيرا عن دعمهما للكنيســـــة. أصبـــح آزانا رئيسا للوزراء في حين أن لاروكس وحزبه الراديكالي قطعا علاقاتهما بالتحالف الجمهوري لينتقلا أولا إلى الوسط البورجوازي ومن ثم إلى أقصى اليمين. وطالمـــا أن الكـالا زامورا لم يشأ أن يتخلى عن الحكومة كليا فقد قبل منصبا فخريا كرئيس للجمهورية.

الدستور الذي أقره كورتيس حزيران وضع الترتيبات لتشكيل فيدرالية إسبانية يكـــون فيها لمقاطعتي كاتالونيا والباسك شكلا من الحكم الذاتي الإقليمي. وتلا ذلـــك إقـــرار بنود الحكم الذاتي الكاتالوني الذي مهّد لإعادة تنظيم حكومة برشلونة الإقليمية «الخنرياليتات». وطلب الباسكيون بقانون مماثل.

وحتى يكسب آزانا ثقة الجنرالات الملكيين دعمهم في اضطهادهم لصغار الضباط الجمهوريين. لكن مخططات الجنرالات كانت أكثر جرأة إذ قام الجنرال خوسيه سان جورجـــو Jurjo قائد الحرس الجمركي، بانتفاضة ضد الحكومة في آب 1932. إلاّ أن الانقلاب فشل واعتقل منظموه علما بأنه كان مدعوما من بعض قطاعات الملكيين ومن الحركة الفاشية الناشئة حديثا وموعودا بالدعم من موسوليني.

وبعد هزيمة سان جورجو إنتقلت المبادرة إلى منظمات الطبقة العاملة. فاستولى الفوضويون على بلدة كاساس فيجاس Casas Viejas في كانون الثاني 1932. لكن الحكومة سحقت التمرد بوحشية، الأمر الذي سرعان ما أدى إلى ابتعاد العديد من العمـــــال الاشتراكيين والفوضويين عن النظام. وقد أظهرت الانتخابات البلدية في نيسان تراجعا واضحا عن تأييد الحكومة، وبحلول منتصف الصيف شعر آزانا أنه مضطر للاستقالـة وتمت الدعوة إلى انتخابات جديدة في تشرين الثاني. وهذه المرة اتخذ التصويـــــت منحى مضادا للجمهوريين والاشتراكيين.

هبطت مقاعد الحزب الاشتراكي في انتخابات كورتس تشرين الثاني 1933 من 116 إلى 56. وكان مجمل مقاعد الأحزاب الحكومية فقط 99 مقابل 104 مقاعد نالها فقـــط حزب لاروكس الراديكالي و207 مقاعد للأحزاب اليمينية علنا. وقد أصبح الحـزب المؤسس حديثا والمغرق في يمينيته، حزب جيل روبلز Gil Robles الـ C.E.D.A. (الحزب الكاثوليكي) هو الحزب الأكبر في البرلمان. أمّا الحزب الشيوعي والحزب الفالانجـــي لخوسيه أنطونيو بيرمودي ريفيرا فنال كل منهما مقعدا واحدا.

أصبح لاروكس رئيسا للوزراء وواجهه فورا سلسلة إضرابات عنيفة دعا إليها بشكـل رئيسي الفوضويون. وكان شغل الحكومـــــة الشاغـــــل، عدا عن سحق هذه الإضرابات، هو سحق الإصلاحات المحدودة التي تمّ تشريعها في ظل آزانا.

في الرابع من أكتوبر 1934 بدأت انتفاضة أستورياس التي قام بهـــا الفوضويون والاشتراكيون اليساريون احتجاجا على إدخال لاروكس لممثلين عن الـ C.E.D.A. في الحكومة. وترافقت هذه الانتفاضة مع تمرد في كاتالونيا قاده القوميون البورجوازيون الكاتالونيون بزعامة لويس كومبانيس Companys وهاتان تم إخمادهما بالمدفعية. وكان كومبانيس ولارغو كاباليرو من بين معتقلي حملة الانتقام التي شنتها الحكومة إثر هزيمة عمـــال أستورياس.

تلا إخماد كومونة أستورياس سلسلة أزمات حكومية بلغت ذروتها في فضيحة مالية تورط فيها قادة الحزب الراديكالي. وأخيرا حل ألكالا

زامورا الكورتس في الرابع من كانـــون الثاني 1936 ودعا إلى انتخابات جديدة في السادس عشر من شباط. تجمع اليســـار –ما عدا الفوضويون والفرع الاسباني الصغير للمعارضة اليسارية الأممية– في الحلف الإنتخابي للجبهة الشعبية بقائمة مشتركة، بينما تجمعت الأحزاب اليمينية في حلـــــف مضاد أسمته «الجبهة القومية» في حين انقسم الوسط البورجوازي الذي كان يتزعمه لاروكس في عدة اتجاهات، لكن كل أقسامه كابدت خسائر واضحة فيما يلي نتائـــج الجولة الثانية والأخيرة من الانتخابات:

- الجبهـــة الشعبية المقاعد:

الاشتراكيون 99.
اليسار الجمهوري (آزانا) 87.
الاتحاد الجمهوري (مارتينيز باريو) 39.
الاستويرا (الإنفصاليون الكاتالونيون) 36.
الشيوعيون 17.
المجموع 278.

- الجبهة القومية:

C.E.D.A. (جل روبلر) 88.
الزراعيون Agrarians ملاك أراضي 11.
الملكيون بقيادة كالفو سوتيلو Calvo Sotelo 13
المستقلون 10.
التقليديون الكارلوسيون Cartists 9.
أحزاب أخرى 3.
المجموع 134.

- الوسط:

حزب الوسط بقيادة بورتلا فالادايريس Portela Valladares 16
ليغا Liga الصناعيون الكاتالونييون 12.
الراديكاليون (لاروكس) 4.
التقدمي (ألكالا زامورا) 6.
الباسكيون[53] بقيادة أنطونيو أكويرة Aquirre 10
آخرون 7.
المجموع 55.

أصبح آزانا رئيسا للوزراء لكنه تجاهل الدعم الذي قدّمه له الحزبان الشيوعي والاشتراكي، إذ كان كل أعضاء حكومته من الشركاء البورجوازيين في الجبهة الشعبية وخصوصا من حزبه.

ملاحظة حول منفى تروتسكي: عندما قامت الجمهورية الاسبانية عام 1931 تقدم تروتسكي بطلب الحصول على تأشيرة دخول تخوله هو وعائلته الانتقال إلى إسبانيا، لكن الحكومة التي تسمي نفسها «حكومة العمال» لم تكن بهذه الدرجة من الليبرالية. وأخيرا غادر تركيا في تموز 1933 عندما منحته الحكومة الفرنسية تأشيرة دخول أراضيها.

وتواقت هذا التغيير في إقامته مع تغير أساسي في توجهه السياسي، ففي تلك المرحلـة، مباشرة بعد وصول هتلر إلى السلطة الذي تمّ بشكل رئيسي بسبب الأخطاء السياسية والقاتلة التي ارتكبها الكومنترن المتستلن، تخلّى تروتسكي عن منظور إصلاح الكومنترن، وبدأ يدافع عن بناء الأممية الرابعة، وبناء أحزاب ثورية جديدة في كافة أنحـــاء العالم. وانشغاله بهذه المشاكل يمكن أن يفسر سبب عدم غزارة إنتاجه حول إسبانيـــا في غضون السنتين أو الثلاث القادمة.

بعد تسعة أشهر من وصوله إلى فرنسا أمرته الحكومة الفرنسية بالمغادرة، ولكن أرغم على البقاء فيها حتى عام 1935 عندما منحته الحكومة النروجية تأشيرة دخول إلى النرويج. وهكذا كان في النرويج عندما إندلعت الحرب الأهلية الإسبانيـــة بعد أيام قلائـــل من إنهائه لكتاب «الثورة المغدورة». كل القسم الثاني حتى «رسالة إلى أعضاء المعارضة اليسارية» كتبه في تركيا، إمّا في كادوكوي أو برنكيبو، أمّا المقالات الأربعة التالية فكتبها في فرنسا بينما الست الأخيرة في النرويج.

13- الوصـــايا العشر للشيوعييـــن الإسبان

[53]- القوميون الباسكيون الذين سرعان ما سينتقلون إلى الجبهة الشعبية.

.1- فقدت الملكية السلطة لكنها لا تزال تأمل باستعادتها أمّا الطبقة المالكة فلا تزال ثابتة في السلطة. لقد ركب تحالف الجمهوريين والاشتراكيين موجة الانتفاضة الجمهوريـــة لمنع الجماهير من السير على طريق الثورة الاشتراكية. نحن لا نثق بالأقوال نريد أفعالا، وقبل كل شيء اعتقلوا أبرز قادة النظام القديم ومؤيديه وصادروا ملكية الملكيـــة وجلاديها السفلة وسلحوا العمال.

.2- إن الحكومة الحالية التي ترتكز على الجمهوريين والاشتراكيين ستبذل قصارى جهدها لمد قاعدتها نحو اليمين باتجاه البورجوازية الكبيرة، وستسعى لإبقاء الكنيســـة علـــى الحياد. هذه الحكومة حكومة المستغِلين وقد قامت لحمايتهم من المستغَلين، لذا فالبروليتاريا ضد حكومة الوكلاء الجمهوريين «الاشتراكيين» للبورجوازية.

.3- إن مشاركة الاشتراكيين في السلطة تعني ازدياد الاصطدامات العنيفة بين العمـــال والقادة الاشتراكيين، وهذا يفسح مجالا واسعا أمام السياسة الثورية للجبهة الموحـــدة. ففي كل إضراب وكل مظاهرة وفي كل توجه يقوم به العمال نحو الجنود، وفي كل خطوة تخطوها الجماهير باتجاه الديموقراطية Democratisation الحقيقية للبلد سيصطدمون من الآن فصاعدا بمقاومة القادة الاشتراكيين الذي يتصرفون كرجال « نظام » لذا فإن أهم ما يجب على العمال الشيوعيين القيام به هو المشاركة في الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين والسنديكاليين والعمال اللاحزبيين وجذبهم تحت قيادتهم .

.4- العمال الشيوعيين الآن مجرد أقلية ، لذا لا يمكن أن يصلوا إلى السلطة فوراً. ممـا يعي أنهم أعجز من أن يطرحوا على أنفسهم مهمة إسقاط الحكومة الجمهورية الاشتراكية بالقوة كمهمة عملية، وأي مغامرة من هذا القبيل ستكون مغامرة مأساوية. ينبغي أن تجتاز جماهير العمال والفلاحين والجنود مرحلة الأوهام الجمهورية-الاشتراكية لتتخلص منها نهائيا، وبأقصى جدرية، وكيلا تعود تنخدع بالأقوال وحتى تتمكن من رؤية الحقائق مباشرة. وتجهز للثورة الثانية الثورة البروليتارية، بإصرار.

.5- تقوم مهمة الشيوعيين في هذه المرحلة في كسب غالبية العمال والجنود والفلاحيـــن. كيف؟ بالتحريض وتدريب الكوادر«الشرح الصبور» (هـــــذا إذا استخدمنـــــا تعبير لينين) والتنظيم- كل هذا استنادا إلى تجربة الجماهير ومشاركة الشيوعيين الفعالة في هذه التجربة، أي بممارسة سياسة الجبهة الموحدة العريضة والشجاعة.

.6- تجاه الحلف الجمهوري-الاشتراكي » أو أي قسم منه، لا يقوم الشيوعيون بأية خطوة من شأنها أن تؤدي، بشكل مباشر أو غير مباشر إلى تقييد أو إضعاف حـريتهم بالنقـد والتحريض. يجب أن لا يكل الشيوعيون أو يملوا وهم يشرحون لجماهير الشعب أنهـم في النضال ضد كل أشكال الثورة المضادة، سيكونون في مقدمة الصفوف. ولكن لتحقيـــق هذه الغاية ما من شيء يدعوهم للارتباط بالجمهوريين والاشتراكييـــن، هؤلاء الديـن ستنحو سياستهم حتما باتجاه التنازل للرجعية. والتغطية على مكائدها.

.7- يطرح الشيوعيون أكثر الشعارات الديموقراطية جذرية. كالحرية الكاملة للمنظمات البروليتارية وحرية الإدارة الذاتية المحلية وانتخاب الشعب لكل الموظفين والاقتراع العام للرجال والنساء بدءا من سن الثامنة عشرة، الخ، وتشكيل الميليشيا العمالية، وفيما بعد الفلاحية. ومصادرة كل ملكيات الملكية والكنيســة لصالح الشعب وخصوصا العاطلين عن العمل وفقراء الفلاحين. وتحسين أحوال الجنود والفصل التام للكنيسة عن الدولة.

والجنود يجب أن يتمتعوا بكل الحقوق المدنية والمكتسبات السياسية وبانتخاب ضبـــاط الجيش. فالجندي ليس جلاداً للشعب ولا مرتزقا في خدمة الأغنياء ولا حرس بريتوري[54] Pretorian وإنما مواطن وأخ للعامل والفلاح .

.8- الشعار المركزي للبروليتاريا هو سوفييتات العمال. يجب أن لا نألو جهدا في الدعاوة إلى هذا الشعار لجعله شعبياً ، وفي أول فرصة سانحة ينبغي أن نبدأ بوضعه موضـــع التطبيق. إن سوفييتات العمال لا تعنى النضال المباشر على السلطة . فهذا بـلا شك منظورها، لكن الجماهير تتوصل الى هذا المنظور فقط عبر تجربتها الخاصة، وبمساعدة العمل التثقيفي الذي يقوم به الشيوعيون. إن سوفييتات العمال تعني اليوم تجميع القوى المبعثرة للبروليتاريا والنضال من اجل وحدة الطبقة العاملة واستقلاليتهـــــا. والمسائل التي يعالجها السوفييت هي من نوع مكاسب الاضرابات وإعالة العاطلين عن العمل والاتصال مع الجنود لمنع المواجهات الدموية معهم والاتصال بالمدينة والريف لضمان تحالف العمال والفلاحين الفقراء. ويضم سوفييت العمال ممثلين عن فيالـــق الجيـــش، بهذه الطريقة فقط تصبح السوفييتات جهازا للانتفاضة، وفيما بعد جهازا للسلطـة.

.9- يجب أن يقوم الشيوعيون فورا بوضع برنامج ثوري للإصلاح الزراعي يقوم على مصادرة أراضي الطبقات الغنية ذات الامتيازات، طبقات المستغلين، بدءاً من الملكيـــــة والكنيسة، لصالح الفلاحين الفقراء والجنود. وهذا البرنامج ينبغي تكييفه بالملموس، بحيث يتوافق مع المناطق المختلفة في البلد. ففي كل إقليم، وحسب خصوصياتـــه الاقتصادية والتاريخية، يجب لم نشاء لجنة تقوم بوضع برنامج زراعي محدد بالتعاون الوثيق مع الفلاحين الثوريين في المنطقة. علينا أن نفهم رغبات الفلاحين حتى نعبر عنها بطريقة واضحة وصحيحة.

[54]- جندي الحرس الإمبراطوري الروماني. المترجم

.10- إن من يسمون بالاشتراكيين اليساريين[55] (والذين بينهم العديد من العمـــــال الشرفاء) سيدعون الشيوعيين إلى إقامة تحالف أو حتى إلى توحيد المنظمات المختلفة. وعلى هذه الدعوة يجيب الشيوعيين: «من أجل مصالح الطبقة العاملة ومـــن أجـــل تنفيـــذ مهام ملموســـة محـــددة نحـــن مستعدون للعمـــل يدا بيد مع أي منظمة بروليتارية، ولهذه الغاية تحديدا نحن نقترح إنشاء السوفييتات. فداخلها سيناقش ممثلو العمـــال من مختلف الأحزاب كل القضايا الراهنة والمهمات الملحة. إن هذه السوفييتات هـــي الشكل الأسلم والأصرح والأشرف والأكثر طبيعية لهذا التحالف من أجل العمل المشترك. وفيها سنطرح نحن الشيوعيين شعاراتنا ونقترح حلولا ونحاول إقناع العمـال بصحة نهجنا، لذا يجب أن تتمتع كل مجموعة بحرية النقد. ونحن الشيوعيين سنكون دومـــــا في مقدمة الصفوف أثناء النضال المشترك لتحقيق المهام العملية التي يقررها السوفييت» هذا هو شكل التعاون الذي يقترحه الشيوعيين على العمال الاشتراكيين والسنديكاليين وغير الحزبيين.

عندما يضمن الشيوعيون توحيد صفوفهم سيكسبون ثقة البروليتاريا والغالبية العظمـــى من الفلاحين الفقراء إنهم سيستولون على السلطة وسلاحهم بيدهم ويدشنون عصـــر الاشتراكية.

14- الإجراءات القمعية للحكومة الجمهورية

1931/4/20

ثمة الكثير من نقاط التشابه التي تفقأ العين بين نظام شباط في روسيا والنظام الجمهوري الحالي في اسبانيا[56]، ولكن هناك أيضا نقاط اختلاف كبيرة: أ- إسبانيـــا ليســـت في حالة حرب وأنتم لا تطرحون شعار النضال من أجل السلام. ب- ليس عندكـــــم سوفييتات عمال بعد، هذا إذا تغاضينا عن سوفييتات الجنود. وما أراه من خـــلال الصحافة أن هذا الشعار حتى لا ينطرح بين الجماهير. جـ - إن الحكومة الجمهوريـــة تطبق من البداية إجراءات قمعية ضد الجناح اليساري من البروليتاريـــــا، وهذا ما لم يوجد عندنا في شباط لأن حراب البنادق لم تكن بيد الحكومة الليبرالية وإنما تحـــت تصرف سوفييتات العمال والجنود.

والأمر الأخير ذو أهمية كبيرة بالنسبة لتحريضنا. لقد حقق نظام شباط، على الصعيـد السياسي، ديموقراطية تامة ومطلقة وبقيت البورجوازية في السلطة برضى جماهير العمال والجنود. أمّا أنتم فليس لديكم حرية تامة وغير مشروطة للتجمع والكلام والصحافة، الخ، والقاعدة الانتخابية لبلدياتكم بعيدة جدا عن كونها ديموقراطيـــة. وبنفـــس الوقت فإن الجماهير في المرحلة الثورية تكون حساسيتها مفرطة إزاء كل شكل من أشكال اللامساواة والحكم البوليسي، وهذا ما يجب أن نستفيد منه. بكلام آخر، من الضـــروري أن يبرز الشيوعيون الآن باعتبارهم الحزب الأكثر ثباتا وحزما وكفاحية في الدفاع عن الديموقراطية.

ومن جهة أخرى يجب أن يبدأوا فورا بتشكيـــل سوفييتات العمال، والنضال من أجـــل الديموقراطية نقطة انطلاق ممتازة نحو هذا الهدف. هم لهم حكومتهم ونحن العمـــــال بحاجة لجنتاتنا المدنية لحماية صفوفنا ومصالحنا.

.15- الاتحاد الكاتالوني[57].

1931/4/23

على الاتحاد الكاتالوني أن يكافح من أجل الدخول إلى المنظمة الشيوعية الإسبانية العـامة. كاتالونيا هي الطليعة. ولكن ما لم يتوافق سير هذه الطليعة وسير كل بروليتاريا إسبانيا وفيما بعد وسير الفلاحيـــن، فستنتهي الحركـــة الكاتالونية في أفضل الأحوال كحدث رائع على طريقة كومونة باريس[58]. والوضع المتميز لكاتالونيـــا يدفع بهذا الاتجـــاه، إذ يمكن للصراع القومي أن يقوم بتسخين البخار فيها بحيث تنفجر قبل وقت طويـــل من نضوج الوضع في إسبانيا ككل لثورة ثانية.

إذا سمحت البروليتاريا الكاتالونية لنفسها، تحت تأثير الخميرة القومية، أن تنجـــر إلـــى صراع حاسم قبل أن تلف حولها بروليتاريا كل إسبانيـــا فهذه ستكون أكبر مصيبة تاريخية. إن قوة المعارضة اليسارية في برشلونـــة ومدريـــــــد إنما تكمـــن، ويجب أن تكمن، في رفع كل هذه القضايا إلى مستوى تاريخي.

.16- وحّدوا صفوف الشيوعييـــن[59]

---

[55]- . الاشتراكيون اليساريون هم الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي الذي كان يقوده فرانسيسكو لارغو كاباليرو.

[56]- إن «نظام شباط» هو الذي أقامته ثورة شباط 1917 في روسيا التي وضعت كيرنسكي في سدة السلطة وظل فيها حتى قامت ثورة أكتوبر وأعطت السلطـــــــة للسوفييتـــات.

[57]- نشأ الاتحاد الكاتالوني بالأصل داخل الحزب الشيوعي وانشق عنه لأسباب تكتيكية وكان قائده جواكين مورين صديق حميما لأندريه نـــن.

[58]- كانت كومونة باريس المثال الأول للحكومة العمالية وظلت في السلطة من 18 آذار إلى 28 أيار، فقـط إثنى وسبعين يوما، قبل أن تسقـــط من خلال سلسلة معارك دمويـــــة.

[59]- رسالة إلى المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي لم يرد عليها. نشرت هذه الرسالة في 1931/6/12.

1931/4/24

يتوقف مصير الثورة الاسبانية كليا على مسألة قيام أو عدم قيام حزب شيوعي أهل للقتال وجدير بالمسؤولية في غضون الشهور القادمة. علما بأن قيامه لا يمكن أن يتم عبر منظومة الانشقاقات الاصطناعية المفروضة على الحركة من الخارج.

لقد لف الحزب البلشفي حوله عام 1917 كل التيارات القريبة منه، وبنفس الوقت الذي حرص فيه على وحدة صفوفه ووحدة انضباطه في العمل فتح المجال واسعا أمام إمكانية شتى أنواع التفكير في المشاكل الأساسية للثورة (مجلس آذار وكونغريس نيسان ومرحلة ما قبل أكتوبر)[60] هل ثمة طرائق أخرى لتمكين طليعة البروليتاريا الإسبانية من تطوير وجهات نظرها ورسوخ قناعاتها بصحتها باعتبارها الشيء الوحيد الذي يسمح لها بقيادة جماهير الشعب نحو المعركة الفاصلة؟!

إن مجرد كون الحزب الشيوعي الرسمي – وهذا ما أسوقه كمثال – مضطرا لتسميته أندريه نن[61](عدوا للثورة، لا يمكن إلاّ أن يؤدي إلى تشويش رهيب، وخصوصا داخل الشيوعيين أنفسهم، ولا يمكن أن ينمو الحزب في خضم التشوش الإيديولوجي وفي حال استمرار تشتت صفوف الشيوعيين فإن الهزيمة الأكيدة للثورة الإسبانية ستقود آليا إلى إقامة فاشية **حقيقية** في اسبانيا من طراز فاشية موسوليني. لا داع للحديث عن نتائج هذا الأمر على أوروبا ككل وعلى الاتحاد السوفييتي. ومن الجهة الأخرى فإن سير الثورة الإسبانية على الطريق الذي نتمناه في ظل الأزمة العالمية التي لما تنته، سيفسح المجال أمام إمكانيات هائلة.

إن الخلافات العميقة حول سلسلة من القضايا التي تخص الاتحاد السوفييتي وحركة العمال العالمية يجب أن لا تحول دون إقامة محاولة شريفة للجبهة الموحدة في ساحة صراع الثورة الإسبانية. لم يفت الأوان بعد! وسياسة الانشقاقات الاصطناعية يجب وقفها حالا في إسبانيا. انصحوا – لا تأمروا بل انصحوا – المنظمات الشيوعية الإسبانية بالقيام في أقرب وقت ممكن بعقد مؤتمر توحيدي يكفل لكل التيارات، في ظل الانضباط الضروري للعمل، على الأقل تلك الدرجة من حرية النقد التي كانت تتمتع بها عام 1917 مختلف تيارات البلاشفة الروس الذين كانوا أكثر خبرة وصلابة بما لا يقارن.

لا شك في أن الحزب الشيوعي الاسباني الرسمي إذا فهم عدم التناسب بين ضعفه والمهام الجسام الملقاة على عاتقه وقام بمحاولة جادة لتوحيد صفوف الشيوعيين فإنه سيلقى الدعم الكامل من الشيوعيين الثوريين الذين لهم الآن منظماتهم المستقلة لأسباب تعلمونها، فتسع أعشارها تكمن خارج إطار شؤون الثورة الإسبانية.

وكيلا أخلق صعوبات ولو خارجية فأنا أتقدم باقتراحي هذا عبر الصحافة بل بهذه الرسالة. إن مجرى الأحداث في إسبانيا – وهذا ما لا شك فيه – سيثبت مع كل يوم يمر ضرورة توحيد صفوف الشيوعيين، ومسؤولية الانشقاق في هذا الواقع العياني مسؤولية تاريخية.

.17- الطبيعة التقدمية للنزعة القومية الكاتالونية.

1931/5/17

إن ما يسمى بالنزعة القومية للاتحاد الكاتالوني لهامة جدا وخطيرة جدا. ويمكن لنتائج الأخطاء بهذا الخصوص أن تكون مدمرة.

لقد طرحت الثورة الاسبانية كل المشاكل، بما فيها المشكلة القومية، بقوة جديدة. والحامل الرئيسي للاتجاهات والأوهام القومية هو الأنتلجنسيا البورجوازية الصغيرة المكافحة لنيل دعم الفلاحين ضد الدور الممركز لرأس المال الكبير والدولة البيروقراطية. في المرحلة الراهنة يتسبب الدور القيادي للبورجوازية الصغيرة في حركة التحرر القومي –كما هو الحال في كل حركة ديموقراطية ثورية عموما– بوجود انحرافات عديدة من شتى الأنواع داخل الحركة. ومن هنا تتسرب الأوهام القومية إلى العمال أيضا. وعلى الأرجح أن هذه هي الصورة العامة للوضع في كاتالونيا الآن، وربما أيضا لوضع الاتحاد الكاتالوني. ولكن ما قيل أعلاه لا يقلل أبدا من الطبيعة **الديموقراطية الثورية التقدمية** للنضال القومي الكاتالوني ضد الشوفينية الإسبانية الكبرى والبورجوازية الاسبانية والمركزية البيروقراطية.

ولكن ما لا يجب أن يغيب عن البال ولا للحظة أن من يحكم إسبانيا ككل الآن، وخصوصا في كاتالونيا، ليس الديموقراطيون القوميون الكاتالونيون بل البورجوازية الامبريالية الاسبانية بالتحالف مع ملاكي الأراضي وعجزة البيروقراطية والجنرالات، كل هؤلاء بدعم من الاشتراكيين القوميين الاسبان. كل هؤلاء الأشقاء يؤيدون من جهة استمرار إخضاع المستعمرات الإسبانية، ويؤيدون من جهة أخرى أقصى درجة من المركزية البيروقراطية لإسبانيا نفسها، أي إخضاع البورجوازية الاسبانية للكاتالونيين والباسكيين وباقي القوميات. في المرحلة

[60]- مجلس آذار وكونفرانس نيسان هما مؤتمران للبلاشفة عقدا في بتروغراد مباشرة بعد سقوط القيصرية عندما أصبحت الأحزاب المعارضة شرعية. عاد لينين إلى روسيا في الوقت الذي كان ينتهي فيه كونفرانس آذار وقبل وقت قصير من كونفرانس نيسان، حيث تولى قيادة كبح التيارات التوفيقية بين قادة البلاشفة القدماء وبداية عملية «إعادة تسليح» الحزب، أي إعادة توجيهه باتجاه الصراع من أجل سلطة الدولة. محاضرات اجتماعات مجلس آذار منشور في كتاب تروتسكي «مدرسة ستالين في التزييف».

[61]- أندريه نن 1892 – 1937: أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الإسباني وسكرتير النقابات الحمراء (البوفنترن)، دعم المعارضة اليسارية وطرد من الحزب الشيوعي عام 1927. شارك في تشكيل المعارضة اليسارية الأممية وكان قائد الفرع الإسباني حتى قطيعة الأخيرة مع المعارضة اليسارية الأممية عام 1935 عندما اندمج مع «حلف العمال والفلاحين» بقيادة جواكين موريين ليشكلا «حزب العمال للتوحيد الماركسي». كان لفترة قصيرة عام 1936 وزيرا للعدل في الحكومة الكاتالونية لكن الستالينيين اعتقلوه بعدها وأعدموه.

الراهنة من التطور، وبهذا الترابط من القوى الطبقية، تشكل النزعة القومية الكاتالونية عنصرا ثوريا تقدميـــا أمّا النزعة القوميـــة الإسبانية فعنصرا رجعيا امبرياليا. والشيوعي الإسباني الذي لا يدرك هذا الفرق أو يتجاهله أو لا يبرزه بل يتستر على ما يعنيه إنما يخاطـــر بأن يصير، عن غير وعـــي، وكيلا للبورجوازية الاسبانية وبأن تخسره قضية الثورة الاسبانية.

ما هو خطر الأوهام القومية البورجوازية الصغيرة؟ إنه يقوم في مقدرتهـــا على تشتيـــــت بروليتاريا إسبانيا حسب الاتجاهات القومية، وهذا الخطر في منتهى الجدية. ولكن يمكن للشيوعييـــن الإسبان أن ينجحوا في مواجهة هذا الخطر بطريقة واحدة فقـــط: أن يدينوا بعنف شديد بورجوازية الأمة السائدة، وبهذا يكسبون ثقة بروليتاريا القومية المضطهـــدة، وأي سياسة أخرى ستكون كسياســـة دعم النزعة القوميـــة الرجعيـــة للبورجوازية الإمبريالية السائدة ضد النزعة القومية الديموقراطية الثورية للبورجوازية الصغيرة **للأمة المضطهدة**..

.18- الحاجة إلى صورة متكاملة.

تقولون أن كذب اللومانتيه يتسبب بالامتعاض في كاتالونيا[62] ، وهذا ما يمكن تصوره بسهولة. لكن مجرد الامتعاض لا يكفي، فصحافة المعارضـــــة يجب أن تقدم صورة متكاملة لما يجري في إسبانيا. وهذه مسألة فائقة الأهمية طالما أن إعادة تثقيف كـــوادر الأممية الشيوعية سيتم على أرضية التجربة الحية للثورة الإسبانية. لا بدّ من وجود مراسلات منتظمة بين برشلونة ومدريد –ليس مجرد مراسلات بل وثائق سياسيـــة ذات أهميـــة من الدرجة الأولى. وبغير هذا سيتمكـــن الستالينيون من إقامة جو من العزلـــة والعداء حول الاتحاد الكاتالوني، وهذا بحد ذاته ما يمكن أن يدفع العمال الطليعييـــــن الكاتالونيين على طريق المغامرة والكارثة.

.19- الثورة الاسبانية والأخطار التي تحيق بها.

1931/5/28

قيادة الكومنترن في مواجهة الأحداث الإسبانية:

الثورة الإسبانية تنمو، وفي خضم النضال تنمو قواها الداخلية، ومع نموها تنمو أيضـــا الأخطار. نحن لا نتحدث عن الأخطار الآتية من الطبقات الحاكمـــة وخدمها السياسييـــن من الجمهوريين والاشتراكيين، فالمسألة هنا مسألة أعداء مكشوفين والمهمّات تجاههم في منتهى الوضوح، لكننا نتحدث عن الأخطار الداخلية.

ينظر العمال بثقة إلى الاتحاد السوفييتي باعتباره إبنا لثورة أوكتوبر. وهذا النظر رأس مال قيِّم لصالح الشيوعييـــــن. والدفاع عن الاتحاد السوفييتي واجب كل عامل ثوري، ولكن يجب أن لا نسمح باستغلال ثقة العمال بثورة أوكتوبر لتبرير سياسة مناقضة لكل الدروس التي علمتنا إياها ثورة أوكتوبر. وكيما تسمعنا طليعة البروليتاريا الروسية والعالمية يجب أن نقول بوضوح إن القيادة الحالية للكومنترن تهدد الثورة البروليتارية في إسبانيـــا بخطر راهن: يمكن تدميـــــر أية ثورة وحتى أكثر الثورات بعثا للآمال، وهذا ما أثبتته الثورة الألمانية لعام 1923، وبوضوح أشد تجربة الثورة الصينية لعام 1925-1927[63]. وفي كلا المثالين كان السبب المباشـــر للهزيمة هو القيادة الخاطئة. وها قد جـاء الآن دور إسبانيا. لم يتعلم قادة الكومنتـــــرن من أخطائهم أي شيء، لا بل إنّ الأســـوأ أنهم مضطرون للدفاع عنها وتطويرها كيما يتستَّروا عليها. وبقدر ما تتوقـــف الأمور عليهم فإنهم يجهِّزون للثورة الإسبانية مصيرا كمصير الثورة الصينية.

لقد قاموا طوال عامين بتضليل العمال بنظرية «المرحلة الثالثة» العاثرة التي أضعفت الكومنترن وأحبطته. وأخيـــرا أشارت القيادة بالتراجع. ولكن متى؟ تماما في اللحظـــة التي أحدثت فيها الأزمة العالمية شرخا جذريا في الوضع وكشفت عن الإمكانات الأولى للهجوم الثوري. في هذه الأثناء كانت التطورات في إسبانيا جارية على قـــدم وســـاق دون أن يلحظها الكومنترن. لقد واصل مانويلسكـــي – ومانويلسكـــي يتصرَّف الآن من موقع قائد الكومنترن – الإعلان أن الأحداث الإسبانية عموما لا تستحـــق الاهتمام.

في كتابنا عن الثورة الاسبانية قبل انعطاف آب [الثورة في اسبانيا] عبرنا عن نتيجـــة مفادها أن البورجوازية التي ستتقمص مختلف الأشكال الجمهورية ستحاول بكـــل قوتها، وحتى اللحظة الأخيرة، أن تبقى على تحالفها مع الملكية. ومن المؤكد أنه يمكن قيـــام جملة من ظروف تضطر فيها الطبقات المالكة إلى التضحية بالملكية إنقاذا لجلدها (ألمانيا على سبيل المثال). هذه الكلمات أعطت الستالينيين ذريعة للقول – بعد وقـــوع الحدث طبعا– إنّ هذا التوقع غير صحيح[64]. إن الذين لم يتنبأوا بأي شيء يطالبون الأخيرين ليس بالتوقع الماركســـي وإنما بالتنبؤ الثيوصوفي باليوم الذي ستجري به الأحـــداث وبالشكل الذي ستتخذه. وبهذه الطريقة يطلب المريض الجـاهل والمؤمن بالخرافات من الطب المعجزات. إنّ مهمة التوقع الماركسي المساعدة على توجيه أفكارنا بالاتجاه العام لتطوير الأحداث وعلى تحصيننا ضد المفاجآت.

---

[62]- اللومانتيه: صحيفة الحزب الشيوعي الفرنسي.

[63]- ثورة 1923 الألمانية: لقد تسبب الغزو الفرنسي الرور عام 1923 –لعـدم دفـع ألمانيا لتعويضاتها المالية في وقتها– بوضع ثوري سرعان ما أدى إلى توجه غالبية الطبقة العاملة الألمانية إلى دعم الحزب الشيوعـــي. لكن قيادة الأخيـــر تذبذبت وضيعت فرصة ملائمة جدا لخوض نضال من أجل السلطة وسمحت للرأسماليـــن الألمـان باستعادة توازنهم قبل نهاية العام. إن مسؤوليـــة الكرملين عن إضاعة هذه الفرصة كانت أحد العوامل التي أدت إلى تشكيل المعارضة اليساريـــة الروسيـــة في نهاية 1923.

[64]- الستالينيون الأمريكيون يبزون الجميع. يصعب تخيل الدعائم الهرقلية من السوقية والغباء التي يمكن للموظفين المأجوريـــن، والذين لا أحد يسيطر عليهم، أن يثقوا بأنفسهـــم بها.

إن قرار البورجوازية الانفصال عن الملكية يجد تفسيره في سببين على نفس الدرجة من **الأهمية**: الحمى العاصفة للاستياء الجماهيري أرغمت البورجوازية على محاولة تحويل ألفونسو، المكروه عموما. إلى كبش فداء. وما كان يمكن للبورجوازية الإسبانيـــــة أن تقدم على هذه المناورة المحفوفة بالمخاطر إلاّ لأن الجماهير كانت تثق بالجمهوريين والاشتراكيين ولأن الخطر الشيوعي كان أثناء هذه العملية غير وارد. لذا فإن البديل التاريخي الذي حدث في اسبانيا كان نتيجة لضغط الجماهير من جهة ولضعف الكومنترن من جهة أخرى. على المرء أن يبدأ بإقامة هده الحقائق. فالقاعدة الأساسية في التكتيك تقـــول: إذا كنت تريد أن تزداد قوة فلا تبدأ بالمبالغة بقوتك. لكن هذه القاعـــدة ليست للبيروقراطية المنحرفة.

لقد تكهن مانويلسكي عشية الأحداث الإسبانية بعدم حدوث أي شيء جـــدّي عمومـــا. وغداة الأحداث بدأ بيري Peri[65] الذي لا يمكن لأحد أن يحل محله، ومتعهد تقديم المعلومات الكاذبة من البلدان اللاتينية، بإرسال البرقية إثر البرقية إلى موسكـــــو عن كيفية تأييد كل البروليتاريا تقريبا للحزب الشيوعي وعن كيفية قيام الفلاحيـــن الاسبـــان بإقامة السوفييتات. وقد نشرت البرافدا هذه الهراء وأضافت إليه هراء عن كيفيـــة تعلق «التروتسكيين» بذيل حكومة زامورا. في هذه الأثناء كان زامورا يواصل اغتيال المعارضين اليساريين[66]. وأخيرا نشرت البرافدا في 14 أيار افتتاحية برنامجية تحت عنوان «إسبانيا تشتعل» تشكل عصارة تشتت المنحرفين وأخطائهم منقولة إلى لغة الثورة الاسبانية

ماذا عن الكورتس؟:

تحاول البرافدا أن تنطلق من الحقيقة الأكيدة القائلـــة أن مجرد الدعاوة لا يكفي: «على الحزب الشيوعي الاسباني أن يقول للناس ما يجب أن يفعلوه اليوم». ولكـــن ماذا تقول البرافـــدا بهذا الصدد؟ إنه يجب تنظيم العمال «لنزع سلاح الرجعية وتسليح البروليتاريـــا وانتخاب لجان المصانع والدعوة إلى يوم عمل من سبـــع ساعات... الخ. هكذا تماما يطرحون الأمور. الشعارات المذكورة لا غبار عليها، ولو أنها تفتقر إلى التماسـك الداخلي وإلى التتالي الذي سينبثق من منطـــــق تطور الجماهير. لكن المذهل هو أن المقالة الرئيسية في البرافدا لا تتطرق أبدا إلى **اتخابات الكورتس**، كما لو أن هذا الحـــدث لا وجود له البتة في حياة الأمة الإسبانية، أو كما أن العمـــال لا علاقة لهم به. كيف نفهم هذا الصمت؟

يبدو ظاهريا أن الانتفاضـــة الجمهوريـــة قد حدثت، كما هو معلوم، عبر الانتخابـــات البلديـــة. وكان لها بالطبع أسباب أعمق تحدثنا عنها قبـــل وقت طويل من انهيار حكومة بيرنغوير. لكن تصفية الملكية بالوسائل «البرلمانية» كان في صالح الجمهوريين البورجوازيين الصغار الديموقراطيين. وعدد كبير من العمال في إسبانيا يتخيّلـــون الآن أن القضايا الأساسية للحياة الاجتماعية يمكن أن تنحسم بالاقتراع. وهذا الوهـم لا يمكن أن يتبدد إلاّ بالتجربـــــة، ولكن يجب أن نعرف كيف نساعـــد هذه التجربة. كيف؟ هل بإدارة الظهر للكورتيس أم بالمشاركة في انتخابه؟ هذا الســـؤال يتطلب جوابا.

وتحتوي نفس الصحيفة (التي تتضمّنت الأعداد المؤرخة من 7 إلى 10 أيار) بالإضافة إلى الافتتاحية المذكورة آنفا مقالا يقول عن نفسه أنه تحليل ماركسي للقوى الداخليـــة للثورة الاسبانية وتحديد بلشفي لإستراتيجيتها. وهذا المقال أيضا لا يتفوه عن الكورتس بكلمة. هل نقاطع الانتخابات أم نشارك فيها؟ وعموما تسكت البرافدا كليـــا عـــن شعارات الديموقراطية السياسية ومهامها رغم أنها تسمي الثورة ثورة ديموقراطية. فعلام يدل هذا الصمت؟ الانتخابات يمكن أن نشارك فيها ويمكن أن نقاطعها ولكن هل يمكـــن أن نتجاهلها؟

لقد كان تكتيك المقاطعة صحيحا فيما يتعلق بكورتس بيرنغويـــر. إذ كان واضحا بشكل مسبق أحد أمرين: إمّـــا أن ألفونسو سيفلح لفترة محدودة في معاودة السير على طريـــق الديكتاتورية العسكرية أو أن الحركة ستمر على رأس بيرنغوير وكورتيسه. في ظل هذه الظروف كان على الشيوعيين أن يبادروا إلى مقاطعة الكورتس. وهذا تحديدا ما أصررنا عليه من خلال المواد الضئيلة المتوفرة بين أيدينا[67] لو وقف الشيوعيـــون الاسبان وقفة حازمة في الوقت المناسب ضد الانتخابات، ولو فقط بتوزيع بيانات بهذا الخصوص لكانت مكانتهم أكبر بكثير لدى سقوط بيرنغوير ولقال العمال الطليعيون لأنفسهـــم «هؤلاء الناس قادرون على التنبؤ بالأشياء». ولكان مع شديد الأسف فإن الشيوعيين الإسبان الذين جعلتهم قيادة الكومنترن يتخلفـــــون عن الأحداث لم يفهمـــوا هذا الوضع وجهزوا أنفسهم للمشاركة في الانتخابات ولكن بدون أية ثقة. لقد سارت الأحـــداث على رؤوسهم وأول نصر للثورة لم يعط نفوذ الشيوعيين أي ازدياد تقريبا.

لقد باشرت حكومة زامورا الآن بدعوة الكورتس التأسيسي إلى الانعقاد. فهـل ثمـــّة أساس للتفكير بأن انعقاد هذا الكورتس ستقطعه ثورة ثانية؟ أبدا. يمكن للجماهيـــر أن تقوم بتحرّكات قوية، لكن هذه الحركات بدون برنامج وبدون حزب لا يمكنها أن تولـــــّد ثورة ثانية، والدعوة إلى المقاطعة ستكون الآن بمثابة دعوة إلى العزلة الذاتية. لذا من الضروري المشاركة بالانتخابات بأقصى الفاعلية.

الابتذال البرلماني للإصلاحيين واللابرلماني للفوضويين.

---

[65]- غابريل بيري 1902–1941: هو المحرر الخارجي لصحيفة الحزب الشيوعـي الفرنسي اللومانتيـــــه. أرسل إلى إسبانيا لينقـل أحداثها، لكن مراسلاتـــه أدت إلى الامتعـــاض الشديد لقراء صحيفة الإسبـــــان بسبب كذبها وإساءة نقلهـــا. أعدمه النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية.

[66]- نيسيتو ألكالا زامورا 1877–1949: ملاك عقاري كبير وقائد الحزب التقدمـي وكاثوليكي ليبرالي. كان رئيس وزراء الحكومة الجمهوريـــــة الأولى عام 1931 ورئيسا للجمهورية من حزيران 1931 إلى أيار 1936.

[67]- ليس للمعارضة اليسارية صحيفة يومية، لهذا فنحن مضطرون لتطوير أفكارنا عبر الرسائل الخاصة التي تتضمن محتوى المقالات اليومية. وإكمالا لهذا العمل نقوم بتقديم مقتطفات من هذه الرسائل –المقالات في تسلسلها الزمني . ل. تروتسكي.

الابتذال البرلماني مرض مقرف لكن الابتذال الـــلابرلماني ليس أقل قرفا. وهذا مـا يتجلى بأوضح أشكاله في مصير الفوضويين السنديكاليـــن الإسبان. تطرح الثورة المسائـل السياسية بشكلها المباشر، وها هي تعطيها الآن شكلا برلمانيا. فإنتباه الطبقـة العاملة لا يمكن إلاّ أن يتركّز على الكورتس، بينما سيصوّت الفوضويون السنديكاليـــون في الخفاء لصالح الاشتراكيين وربما الجمهوريين. إن النضال ضد الأوهام البرلمانية دون النضال بنفس الوقت ضد الميتافيزيق الـلابرلماني للفوضويين هو في اسبانيا غير ممكن أكثر مما في أي بلد آخر.

لقد بينا في سلسلة من المقالات والرسائل الأهمية الهائلة للمطالـــب الديموقراطية من أجل تطور الثورة الاسبانية اللاحق. فالإعانـــات المالية للعـــاطلين عن العمل ويوم عمل من سبع ساعات والثورة الزراعية والحكم الذاتي الإقليمي –كل هذه القضايا الأساسية الحيوية مرتبطة بشكل أو بآخر في وعي العمـــــال الإسبان بما فيهـم الفوضويـــن السنديكاليين، بالكورتس المقبل. فأيام بير نغوير كان يجب مقاطعـــة الكورتـــس الـــذي قدمه ألفونسو باسم **الكورتس التأسيسي الثوري** وكان يجب منذ البداية وضع مسألة الاقتراع العام في مقدمة العمل التحريضي –نعـــم مسألة الاقتراع السخيفة. من نافل القـــول أن الديموقراطية البورجوازية السوفييتية أرقى من الديموقراطية البورجوازية بما لا يقارن، لكن السوفييتـــــــات لا تهبط من السمـــاء بل يتطلب تحقيقها عملا. ثمة ماركسيـــون يزدرون الشعار القائل مثلا بالاقتراع العام المتساوي المباشر والسرّي لكل الرجال والنساء من سن الثامنة عشرة شديد الازدراء، ومع ذلك لو طرح الشيوعيـون الاسبان هذا الشعار في الوقت المناسب ودافعوا عنه في الخطابات والمقالات والكـــتيبات والكراريس لنالوا شعبية هائلة. تماما لأن الشعب يميل إلى المغالاة بقوة الكورتـــس الخلاقة فإن كل عامل يستيقظ من رقاده وكل فلاحـــة تريد المشاركة في الانتخابات. نحـــن لا نؤيد أبدا أوهام الجماهير ولكن يجب أن نستفيد أقصى الإفادة من كل ما هو تقدمـــي في هذه الأوهام. وبغير هذا لن نكون ثوريين بل مجرد حمقى جديريـــن بالازدراء. إن مجرد تخفيض سن الاقتراع يؤثر مباشرة على مئات الآلاف من العمال والفلاحين، رجالا ونساء. وأي عمال وفلاحين؟ الشباب النشيطـــون المدعوون لخلق ثـورة ثانية. إن إطلاق هذا الجيل من الشباب ضد الاشتراكيين الساعين لنيل دعم العمـــال الأكبر سنا هي المهمة الابتدائية التي لا تقبل الجدل للطليعة الشيوعية.

وعلاوة على ذلك فإن حكومة زامورا تريد أن تضع من خلال الكورتس دستورا يقوم به مجلسان تشريعيان. إن الجماهير الثورية التي أسقطت الملكية والمتعطشة، ولـــو بغموض شديد، للمساواة والعدالة ستتجاوب بحرارة مع تحريض الشيوعيين ضد خطة البورجوازية لتمرير «مجلس لوردات» من خلف ظهر الجماهير. يمكن لهذه المسألة الصغيرة أن تلعب دورا هائلا في التحريض وأن تخلق للاشتراكيين صعوبات حادة وأن تـــدق إسفينا بينهم وبين الجمهوريين. وهذا يعني تقسيم أعداء البروليتاريا ولو مؤقتا، والأهـــم من ذلك ألف مرة أنه يعني دق إسفين بين الجماهير الكادحة والاشتراكيين.

إن المطالبة بيوم عمل من سبع ساعات التي تقوم بها البرافدا لهامة جدا، وتجيء في الوقت المناسب. ولكن هل يمكن تقديم هذه المطالبـــة المجـــردة بمعزل عن الوضع السياســـي العام وعن المهام الديموقراطية الثورية؟ إن البرافدا بحديثها فقط عن يوم العمـــل ولجان المصانع وتسليح العمال وبتجاهلها «السياسة» وبعدن ذكرها في كل مقالاتها ولو كلمة واحدة عن انتخابات الكورتس إنما تسير على طريق الفوضويـــة السنديكالية لتتقاطع معها وتغذيها وتتستر عليهـــا. وفي غضون ذلك فـــإن العامل الشاب الذي يحرمه الجمهوريون والاشتراكيون من حق الاقتراع –علما بأن التشريع البورجوازي يعتبره ناضجا لاستغلال رأس المال– والذي سيفرضون عليه مجلسا آخر، سيدير ظهره للفوضوية ويمد يده للبندقية أثناء نضاله ضد هذا الازدراء الشديد له. إن معارضـــة شعـــار **تسليح** العمال بالمجريات السياسية المتعلقة بالحاجات الحيوية للجماهير إنما تعنـــي الانعزال عن الجماهير وبالتالي عزل الجماهير عن السلاح.

يستحوذ شعار حق تقرير المصير على أهمية إستثنائية في اسبانيا اليوم، لكنه يقوم أيضا على الصعيد الديموقراطي، لسنا معنيين طبعا بدعوة الكاتالونيين والباسكيين إلى الانفصـــال، ولكن واجبنا أن نؤكد على حقهم هذا إن أرادوه. ولكن كيـــف يتحدد إذا كانوا يريدونه أم لا؟ إنه يتحدد ببساطة عبر الاقتراع العام المتساوي السري المباشر لهذه المقاطعات، وما من طريق آخر الآن. أمّا في المستقبل فإن المسائـل القومية وغيرها ستحددها السوفييتـــات بإعتبارها أجهزة لديكتاتورية البروليتاريا. وطالما أننا لا نستطيع أن نفرض السوفييتات على العمال بقرار ذاتي ساعة نشاء. وطالما أننا أقل مقدرة عـــلى فرض السوفييتات التي ستقيمها البروليتاريا في المستقبل على الشعب الآن، فليس أمامنـــا إلاّ أن ندفع العمال على طريق السوفييتات. أمّا الآن مفن الضروري الإجابـــة على المسألة المطروحـــة الآن. لقد وجدت بلديات كاتالونيا نفسها في أيار مدعوة لانتخاب مندوبيهـــا الذين سيضعون دستورا مؤقتا لكاتالونيا، أي لتحديد علاقتها مع إسبانيا ككل. فهـــل يمكن لموقف العمال الكاتالونيين أن يكون لا مباليا إزاء محاولات الديموقراطية البورجوازية الصغيرة الخاضعة دوما لرأس المال الكبير – تقرير المصير الشعب الكاتالوني بالانتخابات الديموقراطية؟ إن شعار حق تقرير المصير بمعـــزل عن الشعـــارات الديموقراطية السياسية التي تكمله وتعطيه شكلها الملموس سيبقى صيغة فارغة أو، وهذا أســوأ، ذرا للرماد في العيون. ستنعكس مسائل الثورة الاسبانية لفترة معينة، بطريقة أو بأخرى، عبر موشور البرلمانية. وسينتظر الفلاحون على أحر من الجمر ما سيقوله الكورتس عن **المسألـــة الزراعيـــة**. فهل تصعب رؤية أهمية نشر برنامج الشيوعيين الزراعي من على منصة الكورتس في ظل الأوضاع الحالية؟ ولكن حتى يتحقق هذا من الضروري وجود برنامج زراعي والوصول إلى منصة البرلمان. نحن نعلم أن الكورتس لـــن يحل مسألة الأرض لأن حلها يتطلب مبادرة الجماهير الفلاحية إلى الكفاح، ولكـــي تقوم هذه الجماهير بهذه المبادرة فهي تحتاج برنامجا وقيادة. إن الشيوعيين بحاجة إلى منصـــة الكورتس كصلة وصل بينهم وبين الجماهير، ومن هذه الصلة ستتطور الأحداث التي ستنسف البرلمان. هذا هو جوهر الديالكتيك الثوري فيما يتعلق بالبرلمان.

ولكن كيف يتفسَّر صمت قيادة الكومنترن في هذه المسألة؟ لإنّه لا يفســـر إلاّ بكونها أسيرة ماضيها. لقد كان صوت الستالينيين عاليا جدا برفضهم لشعار الجمعية التأسيسية في الصين. كما أن المؤتمر السادس للكومنتـــــــرن شجب رسميا شعار الديموقراطيـــة السياسية في المستعمرات باعتبارها «انتهازية»[68]. إن مثال إسبانيا الأكثر تطورا من الصين والهند بما لا يقاس يكشف كل تناقض قرارات المؤتمر الســـادس

للكومنترن مع الواقع. لكن الستالينيين المقيَّدين كليا لا يجرؤون على الدعوة إلى مقاطعة البرلمانية بل ببساطة يقفزون عنها بالصمت. فلتهلك الثورة ولكن لتعش سمعة القادة المعتصمين عن الخطأ[69] .

ما هي طبيعة الثورة القادمة في إسبانيا؟

المقالة النظرية المقتطفة آنفا، والتي يبدو أنها قد كتبت خصيصا لتشويش الدماغ، بعدما تحاول تحديد الطبيعة الطبقية للثورة الإسبانية تقول حرفيا «إذا أخذنا كل هذا بعين الاعتبار فسيكون من غير الصحيح تحديد الثورة الإسبانية في المرحلة الحالية كثورة اشتراكية (البرافدا 1931/5/10) هذه الجملة وحدها تلخص التحليل. يجب على القارئ أن يتساءل: هل ثمة أناس في العالم يمكن أن يفكروا أن الثورة الاسبانية تتحدّد (في المرحلة الحالية) كثورة اشتراكية دون إدخالهم إلى مشفى المجانين؟ من أين جاءت البرافدا إذن بفكرة أن هذا النوع من «التأكيد» ضروري؟ والأكثر من هذا من أين جاءت بفكرة هذا الشكل الرزين والمتحفظ «إذ أخدنا كل هذا بعين الاعتبار فسيكون من غير الصحيح...»؟ إنه يتفسر بكون المنحرفين، من سوء حظهم، يقرأون عبارة لينين عن «تنامي» الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية. إنهم بعدم فهمهم للينين ونسيانهم أو تشويههم لتجارب الثورة الروسية إنما يجعلون من مفهوم التنامي أساسا لأفدح التعرجات انتهازية. لنكن صريحين: ليست المسألة مسألة حذلقة أكاديمية بل مسألة حياة أو موت للثورة البروليتارية.

فقط ومنذ وقت قصير توقع المنحرفون أن ديكتاتورية الكومينتانغ «ستتنامى» لتصير ديكتاتورية العمال والفلاحين التي ستتنامى بدورها لتصبح ديكتاتورية اشتراكية للبروليتاريا. لقد تصوروا أن ما يفترض أن تتشكل منه العملية العضوية «للتنامي» هو التفتت التدريجي «للعناصر اليمينية» في الثورة في الوقت الذي تتقوى فيه «العناصر اليسارية» وقد طور ستالين هذه الموضوعة بعمق منقطع النظير، ولكن مع شديد الأسف فإن نظرية ستالين – مانويلسكي الرائعة تتناقض كليا مع النظرية الطبقية لماركس[70].

تتحدد الطبيعة الطبقية للنظام الاجتماعي، وبالتالي لكل ثورة، بالطبيعة الطبقية للطبقة التي تمسك بيدها زمام السلطة. ولا تنتقل السلطة من طبقة إلى طبقة «بالتنامي» العضوي بل بالإسقاط الثوري لها. لقد داس المنحرفون على هذه الحقيقة أولا في الصين والآن في إسبانيا. ونحن نرى سحرة البرافدا المثقفين يرتدون القلانس ويضعون ميزان الحرارة تحت لسان زامورا ويتناقشون: هل يمكننا أن نقول أن عملية «التنامي» قد أوصلت إسبانيا إلى مرحلة الثورة الاشتراكية؟ والنتيجة التي يصل إليها هؤلاء الحكماء – لنعطي حكمتهم حقها – هي: لا، ليس بعد.

بعد عرض هذا المسح السوسيولوجي القيّم، تدخل البرافدا مجال التوقع والتوجيهات فنراها تقول: «لا يمكن للثورة الاشتراكية أن تكون **المهمة الراهنة على جدول أعمال اليوم**. فالمهمة الراهنة (1) ثورة العمال والفلاحين ضد ملاك الأراضي والبورجوازية» (البرافدا 1931/5/10). لا خلاف في أن الثورة الاشتراكية ليست (المهمة الراهنة على جدول أعمال اليوم) في اسبانيا، ولو أن من الأفضل والأدق أن نقول إن **الانتفاضة المسلحة الهادفة إلى استيلاء البروليتاريا على السلطة ليست «المهمة الراهنة على جدول أعمال اليوم» في اسبانيا**. لماذا؟ لأن طليعة البروليتاريا مشتتة ولا تقود البروليتاريا خلفها بعد، ولأن البروليتاريا لا تقود خلفها الجماهير المضطهدة في الريف. وفي ظل هذه الشروط فإن النضال من أجل الاستيلاء على السلطة سيكون مغامرة.

ولكن إذا كان الأمر كذلك فما معنى العبارة الإضافية «المهمة الراهنة هي ثورة العمال والفلاحين ضد ملاكي الأراضي والبورجوازية» هل تعني أن بين النظام البورجوازي الحالي وبين ديكتاتورية البروليتاريا تنتصب أمامنا «ثورة عمال - فلاحية»: **قائمة بذاتها؟** والأكثر من هذا هل تعني هذه الثورة الوسطية والقائمة بذاتها «ثورة العمال والفلاحين»: هذه الثورة المختلفة عن الثورة الاشتراكية، أنها «مهمة راهنة» في إسبانيا؟ هل تعني أنه يقوم على جدول أعمال اليوم إطاحة جديدة بالسلطة؟ هل بالانتفاضة المسلحة أو بوسيلة أخرى؟ بأي شكل بالضبط ستتميز «ثورة العمال والفلاحين ضد ملاكي الأراضي والبورجوازية» عن الثورة البروليتارية؟ ما هي مجموعة القوى الطبقية التي ستقوم في أساسها؟ أي حزب سيقود الثورة الأولى بالمقارنة مع الثانية؟ أين يكمن اختلاف برنامج هاتين الثورتين وأساليب عملهما؟

عبثا نسعى عن جواب لهذه الأسئلة. إن تشوش وضبابية هذه الفكرة تغلغلها كلمة التنامي. ورغم كل التحفظات المتناقضة يحلم هؤلاء الناس بعملية انتقال ارتقائي من الثورة البورجوازية إلى الثورة الاشتراكية عبر سلسلة من المراحل العضوية تحت أقنعة مختلفة من الأسماء المستعارة: الكومنتانغ، «ديكتاتورية ديموقراطية» و«ثورة عمال وفلاحين» و «ثورة شعبية» والمصيبة أن اللحظة الحاسمة في هذه العملية، لحظة انتزاع طبقة للسلطة من طبقة ثانية، تمر دون أن يلحظها أحد.

---

[68]- انعقد المؤتمر السادس للكومنترن عام 1928 بعد مرور أربع سنوات على انعقاد المؤتمر الخامس. كان بداية انتقال الستالينيين باتجاه التطرف اليساري وبداية ارتحالهم عن سياسة الجبهة الموحدة التي قامت بتطويرها المؤتمرات الأولى.

[69]- ترفض المجموعة الايطالية (بروميتو Prometo) البورديجيون Prodigists الشعارات الديموقراطية الثورية عموما في كل البلدان وكل الشعوب. هذه المذهبية الفئوية التي تتقاطع في الممارسة مع موقف الستالينيين لا علاقة لها بموقف البلاشفة اللينينيين. وعلى اليسار الأممي أن يرفض تحمل أدنى مسؤولية عن هذه الطفيلية اليسارية. والتجارب الحية في اسبانيا تثبت أن شعارات الديموقراطية السياسية ستلعب بلا شك دورا هاما في عملية تحطيم نظام الديكتاتورية الفاشية في إيطاليا. إن النزول إلى ميدان الثورة الاسبانية ببرنامج بروميتو يشبه الغطس في الماء بيدين ورجلين مشدودتين إلى الظهر. هكذا سباح معرض دوما لخطر الغرق. ل. تروتسكي.

[70]- ألكسندر مارتينوف 1865-1935: منشفي يميني متطرف قبل عام 1917 وخصما للثورة البلشفية. انضم إلى جماعة مارتوف المناشفة الأمميون عام 1917 ولم ينظم للحزب الشيوعي إلا عام 1932 ليصبح خصما لدودا للتروتسكية. كان المهندس الرئيسي لنظرية «تحالف الطبقات الأربع» في الصين التي سعت لتبرير تكتيك ستالين بإدخال الحزب الشيوعي الصيني إلى الكومينتانغ القومي لتشان كاي تشيك استنادا إلى أن الكومينتانغ حزب البورجوازية التقدمية. وكان هذا التكتيك سلف تكتيك الجبهة الشعبية.

مشكلة الثورة الدائمة[71].

من المؤكد أن الثورة البروليتارية هي في الوقت ذاته ثورة فلاحية. ولكن في ظل الشروط المعاصرة فإن الثورة الفلاحية من غير ثورة بروليتارية مستحيلة. يمكننا أن نقول للفلاح، وقولنا صحيح تماما، إن هدفنا هو إقامة «جمهورية عماليـــة–فلاحية» مثلما سمينـــا حكومة ديكتاتورية البروليتاريا في روسيا بعد انتصار ثورة أوكتوبر «حكومة العمال والفلاحين». إلا أننا لا نعارض «ثورة العمال والفلاحين» بالثورة البروليتارية بل نعتبرهما متماثلتين. وهذه هي الطريقة الصحيحة في مقاربة المسألة.

وهنا نلامس مرة أخرى لب مشكلة ما يسمـــــى بالثورة الدائمـــــة. لقد وصل المنحرفون في صراعهم مع هذه النظرية إلى القطيعة التامة مع وجهة النظر الطبقيـــة. صحيح أنهم قد أصبحوا أكثر حذرا بعد تجربة «تحالف الطبقات الأربع» في الصين، ولكـــــن ما نما هو تشوشهم. وها هم يبذلون كل جهدهم لتشويش الآخرين.

الحمد لله أن الأحداث قد خرجت من نطاق «البروفيسورات الحمر» المختصين بالتفلسف في موضوع النصوص القديمة. فالمسألة لم تعد تتعلق بدراسة مواد تاريخية أو انتقاء مقتطفات بل مسألة تجربة تاريخية جديدة رائعة تنتشر أمـــام أعيننا. وهنا تتواجه في ميدان الصراع الثوري وجهتا نظر، والكلمة الفصل ستقولها الأحـــــداث التي يستحيل الهرب من تحت أعيننا. فالشيوعي الاسباني الذي لا يفكر في الوقت المناسب بجوهر القضايـــا المتعلقة بالصراع ضد «التروتسكية» سيقف على المستوى النظري بلا سلاح أمـــام القضايا الأساسية للثورة الاسبانية.

ما هو تنامي الثورة؟:

نعم لقد طرح لينين صيغة افتراضية «لديكتاتورية ديموقراطية–بورجوازية للعمال والفلاحين» لو وُجد بلد من المتوقع أن تقوم فيه ثورة ديموقراطية فلاحية مستقلـــة قبل استيلاء البروليتاريا على السلطة، لكان هذا البلد روسيا. لأن المشكلـــة الزراعيـــة فيها كانت تغلب على مناحي الحياة وبسبب تواجد حركة فلاحية ثورية منذ قرون ولوجـــود حزب فلاحي مستقل واسع النفوذ بين الجماهير.

ولكن تبين أنه لا مكان لثورة وسطية بين الثورتين البورجوازية والبروليتارية حتى في روسيا. ففي نيسان 1917 قال لينيـــن مرارا وتكرارا لإقناع ستالين وكامنييف وغيرهم من المتشبثين بالصيغة البلشفيـــة القديمـــة لعام 1905: لا توجد ولا يمكن أن توجد «ديكتاتوريـــة ديموقراطية» غير ديكتاتورية ميليكوف–تسيرتيلي–تشيرنوف[72]. **الديكتاتورية الديموقراطية** بطبيعتها **هي ديكتاتورية البورجوازية على البروليتاريـــا**. وما يمكنه أن يحل محل هكذا «ديكتاتورية ديموقراطية» هو فقط ديكتاتورية البروليتاريا، وكل من يخترع صيغا وسطية وفي منتصف الطريق إمّا حالم تعس وإمّا دجال. هذه هي النتيجة التي استخلصها لينين من التجربة الحية لثورتي شباط وأوكتوبر، ونحن نقف بالكامل على أرضية هذه التجارب وهذه الاستنتاجات.

ومع ذلك ماذا يعني عند لينين «تنامي» الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية في ظل هذه الشروط؟ إنه لا يعني أي شيء مما يتخيله المنحرفون والثرثارون من أمثال البروفيسورات الحمر.

الحقيقة هي أن ديكتاتورية البروليتاريا لا تتزامن ميكانيكيا أبدا مع بداية الثورة الاشتراكية لأن استيلاء الطبقة العاملة على السلطة يتم في ساحة محددة وفي وقت محدد بحـــل مهام محددة. وهكذا مهام **راهنة** تكون في الأمم المتخلفة ذات طبيعة ديموقراطية: التحرر القومي من السيطرة الامبريالية والثورة الزراعية كما هو حال الصين أو الثورة الزراعية وتحرير القوميات كما هو حال روسيا. ونحن نجد الشيء نفسه في اسبانيا، ولو بتركيبة مختلفة من المهام. حتى أن لينين قال عن البروليتاريا في روسيا أنها وصلت إلى السلطة في أوكتوبر 1917 بشكل رئيسي **كوكيل للثورة البورجوازية الديموقراطيـــة.** تباشر البروليتاريا بعد الانتصار بحل المهام الديموقراطية، وتدريجيا فقط، بحكم منطق سيطرتها، تباشر بالمهمات الاشتراكية. ولم تشرع جديا بتجميع الزراعة إلاّ بعد إثنتي عشرة سنة من سلطتها. وهذا تحديدا ما أسماه لينين تنامي الثورة الديموقراطيـــة إلى ثورة اشتراكيـــة.

ليست سلطة البورجوازية هي ما يتنامى إلى سلطة عمال وفلاحين ومن ثم إلى سلطـــة بروليتارية أبدا. إن سلطة طبقة لا «تتنامى» من سلطة طبقة أخرى وإنما تتجرد منهـــا بالسلاح. ولكن بعد ما تستولي الطبقة العاملة على السلطة فإن المهام الديموقراطية للنظام البروليتاري تتنامى حتما إلى مهام اشتراكية. ويمكن أن نفهم الانتقال العضوي والارتقائي من الديموقراطية إلى الاشتراكية فقط في ظل ديكتاتورية البروليتاريـــا. هذه

---

[71]- إن نظرية الثورة الدائمة الماركسية التي طورها تروتسكي تقول، من بين ما تقول، إن إنجاز وترسيخ حتى المهمات الديموقراطية البورجوازية كالإصلاح الزراعي في البلدان المتخلفة يتطلب من الثورة أن تتجاوز حدود الثورة الديموقراطية إلى ثورة اشتراكية التي تقيم حكومة عمال وفلاحين. إن ثورة كهذه لن تحدث على «مراحل» (المرحلة الأولى تطور رأسمالي تتبعها في مستقبل غير منظور ثورة اشتراكية) بل يجب أن تكون مستمرة أو «دائمة» بحيث تنتقل مباشرة إلى مرحلة ما بعد الرأسمالية من أجل العرض الكامل لهذه النظرية راجع «الثورة الدائمة، نتائج وتوقعات» لليون تروتسكي.

[72]- ليون كامينيف: بلشفي قديم ساعد ستالين عام 1923 على شن حرب صليبيـــة ضد التروتسكية لكنه عاد وتحالف مع المعارضة اليسارية منذ 1936 حتى طرده من الحزب عام 1927. وعندما نفي تروتسكـــي استسلم لكنه طـــرد ثانية عام 1932 ثم أعلن توبته ثانية لكنه سقط ضحية لأولى محاكمات موسكو الكبرى وأعدم.
- بافل ميليكوف 1859–1943 : أحد قادة الكاديـــت (الديموقراطيـــين الدستوريـــين) ووزير الشؤون الخارجية في الحكومة الروسية المؤقتة بين آذار وأيار 1917 وعدو بارز للثورة البلشفية.

- إراكلي تسيرتلي 1882–1959: أحد قادة المناشفة الذين أيدوا الحرب وتولى عـدة مناصب وزارية لين آذار وآب 1917 وخصما للثورة البلشفية.

- فيكتور تشيرنوف 1875–1952: أحد مؤسسي وقادة الاشتراكييـــن الثورييـن الروس. شارك في مؤتمر زيمرفالد وتولى وزارة الزراعة في حكومة كيرينسكي وعارض الثورة البلشفية.

هــي فكرة لينيـــــــن المركزية، لكن المنحرفين غيروا كل هذا وشوهوه وحرفوه، وها هم يسمّمون وعي البروليتاريا العالمية بهذا الزيف.

البديل الانتهازي والبديل المغامر:

نكرر قائلين إن المسألة المطروحة ليست مسألة حذلقات أكاديمية وإنما المشاكل الحيوية لإستراتيجية البروليتاريا الثورية. ليس صحيحا أن «ثورة العمال والفلاحين» مطروحة على جدول الأعمال في إسبانيا. وليس صحيحا أن الثورة الجديـــــدة، أي النضال المباشر على السلطة قائمة على جدول الأعمال في إسبانيا في **الوقت الراهـــــن**. كلا. المطروح الآن هو النضال لكسب الجماهير وتحريرهم من الأوهام الجمهورية ومن ثقتهم بالاشتراكيين ومن أجل تراصهم الثوري. هذه الثورة الثانية آتية وستكون ثورة البروليتاريا التي تقود خلفها فقـــراء الفلاحين، ولا مجال بين النظـــام البورجوازي وديكتاتورية البروليتاريا لأي شكل من أشكال «ثورة العمـــال والفلاحيـــن» كثورة قائمة بذاتها. إن المراهنة على ثورة كهذه وتكييف السياسة حسبها سيعني تمريـــــر حـــزب كالمومينتانغ على البروليتاريا وتدمير الثورة.

إن الصيغ التشويشية التي تطرحها البرافدا تفسح المجال أمام طريقيـــن تم سيرهما في الصين إلى نهايتهما: الانتهازي والمغامر. وإذا كانـــت البرافدا لا تجرؤ اليـــــوم على «تحديد» الثورة الاسبانية كثورة عمال وفلاحين فما أدرانا أنها لـــن تواجهنا بها عندما يحل محل زامورا – الذي هو تشان كاي تشيك إسبانيا– شخص يشبه فعلا وان Wang تشان وي، أي لنقل لاروكس يساري[73]؟! ألن يقرر وقتها مشخصو الأمراض الحكماء –مارتينوف كوزونين وزملاؤهم– إن هذه الجمهورية يجب دعمها «دعما مشروطا» (صيغة ستالين في آذار 1917) أو «دعمها كليا» (صيغته إزاء الكومنتانغ 1925-1927)؟

ولكن هناك أيضا إمكانية المغامرة التي تلائم مزاج وسطية اليوم أكثر. فافتتاحية البرافدا تتحدث عن كون الجماهير الإسبانية «قد بدأت توجه ضرباتها ضد الحكومـــة» ولكن هل يستطيع الحزب الشيوعي الاسباني أن يطرح شعـــار إسقـــاط هذه السلطة **كمهمة لهذا اليـــوم؟** تقول البرافـــــدا في تحقيقاتها المتعوب عليها، كما سمعنا قبل قليل، إن المهمة الراهنة هي ثورة العمـــــال والفلاحين وإذا فهمنا هذه المرحلة ليس بمعنى «التنامي» بل بمعنى الإطاحة بالسلطة فعندئذ يصبح البديل المغامر كلّي الوضوح. إذ ربما يقول الحزب الشيوعي الاسباني الضعيف لنفسه في مدريد كما قال (أو أمر أن يقـــول) لنفسه في كانون الأول 1927 في كانتون: «لسنا مستعدين طبعا لديكتاتورية البروليتاريا ولكن طالما أن المسألة مسألة مرحلة وسيطـــة، ديكتاتورية العمال والفلاحين، فلنحاول القيام بانتفاضة ولو بقوانا الضعيفة – لربما تثمر». حقيقة أنه ليس عسيرا علينا أن نتوقع -بعدما انكشف الإهمال الإجرامي أثناء السنوات الأولى من الثـــورة الاسبانية– من المسؤولين عن تضييع الوقت أن يقوموا باستحثاث وكلائهم بالسوط الغليـــــــظ كيما يسرعوا. وهذا ربما يقودهم إلى مغامرة مأساوية من طراز كانتون.

منظورات أيام تموز:

ما مدى واقعية الخطـــر؟ إنه واقعي تماما. إنه يكمن في الشروط الداخلية للثورة ذاتها. وهذا ما يضيف إلى إهمال القيادة وتشوشهم عنصرا ينذر بالتشاؤم. إن إمكانية حـــدوث انفجار جماهيري قائمة في وضع إسبانيا الحالي. وهي تشبـــه بكثير أو قليل اشتباكات 1917 في بتروغراد التي دخلت التاريخ باسم «أيام تموز» وإذا كانت هذه المعـــارك لم تؤد إلى سحق الثورة فالفضل في ذلك يعود إلى صحة السياسة البلشفية[74]. لذا من الضروري الوقوف عند هذه المسألة باعتبارها مهلكة في اسبانيا.

نحن نصادف أيضا مثيلا «لأيام تموز» في كل الثورات القديمة، بدءا من الثورة الفرنسية العظمى، لكن نتائجها تكون مختلفة –عموما سيئة وفي الأغلب مأساويـــــة-. مرحلة كهذه جزء لا يتجزأ من آلية الثورة البورجوازية طالما أن الطبقة التي تقدم أكبر التضحيات في سبيل إنجاحها وتضع فيها كل آمالها تحصد منها أقل من الجميع.

واضطراد مسار هذه العملية واضح تماما. فالطبقة المالكة بعدما توصلها الثـورة إلـى قمة السلطة تميل إلى الاعتقاد بأن الثورة قد استنفذت مهمتها، وتصبح معنية أكثـــر من أي شيء آخر بالبرهنة للقوى الرجعيـــة أنها جديرة بالاعتمـــــــاد عليها. ونفس الإجراءات التي تقوم بها البورجوازية «الثورية» لاسترضاء الطبقات المخلوعة تتسبب بنقمة الجماهير عليها. ويبدأ وهم الجماهير بالتلاشي بسرعة كبيرة حتى قبل أن يتسنى لطليعتها أن تجفف عرقها من حرارة المعارك الثورية. إذ يبدو للذين على رأس الحـــركة أن بإمكانهم إكمال أو تصحيح ما لم يتحقق في السابق كما ينبغي بضربة واحدة. هو ذا مصـــدر دفق الثورة الجديد الذي يندفع بلا تجهيز وبلا برنامج وبدون الالتفات إلى الخلف ودونما أدنى تفكير بالنتائج. أمّا بالنسبة للبورجوازية التي وصلت إلى السلطـــة فتتصرف كـــما لو أنها تنتظر هذه الانتفاضة العاصفة لتسوي الأمور مع الجماهير. هذه هي الأرضية الاجتماعية والسيكولوجية لشبه الثورة الإضافية التي قامت أكثر من مرة في التاريخ بدور المحرض على انتصار

---

[73]- وان تشي وي 1884–1944: قائد حكومي في منطقة ووهـــان الصناعية في الصين. وكان مثله مثل تشان كاي تشيك في تخييبه لأمل الكومنترن عندما أوكل إليـــــه دورا ثوريا، وكان برنامجه كبرنامج تشان من حيث أنه لم يتجاوز الحفاظ على البورجوازية الصينية بكل الوسائل. وبعد ستة أسابيع فقط من انقلاب تشـــــان في شنغهـــأي قام وان بمهاجمة العمال في ووهـــان. وهكذا أغرق حلفاء ستاليـــن الثورة الصينية في بحر من الدماء.

- أليجندرو لاروكس غارسيا 1865–1949: قائد الحزب الراديكالي الاسباني ورئيسا للوزراء بين 1933–1936.

- أوتومار كوزونين 1881–1964: اشتراكي ديموقراطي فنلندي هرب إلى موسكو بعد انهيار الثورة الفينلندية في نيسان 1918. أصبح موظفا ستالينيـــــا في الكومنترن.

[74]- اندلعت أيام تموز 1917 في بتروغراد بدون أي قيادة وأدت إلى مواجهات دموية. وقد اعتبر البلاشفة مسؤولين عنها واعتقل قادتهم وأغلقت صحفهم.

الثورة المضادة.

لقد حدثت «أيام تموز» في فرنسا 1848 في شهر حزيران، واتخذت طابعا أشد رعبا ومأساوية مما اتخذته في بتروغراد 1917. إن ما يسمى أيام حزيران البروليتاريا الباريسية إنما انبثقت من ثورة شباط. ما كان بإمكانهم، وبنادق شباط في أيديهم، إلاّ أن يردوا على التناقض القائم بين البرنامج الرائع والواقع المرير، إلاّ أن يردوا على المفارقة التي لا تحتمل والضاغطة على بطونهم وأفئدتهم. لقد حدثت أيام باريس بلا خطة أو برنامج أو قيادة، وكانت في قوتها وجموحها نسخة طبق الأصل عن هذه البروليتاريا. لقد سحق الديموقراطيون العمال الثائرين بلا رحمة، وهكذا عبدوا الطريق أمام البونابارتية[75].

والعلاقة بين الحريق الهائل لكومونة باريس[76] وبين ثورة أيلول 1870 هي نفسها علاقة أيام حزيران بثورة شباك 1848. لم تقم انتفاضة البروليتاريا الباريسية في آذار 1871 بناء على حسابات إستراتيجية وإنما انبثقت من جملة ظروف مأساوية كمّلها أحد الاستفزازات التي تبرع البورجوازية الفرنسية بإبداعها أيما براعة عندما يستثير الخوف مكرها. واحتجاجا على خداع الثورة البورجوازية وصلت ردة فعل البروليتاريا في كومونة باريس للمرة الأولى إلى حد الثورة البروليتارية. لكنها لم تصله إلاّ لتسقط ثانية.

إن الثورة السليمة المجيدة البيضاء في اسبانيا (وسلسلة الصفات هذه هي نفسها في كل ثورة) تعد العدة أمام أعيننا «لأيام حزيرانها» وهذا إذا استخدمنا التقويم الفرنسي، أو لأيام «تموزها» حسب التقويم الروسي. فحكومة مدريد الغارقة في بحر من العبارات التي تبدو في أغلب الأحيان مترجمة عن لغة الثورة الروسية تعد الجماهير بإجراءات حاسمة ضد البطالة وبإرواء ظمئهم للأرض لكنها لا تجرؤ على لمس أي من القروح الاجتماعية. وتحالف الاشتراكيين مع الجمهوريين يساعد على تدمير مهمات الثورة. إن القائم على رأس كاتالونيا –المنطقة الأكثر تصنيعا في إسبانيا– يعد الجماهير بالمملكة الأليفة الخالية من الطبقات المضطهَدة أو المضطهدة، لكنه بنفس الوقت لا يجرؤ على رفع أصبعه لمساعدة الشعب فعلا على التطويح ولو ببعض القيود القديمة التي يكرهها الشعب أشد الكراهية. إن ماشيا Macia[77] يختفي خلف حكومة مدريد التي تختفي بدورها خلف الجمعية التأسيسية، كما لو أن الحياة تتوقف على هذه الجمعية. وكما لو أنه من غير الواضح سلفا أن الكورتس القادم سيكون نسخة موسعة عن التحالف الاشتراكي-الجمهوري المعني بشكل رئيسي بالحفاظ على الوضع الراهن.

هل من العسير التنبؤ بالتنامي المحموم لتمرد العمال والفلاحين؟! إن التنافر بين ثورة الجماهير وسياسة الطبقات الحاكمة الجديدة هو مصدر التناقض التناحري الذي سيقود في تطويره المستقبلي إمّا إلى قبر الثورة –ثورة نيسان– وإمّا إلى ثورة جديدة.

لو كان الحزب البلشفي حاسما في تقييم حركة تموز في بتروغراد كحركة «في غير وقتها» وأدار ظهره للجماهير لسقطت الانتفاضة -وهذا ما ستؤول إليه في ظل القيادة المشتتة وغير المنسجمة للفوضويين والمغامرين والأشخاص العارضين في تمرد الجماهير– وأهلكت نفسها حتما في اضطرابات دموية لا طائل منها. أما من جهة أخرى فلو وقف الحزب على رأس الحركة وتخلى عن تقييمه لمجمل الوضع وسمح لنفسه بالانجرار إلى معارك حاسمة، لاتخذت الانتفاضة مشهدا جزئيا ولاستولى العمال والجنود بقيادة البلاشفة على السلطة في بتروغراد في تموز بشكل مؤقت ليمهدوا الطريق أمام سحق الثورة فيما بعد. والقيادة الصحيحة للحزب البلشفي هي فقط ما منع حدوث هذا أو ذاك من الخطرين القاتلين: روح أيام حزيران 1848 وروح كومونة باريس 1971. كانت الضربة الموجهة للجماهير والحزب ثقيلة الوطأة جدا في تموز 1917 لكنها لم تكن حاسمة. وعدد الضحايا كان بالعشرات لا بعشرات الألوف، وخرجت الطبقة العاملة بعد هذه المحنة لا ضعيفة ولا مقطوعة الرأس إذ حافظت على كوادرها وتعلمت هذه الكوادر كثيرا وقادت البروليتاريا إلى النصر في أوكتوبر.

من هذه الزاوية بالضبط، زاوية «أيام تموز» فإن رواية الثورة الوسيطة، ثورة منتصف الطريق التي يفترض أنها الثورة القادمة في إسبانيا، تشكل خطرا كبيرا.

النضال لكسب الجماهير والجنتات العمالية:

إن من واجب المعارضة اليسارية أن تكشف وتفضح وتشرشح بلا هوادة في أذهان طليعة البروليتاريا وإلى الأبد صيغة «ثورة العمال والفلاحين» كثورة متميزة عن الثورتين البورجوازية والبروليتارية. أيها الشيوعيون الاسبان: لا تؤمنوا بها إنها وهم وخداع إنها شرك شيطاني سيستحيل غدا أنشوطة تلتف حول أعناقكم. لا تؤمنوا بها أيها العمال الطليعيون في إسبانيا، ادرسوا دروس الثورة الروسية ودروس هزيمة المنحرفين.

إن منظور النضال من أجل ديكتاتورية البروليتاريا ينفتح أمامكم، وتحقيق هذه المهمة يتطلب منكم لف الطبقة العاملة حولكم واستنهاض الملايين من فقراء الريف لنجدة العمال، وهذه مهمة عملاقة. وعلى عاتقكم أيها الشيوعيون الاسبان تقع مسؤولية كبيرة. لا تغلقوا أعينكم على نقاط ضعفكم ولا تنخدعوا بالأوهام لأن الثورة لا تؤمن بالكلمات، إنها تختبر كل شيء والأهم أنها تختبره بالدماء. فلا يطوّح بحكم البورجوازية إلاّ ديكتاتورية البروليتاريا. وما من ثورة ولن تكون هناك ويستحيل حتى وجود أية ثورة «وسيطة» و«أسهل» وأكثر

---

[75]- البونابرتية: مصطلح ماركسي لوصف ديكتاتورية أو نظام ذي ملامح محددة من الديكتاتورية في مرحلة لا يعود الحكم الطبقي فيها في أمان. وهي تعتمد على العسكر والبوليس وبيروقراطية الدولة أكثر من اعتمادها على الأحزاب البرلمانية أو الحركة الجماهيرية.

[76]- قامت ثورة شباط 1848 في فرنسا بإسقاط لويس فيليب. وقد ربحت البورجوازية الليبرالية والعمال النضال ضد الملكية وكبار الممولين والصناعيين وتم الإعلان عن الجمهورية الثانية.

[77]- الكولونيل فرنسيسكو ماشيا لوسا 1859-1933: قائد الايسكويرا (اليسار) الكاتالونية، حزب الطبقة المتوسطة الدنيا الكاتالونية.

«اقتصادية» وتكيفا مع قواكم. ولـــن يخترع التاريخ لكم أية ديكتاتورية انتقالية، أية ديكتاتورية من طراز آخر، أية ديكتاتوريـــــة بسعـــر مخفض. وكل من يتحدث إليكم بهذا إنما يخدعكم. أعدوا العـــدة لديكتاتورية البروليتاريا، أعدوا لها العدة بجد وحزم وبلا كلل.

ومهما يكن الأمر فإن المهمة الراهنة للشيوعيين الإسبان ليست **النضال من أجل السلطة وإنما لكسب الجماهير**. وعلاوة على ذلك فإن هذا النضال سيجري في الفتـــرة القادمة على أرضية الجمهوريـــة البورجوازية وإلى حد كبير في ظل الشعـــــــارات الديموقراطية. لذا يكون إنشاء الجنتات بلا شك المهمة الرئيسية ليومنا هذا، ومعارضـــــة الجنتات بالشعارات الديموقراطية أمر سخيف. لقد قاد النضـــال ضد امتيازات الكنيسة وعسف الأديرة وأوامرها –وهذا نضال ديموقراطي صرف– إلى انفجار جماهيري في أيار، الأمر الذي وفر ظرفا ملائما لانتخاب مندوبي العمال. ولكن مع شديد الأسف أنكم سمحتم لهذا الظرف أن يمر بلا فائدة.

إن الجنتات في هذه المرحلة هي الأشكال التنظيمية لجبهة البروليتاريا الموحـــدة -إنها الأشكال التنظيمية للإضرابات ولطرد اليسوعيين وللمشاركة في انتخابات الكورتس ولإقامة صلات مع الجنـــود ولدعم الحركة الفلاحيـــــة أيضا. لا يمكن أن تتأكـــد هيمنة الشيوعيين داخل البروليتاريا، وبالتالي داخل الثورة، إلاّ عبر الجنتات التي تضم النوى الأساسية للبروليتاريا وبقدر ما ينمو نفوذ الشيوعيين داخل الطبقة العاملة بقدر ما تتحول الجنتات إلى أجهزة للنضال من أجل استيـــلاء البروليتاريا على السلطة. وفي إحدى المراحل اللاحقـــة- لا نعرف متى تحين – ستجد الجنتات نفسها، باعتبارها أجهزة لسلطة البروليتاريا، على طرفي نقيض مع المؤسسات الديموقراطية للبورجوازية. وعندئذ فقط ستدق نهاية الديموقراطية البورجوازية.

من الثابت أن الجماهير تشعر كلما انخرطت في الصراع –ولا يمكنها إلاّ أن تشعر– بالحاجة الماسة إلى منظمة جديرة بالمسؤولية تسمو فوق مختلف الأحزاب والمجموعات والأقسام وتكون قادرة على توحيد كل العمـــال للقيام بعمل موحد. وهذا هو الشكـــل الـــــذي يجب أن تتخـــذه الجنتات المنتخبة من العمال. من الضروري معرفة كيفية طرح هذا الشعـــار في الفرص الملائمة، وهذه الفرص تتبدى أمامنا الآن في كل خطـــوة نخطوهـــا. أمّا معارضة شعار السوفييتات كأجهزة لديكتاتورية البروليتاريا بوقائـــع الصراع الحالي فتعني تحويل شعار السوفييتات إلى قدسية لا تاريخية وإلى أيقونة ثورية من طراز رفيع، هذه التي يمكن أن يعبدها القديسون الأفراد أمّا الجماهير فلن تتبعها.

مســـائل وثيـــرة الثورة الاسبانيـــة:

ولكن ألا يزال هناك متسع من الوقت لتطبيق التكتيـــك الصحيـــح؟ ألم يفـــت الأوان؟ ألم تضع كل الفرص؟ إن التحديد الدقيق لوتيرة تطور الثورة الإسبانيـــــة لفي منتهى الأهمية –إن لم يكن لتحديد الخط الاستراتيجـــــي فعلى الأقل لتحديد التكتيـــك. لأن أفضل الاستراتيجيات يمكن أن تؤدي إلى الدمار من غير التكتيـــك الصحيح –بديهي أنه يستحيل معرفة الوتيرة قبل وقت طويل لأن معاينتها تتم في مجرى النضال والاستفـادة من أكثر المؤشرات تنوعا. وعلاوة على ذلك، فإنها يمكن أن تتغير بحدة كبيرة في مجرى الأحداث. ومع ذلك لا مندوحة من وجود منظـــــور محدد أمامنـــا لكي ندخـــل فيه التعديـــلات التي تتكشف أثناء الممارسة أنها ضرورية.

لقد تطلبت الثورة الفرنسيـــة العظمى ثلاث سنوات كيما تبلـــغ ذروتها، المتمثلة بديكتاتورية اليعاقبة، في حين أن الثورة الروسية أنتجت ديكتاتوريـــة البلاشفة بعد ثمانية أشهر. وهنا نرى فرقا هائلا في الوتيرة. لو سارت الأحداث في فرنسا بشكل أسرع لما تسنـــى لليعاقبـــة أن يتشكلوا، لأنهم لم يسبق لهم أن تواجدوا كحزب عشيـــــة الثورة. أمّا من الجهة الأخرى، فلو كان اليعاقبة قوة عشية الثورة فعلى الأرجح أن الأحداث كانت ستأخـذ مسارا أسرع، وهذا أحد العوامل المحددة للوتيرة، ولكن هناك عوامـــل أخرى وربما تكون أكثر فاعلية.

لقد سبقت الثورة الروسية عام 1917 ثورة 1905 التي سماها لينين «بروفة» Rehearsal وكل عناصر الثورتين الثانية والثالثة كانت جاهزة مسبقا، لذا كانت القوى المنخرطة في الصراع تتحرك كما لو أنها تسيـــر حسب خطة. وهذا ما سرّع بشكـــل استثنائي وصول الثورة إلى نقطة أوجها.

ومع ذلك ما يجب أن لا يغيب عن البال أن العامل الحاسم بخصوص الوتيرة عام 1917 كان الحرب. فالمسألة الزراعية يمكن تأجيلها لعدة شهـــور، وربما بعام أو اثنين، أمّا الموت في الخنادق فما كان يحتمل التأجيـــل، وكان الجنود يتساءلون: ما فائدة الأرض ما لم نعش؟ إن ضغط اثني عشر مليون جندي كان عنصرا في التســـارع الاستثنائي للثـــورة، إذن من غير الحرب ورغم «بوتقة» 1905 ورغم وجود الحزب البلشفي، كان يمكن للمرحلة ما قبل البلشفية من الثورة أن تمتد لسنـــة أو اثنتين علاوة على الشهور الثمانيـــة.

هذه الاعتبارات العامة ذات أهمية واضحة في تحديد الوتيرة التي يمكن أن تتطور فيها الأحداث في إسبانيا. لكن الجيـــل الحالي من الاسبان لم يعرف الثورة، ولم يسبق له أن قام ببروفة، والحزب الشيوعي انخرط في الأحداث وهو في حالة شديـــدة مـــن الضعف، واسبانيا ليست في حالة حرب خارجيـــة والفلاحون الاسبان ليسوا مجمعين بالملايين في الثكنات والخنادق ولا يعانون من خطر الإبادة المباشر. مجمـــل هذه الأمور تدعونا إلى توقع تطور الأحداث بوتيرة أبطأ، وبالتالي تسمح لنا أن نأمل بفترة أطـــول نقوم فيها بتحضير الحزب للاستيلاء على السلطة.

ولكن ثمة عوامل تشد بالاتجاه النقيـــض ويمكنها أن تدفع باتجاه قيام محاولات لخوض المعركة الفاصلة قبل الأوان، وهذا ما يعادل هزيمة الثورة: إن ضعف الحزب يعـــزز قوة العناصر العفوية في الحركة، والتقاليد الفوضوية السنديكالية قد تدفع بنفس الاتجاه. وأخيرا فإن التوجه

الخاطـــــئ للكومنترن يفتح الأبواب على مصاريعها أمام انفجارات المغامرية.

وما يستنتج من هذه المقارنات التاريخية واضح: إن الوضـــــع في اسبانيا (حيث لا وجود لتقليد ثوري معاصر ولا لحزب قوي ولا لحرب خارجية) يقود باتجاه وضع يتبين فيه من كل المؤشرات أن **الولادة الطبيعية** لديكتاتورية البروليتاريا ستتأخر كثيرا عما تمت عليه في روسيا، لذا ثمة أمور تقوي بدرجة استثنائية خطر **إجهاض الثورة.**

إن ضعف الشيوعيين الاسبان الناجم عن خطأ السياسة الرسمية يجعلهم عرضة لأشـد نتائج التوجيهات الخاطئة خطرا. فالضعيف لا يجب أن يرى ضعفه، ويخاف أن يتأخـــر، لذا يكون عصبيا ويندفع إلى الأمام. وهكذا يمكن للشيوعييـــن الاسبان أن يكونـــوا خائفين من الكورتس بشكل خاص.

إن الجمعية التأسيسية التي كانت البورجوازية الروسية تؤجلها باستمرار لم تنعقـد إلاّ بعد المواجهة الحاسمة، وتمت تصفيتها دونما أدنى صعوبة. في حين أن الكورتس التأسيسي الاسباني ينعقد في مرحلة مبكرة من تطور الثورة، وسيكـون الشيوعيون فيه أقليـــة مهمة، هذا إذا وصلوا إليه. من هنا فالفكرة التالية غيـــر مستبعـــــدة: محاولة إسقاط الكورتس بأقصى سرعة ممكنة استنادا إلى إحدى الهجمات العفويـــة للجماهير. وهذه المغامرة ليس فقط ستفشل في حل مسألة السلطة بل أيضا ستقـــذف بالثورة إلى الخلـف زمنا طويـلا، وعلى الأرجح أنها ستكسر ظهرها. لن تتمكن البروليتاريا من انتـــزاع السلطة من أيدي البورجوازية إلاّ إذا كافحت من أجلها بكل جوارحها وإلاّ إذا حازت على ثقة غالبية المضطهدين.

وتحديدا بخصوص المؤسسات البرلمانية للثورة، ينبغي ألاّ ينظر الرفاق الإسبـــان إلى تجربة الثورة الروسية بل إلى تجربة الثورة الفرنسية العظمى. فديكتاتورية اليعاقبـــة سبقتهـــا ثلاثة برلمانات. ومن السخف أن يعتقد المرء –كما يفعل جمهوريو مدريد واشتراكيوها– أن الكورتس سيوقف الثورة فعلا. كـــلا، لا يمكنه إلاّ أن يعطي لتطورها دفقا جديدا، وهذا ما يضمن لها بنفس الوقت تطورا أكثر انتظاما. هكذا منظـــــور في منتهى الأهمية لتوجهنا في مجرى الأحداث ولعلاج عصبيتنا ومغامرتنا.

هذا لا يعني طبعا أن يصير الشيوعيون كوابح قطار الثورة، كما أنه يعني بشكـــل أقل أن ينعزلوا عن الحركـــة وعن نهوض جماهير المدينة والريف، لأن هكذا سياسة ستدمـــر الحزب الذي لازال يواجه تحدي كسب الجماهير الثورية. لقد كان البلاشفة في وضع يسمح لهم بكبح اندلاع الجماهير نحو الكارثة في تموز فقط لأنهم كانوا على رأس المعارك التي خاضها العمال والجنود قبلئذٍ.

إذا ما فرضت الظروف الموضوعية وخيانة البورجوازية على البروليتاريا الدخول في معركة فاصلة في ظل شروط غير مناسبة فسيأخذ الشيوعيون طبعا موقعهم في مقدمة صفوف المقاتلين. فالحزب الثوري يفضل دوما أن ينهزم مع الجماهيـــر على أن يتنحّى جانبا يلقي المواعظ الأخلاقية ويترك العمال تحت حراب البورجوازية بلا قيادة. الحزب المهزوم في المعركة سيمدّ جذوره عميقا في قلوب الجماهير، وعاجلا أم آجـــــلا سينتقم. أما الحزب الذي يتخـــــلّى عن الطبقة ساعة الخطر فلن يعاود الحيـــــاة. على كل حـــــال، لا يواجه الشيوعيون الاسبان أبدا معضلة مأساوية من هذا القبيـــل، على العكـس، كل الأسباب تحدو بنا إلى الاعتقاد بأن السياسة المشينة للاشتراكييـــن وهم في السلطة والخيبة الشديدة للفوضوييـــن السنديكالييـــن ستدفعان العمال نحو الشيوعيين أكثر فأكثر، وأن الحزب –شريطة إتباعه سياسة صحيحة– سيتسنى له الوقت الكافي لتجهيز نفسه وقيادة البروليتاريا إلى النصر.

من أجل وحدة صفوف الشيوعيين

إن من أشد جرائم البيروقراطية الستالينية خبثا هو قيامها بالتقسيـم المنتظـــم لصفوف الشيوعيين الضعفاء في اسبانيا. وهذا التقسيـــم لم يكن نتاج مجريات الثورة الاسبانية بل أقحم مسبقا على شكل توجيهـــات نابعة عن صراع البيروقراطية الستالينية من أجل حقها في الوجود. غالبا ما تخلق الثورة في البروليتاريـــا جاذبية قوية نحو اليســـار. فكل التيارات والمجموعات التي كانت قريبة جدا من روح البلشفية التحمت بهـــا عام 1917، حتى أولئك الذين حاربوها فيما مضى. ولم ينمُ الحزب نموّا سريعـــا فحسب بل كانت حياته الداخلية عاصفة، من نيســان إلـى أوكتوبـــر، وفيما بعد في سنوات الحرب الأهلية اتخذ صراع التيارات والمجموعات في الحزب البلشفي في بعض اللحظات حدة استثنائية، ولكننا لم نر أية انشقاقات أو حتى حالات طرد فردية.

إن ضغط الجماهير القوي يلحم الحزب مع بعضه، والصراع الداخلي فيه يمرِّسه ويوضِّح له طريقه. في هذا الصراع يثق كل أعضاء الحزب عميق الثقة بصحة سياسته والتعويل الثوري على قيادته. إن وجـود هذه القناعة في القاعدة البلشفية، والتي يتم اكتسابها بالممارسة والنضال الأيديولوجي، هو فقط ما يسمح للقيادة بقيادة الحزب ككل إلى المعركة وقت الضرورة. ولا يجعل الطبقة العاملة تثق بالحرب إلاّ ثقة الحزب بنفسه بصحة سياسته. إن ما يشلّ الحزب الشيوعـــــي الاسباني الآن هو الانقسامات الاصطناعية المفروضة عليه من الخارج وغياب الصراع الأيديولوجـــي الحرّ والشريف ووصم الأصدقاء كأعداء واختلاق الأساطير التي تغذي شق صفوف الشيوعييـــن. على الحزب الشيوعي أن يتخلّص من القبضة البيروقراطية التي تحيله حزبا عاجزا، يجب تجميـــع صفوف الشيوعيين على قاعدة من النقاش العلني والشريف، يجب الإعداد لمؤتمر توحيدي للحزب الشيوعي.

إن ما يعقّد الوضع ليس فقط كون البيروقراطية الستالينية الرسمية قليلة العدد في اسبانيا بل أيضا كون المنظمات المعارضة المتواجدة

رسميا خارج الكومنترن –الاتحاد الكاتالوني ومجموعة الاستقلال الذاتي[78] في مدريد –تفتقر إلى برنامج عمل واضح، وما يزيد الأمر سوءا أنها مصابة إلى حد كبير باللـــــوثة التي نثر محرفو البلشفية بذورها بسخاء طوال السنوات الثمانية الماضية. يفتقد المعارضون الكاتالونيـــون للوضـــــوح الضروري فيما يتعلق بـ«ثورة العمال والفلاحين» و«الديكتاتوريـــة الديموقراطيـــة» و«حزب العمال والفلاحين» وهذا ما يضاعف الخطر. وينبغي أن يرتبط النضال من أجل وحدة صفوف الشيوعيين بالنضال ضد الانحطاط الأيديولوجي للبيروقراطية الستالينية وتزييفهـــا.

تلك هي مهمة المعارضة اليسارية. وهنا أيضا يجب قول الحقيقة: بالكاد قاربت المعارضة اليسارية حل هذه المهمات إن كون الرفاق الاسبان الملتزمين بالمعارضة اليسارية لم يؤسسوا صحافتهم الخاصة، بعد تضييع في الوقت لا يغتفر، لن تتركه الثورة يمر بغير حساب نحن نعلم في ظل أية ظروف يعيش رفاقنـــــا: اضطهاد البوليس غير المنقطع في ظل بريمودي ريفيـــــرا وفي ظل بيرنغويـــر وزامـورا. فالرفيق لاكروكس، على سبيل المثال، لا يخرج من السجن إلا ليعود إليه[79]. وجهاز الكومنترن العاجز ساعة القيادة الثورية يظهر عبقريته الفائقة على صعيد المضايقات والافتراء. كل هذا يصعب عملنـــــا إلى أبعد الحدود، ولكن يجب القيام به. يجب أن نلملم كل قوى المعارضة اليساريـــــة في كل أرجاء اسبانيا ونؤسس صحيفة ونشرة ونجمع شبيبة الطبقة العاملة وننظم مجموعات ونقاتل من أجل وحدة صفوف الشيوعيين على أساس السياسة الماركسية الصحيحة.

.20- الفوضوية السنديكالية والاتحاد الكاتالوني

1931/5/31

على ما أرى فإن الفوضويين السنديكاليين يمارسون سياسة تصالحية مع النظام المقيت للكولونيل ماشا Macia الوكيل البرشلوني لإمبريالية مدريد. لقد أصبح قادة الفوضوية السنديكالية الوكـــــــلاء الثانويون. وفي الواقع الوكلاء، للسلام الأهلي القومي في كاتالونيا.

لقد تبنى الاتحاد الكاتالونـــــي، كما أرى، إزاء الفوضويين الساندیكاليين موقفا تصالحيـــا. وهذا يعني أنه استبدل بالسياسة الثورية للجبهة الموحدة السياسة الانتهازية في مغازلة الفوضويين السنديكاليين والدفـــاع عنهم، ومن خلالهم مع نظام ماشيـــا. وبهـــذا بالضبط أرى أحد منابع الانفجار الذي يمكن أن يكون خطيرا جدا في مرحلة معينة.

ليست مهمة النقابات أن تكبح العمال. بل أن تعبئهم وتنظمهم للهجوم. عليهـــــا قبـــل كل شيء آخر أن تستنهض عمال المناطق المتخلفة في كاتالونيا وكل اسبانيا. وليست مهمة الاتحاد الكاتالوني أن يعزز مكانة الاتحاد الفوضوي الساندیكالي وإنما القيـــام شيئا فشيئا في نقده الدائم وإدانة تحالفه الضمني مع البورجوازية الصغيرة المضادة للثورة التي يقودها ماشيا.

وهكذا فإن كبح الأفعال التي لم يئن أوانها وغير المعقولة لا يمكن أن يتحول إلى خنق الثورة على الطريقة المنشفية. يجب أن يكون لنا خطنا الاستراتيجي الواضح الذي تفهمه طليعة العمـــال كيما تستطيع أن تشرحه بلا كلل للجماهير الواسعة، ليس للاتحاد الكاتالوني خط استراتيجي، كما أن قادته يخافون التفكيـــــر بالمشكلات الأساسيـــة للثورة، ولو لم يكن الأمر كذلك لم خافـــوا من «التروتسكية» هذا الخوف الصبياني الأحمق الذي يعبر عن مجمل نطاق تفكيرهم السياسي.

.13- برنامج الاتحاد الكاتالوني

12 حزيران 1931

الرفاق الأعزاء

انتهت للتو من قراءة برنامج ما يسمى (حلف العمال والفلاحين) وهو الاسم الذي يعمل الاتحاد الكاتالوني تحته، في (الصراع الطبقي La Lutte de Classe) لأول مرة. وأعتـــــرف بأن (الصراع الطبقي) قد ترجمت الوثيقة بشكل شامل وصحيح. إن الوثيقة بالمجمل من بدايتها إلى

---

[78]- مجموعة الحكم الذاتي في مدريد: كانت منظمة قويـــة عام 1931 عندما طردت من الحزب الشيوعي لمعارضتها الطريقة البيروقراطية للجنة التنفيذية للحـــــــزب الشيوعي الاسباني وخصوصا لرفضها اتبـــاع التوجيهات بشق الاتحاد القومي للعمل. وفي الوقت الذي لم تدعم برنامج المعارضة اليسارية فإنها لم تسمح للمنتسبيـن للمعارضة بالمناقشة أو المشاركة في صفوفها.

[79]- هنري لاكروكس هو الاسم الحركي لفرنسيسكو غارسيا لفيد Lavid : أحد أوائل قادة المعارضة اليسارية الاسبانية عندما قامت في منفاها البلجيكي. اعتقل في اسبانيـــا في حزيران 1930 وأطلق سراحه بعد سقوط الملكية. أصبح السكرتير العام للمعارضة اليسارية الاسبانية في مؤتمرها الثاني في حزيران 1931 واعتقل عدة مرات في هذه الفترة باعتباره قائدها الرئيسي.

بعد تشرين الثاني 1932 اختلف مع نـــن وأصدر نشرة تؤكد أن تروتسكي محق في انتقاداته للمعارضـــة اليساريـــة الاسبانيـــــــة. عام 1932 طرد من الفرع الاسباني بسبب «اختلاسه للأموال» وانضم للحـــزب الاشتراكـــي وأصبح قائدا لفصيل فيمـــا بعد في الحرب الأهلية. في كانون الثاني 1939 تعرف عليه الضباط الستالينيين كتروتسكي سابق من خلال قائمة أسماء كانت معهم واعتقلوه وشنقوه على بعد عشرات الأمتار من الحدود الفرنسية.

نهايتها، تعطي انطباعا مؤلما. فكل ما كتبته في عملي الأخيـــر (الثورة الاسبانية في خطـــر) ضد السياسة الرسمية للكومنترن في القضية الإسبانيــة ينطبق على الاتحاد الكاتالوني. لا بل يرتكب الأخير أخطـــاء تخلي عنها الكومنترن، على الأقل لفظيا.

.1- تصدر الوثيقـــــــة باسم (حلف العمال والفلاحين)، ما هـــذا؟ هل هو اسم مستعار لاتحاد كاتالونيا؟ إن الحلف، أقصد، وحدة العمال والفلاحين، مهمة سياسيـــــة هائلة على البروليتاريا أن تنجزها. ويجب أن تنزل هذه المهمة في البرنامـــج. ولكن بدلا من ذلك، يصبـــــح (حلف العمال والفلاحين) اسم التنظيـــم الثوري. إن هذا لا يعدو كونه نسخة جديدة من حزب العمال والفلاحين، علما أن المؤتمر الســـادس للكومنترن تخلى عن هذه الفكرة الرجعية كجزء من نقده للمعارضة اليسارية.

.2- لا تظهر كلمة (شيوعيـــة) ولو مرة واحدة في كل وثائقهم. إن من يخفي شيوعيتـــه عن الجماهير يكف عن كونه شيوعيا.

.3- يتكلمون عن ثورة ديموقراطيــة وعن جمهورية ديموقراطيــة وعن ثورة شعبية، دون أية محاولة للقيام بتحليـــــل طبقي. فيتهمون الحكومة بأنها غير حازمة ومتذبذبة... الخ لكنهم لا يسمونها، بأي مكان، حكومة البورجوازية عدوة الشعـــــب. إن نقدهـــم لحكومة زامورا هو نسخة طبق الأصل لنقد المناشفة والاشتراكيين الثوريين لحكومة كيرنسكي–الأمير لفوف[80]. وهم لا ينبسون ببنت شفة في موضوع حكومة ماسيا.

.4- تتكلم الوثيقة عن «بناء عقلاني للمجتمع» دون أن توضح ماذا يعني ذلـــك. تـــلك هي لغة الاشتراكيين (الحقيقييـــــن) قبل عام 1848. ثم تقول «يجـــب أن تكون بداية تنظيم اجتماعي جديد»، من أي نوع؟ نظام بورجـــوازي أم اشتراكـــي؟. إن الوثيقـــة تلعب (الغميضة) مع الرأسمالية والاشتراكية.

.5- يتم تصوير واقع أن ألفونسو أعطي الفرصة للهرب خارج البلاد على أنه خطأ كبير من الحكومة المؤقتة، خطـــأ؟ هل يعني ذلك أن زامورا ليس (حـــاذقا) بما فيه يكفي في سياسته الثورية؟ هذه هي الطريقة التي كان المناشفـــة الروس يعرضون القضية بها. إن تسمية عمل مضاد للثورة معتمد تقوم به البورجوازية (خطأ) يعني أن تبيض صفحة البورجوازية وأن تتستر عليها عن أعين الجماهير.

.6- (يجب أن تكون الجمهورية انتصارا، ليس فقط للبورجوازيـــة بل وللعمـــال أيضا) ما معنى هذه العبارة الخاطئة من أساسها والديموقراطية المبتذلة والمرواغة. أين ومتـــى إن وجدت جمهورية ترضي، في نفس الوقت، مصالح البورجـــوازية ومصالح العمـــال؟ يمكننا أن نطلب من الجمهورية البورجوازية، ويجب أن نطلب منها حقوقا ديموقراطية وإصلاحات اجتماعية، عاملين دون توقف عن فضح الجمهورية البورجوازية وحتى في قمة ديموقراطيتها بوصفها آلة تستخدمها البورجوازية لاعتصار عرق ودم العمال والفلاحيـــن.

.7- رافق الإشارة إلى جمهورية 1873 هذه العبرة التي لا تصدق «وهكذا نشأ انفصال كامل بين السلطـــة والشعـــب». يتم فصل تجريد الشعب عن تجريد السلطة. لربـــما فصلت البورجوازية نفسها عن الشعب العامل؟ من الضروري الإشارة إلى مثل 1873 لا لنؤكد على أن البورجوازية تصبح ألطف وأفضل وأكرم وأرحم بل لكي نعلّم الجماهير أن لا تؤمن للحظة واحدة ببورجوازية (ألطـــف) و(أكـــرم) و(أرحـــم). ذلك كيف يتناول الماركسيون المسألة.

.8- يدعوا البرنامج «الجماهير العالمة للانتظام في كل المناطق على أساس الجنتـات الثورية» لأية غاية؟ لم توجد إشارة لأي برنامج، ليس ثمة ذكر لكون الجنتـــات من هذا النوع سيكون عليها ضمان الانتقال الثوري للسلطـــة إلى أيدي العمـــال والفلاحيـــن الفقراء، لي هذا فقط، بل ليس هناك برنامج بمطالب انتقاليـــــة: يوم عمل من سبع ساعـــــات، سيطرة العمال على وسائل الإنتاج، تنظيم الانتفاضة الزراعية عبر جنتات العمال والجنود الثورية، إنهم لا يذكرون حتى أن الجنتـــات تنظيم للبروليتاريـــا والجماهير المستغلة ضد الطبقة التي في السلطة، يعني ضد البورجوازية، ويعتبرون الجنتا (تنظيما ثوريا) بروح التقليد البورجوازي الصغير الاسباني.

.9- في الكلام عن أهمية الانتفاضة الزراعية يشير إلى الثورتين الفرنسية والروسية دون أن يتطرق بكلمة واحدة لتجربة الثورة الصينية التي تم خنقها للتو على يد قيادة الكومنترن أمام أعيننا. هل (حل) الكومنترن المسألة الزراعيـــة في الصين بشكـــل صحيح؟ ما من كلمة حول ذلك. إن الشيوعـــــــي الذي لم يستفد من دروس التجربة الصينية لا حق له في أن يتوجه إلى الجماهير ليعلمها ويصدر لها الدعوات، خصوصا في بلـــد في غمرة الثورة.

.10- يقول البرنامج «نحن نؤيد دولـــــــة لكل أمة». ماذا يعني هذا بالنسبة لإسبانيا؟ ما هي الأمم المقصودة؟ ويتم تحديد تنظيم دولة عموم إسبانيا كما يلي «إتحاد الجمهوريات الأيبيرية» ماذا يعني هذا؟ إذا كان يعني فيدرالية، كان من الأفضـــل ذكر ذلك.

---

[80]- تأسس الحزب الاشتراكي الثوري في روسيا عام 1900 وبرز خلال العامين التاليين كتعبير سياسي لكل التيـــارات الشعبيـــة، وكان ذا النصيب الأكبـــر من النفوذ بين الفلاحيـــن قبل ثورة 1917. كان يقود جناحه اليميني كيرنسكـــي، أمّا الاشتراكيـــون الثوريون اليساريـــون فقد دخلوا في ائتلاف حكومي مع البلاشفـــة بعيد ثورة أوكتوبر، ولكن سرعان ما انتقلوا إلى المعارضة «من اليسار» ليقوموا بعدئـــذ بتنظيـــم أعمال مناهضة للثورة.

- ألكسندر كيرنسكي 1882–1970: محام وعضو في الحزب الاشتراكي الثـــوري. انتخب إلى الدوما الرابعة وأصبح نائبا لرئيس سوفييت بتروغـــــراد، وبعدئذ خرج من نظامه ليتولى وزارة العدل في الحكومة المؤقتة في آذار 1917. في أيـــار تولى منصب وزير الحرب والبحرية واستمر فيه حتى أصبح رئيســـا للـــوزراء، وبعد عصيان كورنيلوف عيّن نفسه قائدا للجيش أيضا. بعدما هرب من بتروغراد إثر استيلاء البلاشفة على السلطة قام بعمل بطولي في المنفى حيث كتب وأعاد كتابة عدة نسخ مختلفة عما جرى.

- الأمير جورج لفوف Lvov 1861–1925: سياسي روسي وملاك عقاري كبير. بعد سقوط القيصر أصبح رئيس الحكومة الانتقالية الأولى من آذار إلى أيار 1917.

.11- «يجب أن يكون الدفاع عن الثورة القانون الأعلى». دفاع ضد من؟ البورجوازية التي في السلطة تدافع عن ثورت (هـا) ضد البروليتاريا. كل من يخفي هـذه الحقيقة وراء عبارات فارغة عن الدفاع **بشكل عام** عن الثورة **بشكل عام** ضد أعداء **بشكل عام** إنما يساعد البورجوازية على خنق البروليتاريا تحت راية الثورة.

.12- في نهاية برنامجه، يعد (حلف العمـال والفلاحيـن)، أي حزب العمـال والفلاحين، «بالنضال بكل قوة من أجل تحقيق كامل الثورة الديموقراطيـة» هل يعني هذا الجمهوريـة البورجوازيـة على أساس برلمانية ديموقراطية؟ إذن يجب أن يقال هذا، لكن في هذه الحالـة، يجب على الأقل تقديم مطالب من أجل الحقـوق الانتخابيـة الديموقراطية، لأنه من الضروري قبل أن يمكن تحقيق الجمهوريـة «العقلانيـة» و«التنظيـم العقلاني للمجتمع» على شبه الجزيرة الإيبيرية أن تقوم جمهورية زامورا البورجوازية بإعطاء العامل والعاملة والفلاح والفلاحة، على الأقل، حق التصويت.

.13- لا يوجد ذكر لاسم الحزب الاشتراكي في البرنامج. كما لا يقول البرنامج كلـه كلمة واحدة عن الفوضويين السنديكاليين. ولا يذكر الحزب الشيوعي الرسمـي. ربما يستعد (حلف العمال والفلاحين) للعمل في الفراغ.

هذه هي الاعتراضات المباشرة التي أعتقد أنه من الضروري تسجيلها على النص الذي نشرته (الصراع الطبقي). من الممكن أن يكون الاتحاد الكاتالونـي قد أدخل في برنامجه تغييرا ما أو تصحيحا أو تعديلا وأنا مستعد، بالطبـع، للترحيب بكل خطوة يقوم بها الاتحاد الكاتالوني باتجاه الماركسية. ولكن الوثيقة كما هي تمثل (كيومانتانفيه) محضة منقولة إلى الثورة الاسبانية. فالأفكار والطرائق التي ناضلت المعارضة ضدها بلا هوادة عندما كان الأمر يتعلق بالسياسـة الصينية للكومنترن تجد قمة تعبيرها الكارثي في هذه الوثيقة.

بحدود معرفتي، يفك الاتحاد الكاتالونـي، بانتظام، ارتباطه مع المعارضـة اليسارية. وهذا لا يكفي يجب أن تفك المعارضة اليسارية ارتباطها بأسلوب واضـح ودقيـق مع الأفكار والطرائق التي يعبر عنها قادة الاتحاد الكاتالوني في الوثيقة التي حللناها بإيجاز آنفا. إن نقطة الإنطـلاق الخاطئة هي في الثورة تتحول حتما، في مجرى الأحداث، إلى هزيمة. ويمكن للمعارضة اليساريـة الاسبانيـة، بالرغم من ضعفها الراهن، أن تسدي خدمـات جلّى للبروليتاريـا وللثورة الاسبانية. لكن من أجل إنجاز هذه المهمة يجب أن تؤسس في صفوفها نظاما من الوضوح والصدق والمثابرة. هذه هي دعوتي للأصدقاء الاسبان.

- طبيـعة الثـورة

18 حزيران 1931

يطرح مجرى الأحداث على جدول الأعمال قضية هامة، يمكن للمعارضـة اليساريـة ويجب أن يكون لها فيها ما تقوله. إنني أتكلم عن الثورة الاسبانية. إنها ليست الآن قضيـة نقد لأحداث مضت، بل بالنسبة للمعارضة اليسارية الأممية، قضية القيام بتدخـل فاعل في الأحداث بغية منع الكارثة.

صحيـح أن قوانا ضعيفة، لكن ميزة الوضع الثـوري تكمن، بالتحديد، في حقيقة أنه يمكن حتى لمجموعة صغيرة أن تصبح قوة كبيرة من خلال فترة قصيرة من الزمن، شريطة أن تقدم التصور الصائب لجهة تطور الأحداث وأن ترفع الشعارات المناسبـة في الوقت المناسب. ولا أقصد هنا فقط فرعنا الاسباني، المنخرط مباشرة في الأحداث، بل أيضا جميع فروعنـا، لأنه كلما تقدمـت الثورة أكثر، كلما جذبت أكثر اهتمام العمال في العالم. إن اختيار الخطوط السياسية سيجري أمام عيون الطليعة البروليتارية العالمية . فإذا كنا جناحـا يساريا حقا، إذا كنا أقوياء حقا بفهمنـا الثـوري السليم، فلا بد أن تظهره هذه الثورة بوضوح، خصوصا خلال الوضع الثوري، وإذا كنا أممية حقا، فيجب أن نقوم بهذا العمل على نطاق عالمي.

يجب أن نطرح، بشكل قاطع، مسألتين أساسيتيـن: .1- مسألة الطابع العام للثورة الإسبانية وبالتالي الخط الاستراتيجـي. .2- مسألة الاستفادة التكتيكية الصائبة من الشعارات الديموقراطية والإمكانات الثورية والبرلمانية. لقد حاولت أن أقول كل شيء أساسي في هذه المسائل في آخر أعمالي عن إسبانيا [الثورة الاسبانية في خطر] وهنا أريد فقط، أن أعرض، باختصار، رأيي في المسائل العامة التي بصددها **يجب أن نشـن هجومـا ضد كامل خـط الأممية الشيوعية**.

هل علينا أن نتطلع في اسبانيا إلى ثورة وسيطة بين الثورة الجمهورية المنجزة والثورة البروليتارية المستقبلية، إلى ما يسمى ثورة «عمـال وفلاحين بديكتاتورية ديموقراطية» نعـم أم لا؟ إن كل الخـط الاستراتيجي يتوقف على الرد على هذا السـؤال. والحزب الشيوعي الرسمي غارق حتى الرقبـة في التشوش الأيديولوجي، حول هذه المسألة الأساسية، تشوش بذوره ولا يزال يبذره المنحرفون، والـذي يجـد تعبيره في برنامـج الأممية الشيوعيـة. لقد تسنى لنا، يوم بعد يوم، أن نفضـح، على ضوء الوقائع الحية، كل فراغ وكل سخف، وفي نفس الوقت الخطر المرعـب المتمثل بوهم ثورة وسيطة في منتصف الطريق.

يجب أن يتذكر الرفـاق القياديون في كل الفروع أننا نحن، الجناح اليساري، من يجـب أن يرتكز على أسس علمية صلبة. إن اللعب بالأفكار، دونما تفكير، والدجـل الصحفي على طريقة لاندو وزملائه[81] ، هما على طرف نقيض من جوهر التنظيم الثوري البروليتاري. يجب

دراسة المسائل الأساسية للثورة بنفس الطريقة التي يدرس بهـــا المهندسون مقاومة المواد أو التي يدرس بها الأطباء التشريح وعلم الأمراض. إن مشكلة الثورة الدائمـــة أصبحت الآن بفضل الأحداث في اسبانيا، المشكلة المركزية للمعارضـــة اليسارية الأممية.

إن مسائل الشعارات الديموقراطية والاستفادة من الانتخابات ومن الكورتس فيما بعد، هي مسائل التكتيك الثوري الذي يخضع للهدف العـــام للإستراتيجية. لكن أفضل الصيغ الإستراتيجية لا تساوي شيئا دون حل تكتيكي لهذه الصيغ في اللحظة المحدَّدة.

لكن المسائل في اسبانيا نبدو سيئة جدا من زاوية النظر هذه، فوفقا لبرقيـــات الصحـف الفرنسية فإن مورين[82] ، قائد الاتحاد الكاتالوني، قال في خطابه في مدريد إن تنظيمـه لن يشارك في الانتخابات لأنه لا يؤمن بـ(نزاهتها). هل يمكن أن يكون هذا صحيحا؟ إن ذلك يعني أن مورين لا يتناول مشاكل التكتيك الثوري من زاوية تعبئة لقـــوى البروليتارية، بل من زاوية عاطفية بورجوازية صغيرة أخلاقية، ولو قرأت ذلك قبل أسبوعين لظننت أن الصحافة البورجوازية تصف كلاما فارغا. لكن بعد اطلاعي على برنامج الاتحاد الكاتالوني لابد أن أعترف أن هذه الأخبار، بالرغم مما قد تبدو عليه من تشـوه رهيـب، ليست مستحيلة ويجب أن لا نستبعـدها مسبقا. علينا أن نشرع، على هـذا الخطأ، بنضال لا يرحم في صفوفنا. إنه شيء سخيف كليا ولا قيمة له أن نتنـازع مـع مختلف المجموعات حول موضوع وظائف وحقوق وامتيازات السكرتاريـا في وقت لا يتفـق فيه في المبـدأ مع هذه المجموعات. إنني أقصد، قبل كل شيء، مجموعـة بروميتيو Prometeo التي لا تتفق مع البلاشفة اللينينيين في المسائل الأساسية للإستراتيجية والتكتيك[83]. لا يجب أن نسمح لأحد بأن يخفي هذه الاختلافات العميقة بمنازعـات صاخبة حول مسائل تنظيمية و(تحالفـات) لا مبدئية ينتهي بها المآل، حتما إلى دسائس في الكواليس. لقد انطرحت قضية الشعارات الديموقراطية بعد التجربة الروسية مجـددا فـي مجرى الصراع في الصين. وعلى كل حال، لم يتسن لكل الفروع الأوروبية متابعة هذا الصراع. لهـذا، اتخذ النقاش في هذه المسائل طابعا أكاديميا أكثر أو أقل بالنسبة لبعـض الرفاق والمجموعات. لكن هذه المسائل، اليوم، تتجسد في الصراع والحيـاة. هل يمكن أن نسمح لأنفسنا بأن نبقى مكتوفي الأيدي إزاء تحول تاريخي هام كهذا؟ تماما كمـا كان الحال أثناء الصراع الروسي–الصيني، الذي هدد باندلاع حرب، حيث لم نضيـع أنفسنا في النقاشات حول فيما إذا كان ضروريا أن نساند الاتحاد السوفياتي أو تشانـغ كاي تشيك، كذلك اليوم، لا نستطيع ونحن نواجه الأحداث الإسبانيـــة مباشرة أن نتحمل حتى مسؤولية غير مباشرة عن الأوهام العصبوية نصف الباكونية لبعض المجموعات.

ألخص اقتراحاتي العملية كالتالي:

.1- على كل الفروع أن تضع مشاكل الثورة الاسبانية على جدول أعمالها.

.2- على قادة فروعنا أن يشكلوا لجانا خاصة تكون مهمتها جمع مواد والتعمق في المسائـل، وقبل كل شيء، متابعة لصيقة لنشاط الأحزاب الرسمية وللأسلوب الذي به تطـرح مشاكل الثورة الاسبانية.

.3- يجب تبادل كل الوثائق الهامة للشيوعية الأوروبية (بكل تياراتها) بانتظام، علـى الأقل على هيئة مقتطفات، لإطلاع فروعنا القومية.

.4- على كل فرع من فروع المعارضـة، بعد الاستعداد الضروري، أن يفتح هجومـا ضد سياسة الكومنتـرن في الثورة الاسبانية ويمكن أن يكون الهجوم أشكال مختلفة: مقالات في الصحف، اقتراحات نقدية، رسائـل مفتوحة، وداخـلات في الاجتماعـات، أعمال فردية، أعمال مجموعات... الخ لكن يجب أن تنسجم هذه الأشكـال بشكل متين.

.5- لابد، بعد عمل استعدادي ما في الفروع القوميـة كما في السكرتاريـة العالمية، من صياغة **بيان المعارضة اليسارية الأممية** بشأن الثورة الاسبانية، الذي تجب صياغته بشكل ملموس قدر الإمكان وبالتعاون الوثيق مع الفرع الاسبانـي. وسيكون من الضروري نشره على أوسع نطاق ممكن.

هذه الاقتراحات الملموسة، أرجو أن تناقشوها وبنفس الوقت أن ترسلوا نسخـة لكل الفروع بحيث يتواقت نقاشها في كل الفروع.

.23- (يسقـط زامـورا – مورا)

24 حزيران 1931

طرحت في رسالة إلى الرفيق لاكروكس بعض الآراء المكملة في موضوع الوضع في إسبانيا، وللأسف ليس لدي المعلومات الكافية

---

[81]- كورت لاندو: نمساوي وأحد قادة المعارضة اليسارية الألمانية. انشق عن المعارضة عام 1931 وشكل مجموعة خاصة به. ذهب إلى اسبانيا وأيد حزب العمال للتوحيد الماركسي. اختطفه البوليس الستاليني وأعدمه.

[82]- جواكين مورين جوليا: أحد قادة الحزب الشيوعي الاسباني وتركه ليشكل الاتحاد الشيوعي الباليري–الكاتالوني الذي عرف فيما بعد بـ«حلف العمـال والفلاحين» الذي كان أمينه العام والذي اندمج مع المعارضين اليساريين السابقيـن بقيادة أندريه نـن ليشكلا حزب العمال للتوحيد الماركسي. وعندما اندلعت الحـرب الأهلية اعتقلته وحدات فرانكـو لكنه نجا من الإعدام لأن الفاشييـن لم يعرفوه. وعندما أطلق سراحه ذهب إلى المنفى وكف عن كل نشاط سياسي.

[83]- مجموعة «بروميتيو»: كان يقودها أمادو بورديغا 1889–1970: أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الإيطالي الذي طرد من الكومنتـرن بتهمة «التروتسكيـة» عام 1929. حاولت المعارضة اليسارية العمل مع البورديغيين لكنهـا لم تفلح بسبب عصبويتهم الراسخـة. فعلى سبيل المثال كانـوا ضد تكتيك الجبهة الموحدة بسبب «مسائل مبدئية».

لأعرف كيف يتناول الشيوعيـــون الاسبان في كل المجموعات المسائل السياسية المطروحـــة اليوم. لذا فإن قيامي بتحليل للوضع الثوري في هكذا حالة أصعب من لعب الشطرنـــج بعينين معصوبتين ذلك أنه تبقى بعض النقاط في كل القضايا، أحتـــاج إلى توسع إضافي فيها. والآن أود أن أطرح هذه القضايا معكم وعبركم مع الشيوعيين الاسبان وكل فروع المعارضة الأممية.

إن القسم الاسباني من مقالتي عن المخاطر التي تهدد الثورة الاسبانية، مكرس للبرهان على أنه لا مكان لـ«ثورة العمـــال والفلاحيـــن» خاصة، بين ثورة أبريل الجمهورية البورجوازية من هذه السنة وبين ثورة البروليتاريـــــا القادمة. ولاحظت، مرارا، أن هذا لا يعني أن على حزب البروليتاريـــــــا أن يكرس نفسه لتجميع سلمي للقوى حتى «الصراع النهائي والحاسم». إن هكذا فهم سيكون فهما محافظـــا ومضادا للثورة. ففي حين لا يمكن أن يكون هناك ثورة وسيطة أو نظام وسيط يمكن أن يكـــون هناك وسيكون أعمال جماهيرية وسيطة، إضرابات مظاهرات، اشتباكات مع البوليس والوحدات العسكرية، اضطرابات ثورية عنيفة سيكون الشيوعيون فيها بشكل طبيعـــــي في الصفوف الأمامية للقتال. ما المعنى الذي قد تتخذه هذه النضالات الوسيطـــــــة؟ إنهـــا، من جهة أولى، قد تقدم تغييرات ديموقراطية في النظام الجمهوري البورجوازي، وستهيء الجماهير، من جهة أخرى، للاستيلاء على السلطة لخلق نظام بروليتاري.

إن مشاركة الشيوعيين في هذه النضالات، ومشاركتهم في قيادتها قبل كل شيء، يتطلب ليس فقط فهما واضحا لتطور الثورة ككل، بل ومقدرة على رفع الشعارات النضاليـــة العيانية الواضحة في اللحظة المناسبة، الشعارات التي لا تشتق بذاتها من «البرنامج» بل تمليها ظروف اليوم وتقود الجماهير إلى الأمام.

من المعروف جيدا الدور الكبير للشعار البلشفي «يسقط الوزراء الرأسماليون»، لقـــد تم تبني هذا الشعار في عام 1917 في وقت الائتلاف بين التوفيقيين والليبراليين البورجوازيين. كانت الجماهير لا تزال تثق بالاشتراكيين الثوفيقيين، ولكن حتى أكثرهم ثقة كانت تحمل عدم ثقة غريزية بالبورجوازية والمستغلين والرأسماليـــــن. وقد ارتكز تكتيك البلاشفة في تلك الفترة على عدم الثقة هذا. نحن لم نرفع «لتسقط الحكومـــة الانتقالية» كشعار راهن، لكننا، بدلا من ذلك، ركزنا بثبات على نفس الموضوعـــة «يسقـــط الوزراء الرأسماليون». وقد لعب هذا الشعار دورا كبيرا لأنه أعطى الجماهير الفرصة كي تتعلم من تجربتها أن الاشتراكيين التوفيقيين كانوا يفكرون بالوزراء الرأسماليـــن أكثر مما كانوا يفكرون بالجماهير العاملة.

إن شعارا من ذلك النوع هي الأكثـــــر ملاءمة للمرحلة الحالية من الثورة الاسبانية. فمن مصلحة طليعة البروليتاريا تماما أن تدفع الاشتراكيين الاسبان لاستلام السلطـــة بأيديهم، ولكي يحدث ذلك لا بـــد من فك الائتلاف. المهمـــة الراهنة هي النضال لإبعاد الوزراء البورجوازيين من الائتـــلاف. ولا يمكن تصور إنجاز هـــذه المهمـــة، ولو جزئيا، إلاّ بالترابط مع أحداث سياسية هامة، وتحت ضغط حركات جماهيريـــة جديدة.. وما شابه. وهكذا تم أولا إقصاء غوتشـــــــكـــوف Gochkov[84] وميليتوف ثم الأمير لفوف من الحكومة الائتلافية تحت ضغط الجماهير الدائم. وتم وضع كيرنسكـــي على رأس الحكومة، وارتفع عدد (الاشتراكييـــن) في الحكومة و ... وهكذا وبعد وصـــول لينين لم يتضامن الحزب البلشفي للحظة واحدة مع كيرنسكي والتصالحيين لكنه ساعد الجماهير على إبعاد البورجوازية عن السلطة واختبار التصالحيين في الممارسة. وقد كانت تلك المرحلة لا بدّ منها على طريق وصول البلاشفـة إلى السلطة.

إن انتخابات الكورتس، بقدر ما أستطيـــع أن أحكم على الأمـــــور عن بعـد، ستظهر ضعفا شديدا للجمهوريين اليمينييـــن من نمط زامورا وموورا، وأغلبية ساحقة للتصالحيين البورجوازيين الصغار من مختلف الأصناف: راديكاليين، اشتراكيين راديكالييـــن، و«اشتراكييـــــن»[85]. وبالرغم من ذلك، يمكننا أن نتوقع، شبه متأكديـــن، أن الاشتراكيين الراديكاليين سيتمسكون بكل قوتهم بحلفائهم اليمينيين. إنـــه الوقت المناسب لرفع شعار «يسقط زامزرا مورا» ومن الضروري فقط أن نوضح شيئا واحدا: لا يحرّض الشيوعيون في صالح وزراء لاروكس Lerroux ولا يتحملون أية مسؤولية عن الوزارة الاشتراكية، لكنهم يوجهون ضرباتهم، في كل لحظة سانحة، ضد أكثـــر الأعداء تصميما وتماسكا، مضعفين بذلك التصالحييـــــن وممهِّدين الطريـــق للبروليتاريا. إن الشيوعيين يقولون للعمال الاشتراكيين «أنتم، على خلافنا، تؤمنون بقادتكـــم الاشتراكيين، إذن أجبروهم، على الأقل، على استلام السلطة، ونحـــن سنساعدكم في هذا بصدق، وبعد ذلك سنرى، وهم في السلطـــة، من منـــا على حق علـــى ضوء ما يحدث».

لقد تناولنا آنفا هذه المسألة بالارتباط بتركيب الكورتس، ولكن يمكن لأحداث أخـــرى، كعمليات قمع ضد الجماهير مثلا، أن تعطي حدة فائقة لشعار (يسقط زامورا مورا) وفي هذه المرحلة الجديـــدة، سيكون للإنتصار في هذا الميدان أي استقالـــة زامـــورا، أهمية بما يخص التطور التالي للثورة تساوي تقريبا أهمية استقالة ألفونســـو في نيسان. ولكي نرفع هكذا شعارات، لا يجب أن ندع التجريدات المذهبيـــــة تقودنا بل يجـب أن تقودنا حالة وعي الجماهير وطريقة ردة فعلها على مختلف النجاحات الجزئيـــة. أمّا أن نرفع، ببساطة، شعار (ديكتاتورية البروليتاريا) أو (جمهورية العمـــال والفلاحيـــن) في وجه النظام الحالي فهو شيء غير كـــــاف على الإطلاق، ذلك أن هذه لا تحرّك الجماهير.

تنطرح في هذه السياق قضية الاشتراكية الفاشية مرة ثانية. فهذه البدعة السخيفة التـــي ابتدعتها البروقراطية المتطرفة يسارا، تصبح الآن في إسبانيا أكبر عقبة في طريق الثورة. لنعد ثانية إلى التجربة الروسيـــة. لقد عمل المناشفـــة والاشتراكيون الثوريـــون، وهم في السلطة،

---

[84]- ألكسندر غوشكوف 1961–1939: أحد أعضاء الدوما الأولى في روسيا وقـائد الأوكتوبريين في الدوما الثالثة (1907–1912). وانتخب رئيســـا لها عام 1910. كان وزيرا للحرب والبحرية من آذار إلى أيار عندما استقال وغـــــــادر البلد.

[85]- الحزب الراديكالي الإسباني: حزب بورجوازي انتقل من اليسار إلى الوسط لينتهي في معسكر الرجعية. استولى على السلطـــة في أيلول 1933 إلى كانون الثاني 1936. وقائده هو اليجاندرو لاروكس.

- الاشتراكيون الراديكاليـــون: أيضا حزب بورجوازي صغير متعاطف جدا مع آزانـــا.

على مواصلة الحرب الامبريالية والدفاع عن الرأسماليين واضطهاد الجنود والعمال والفلاحين والاعتقالات والعمل بعقوبة الإعدام والتغاضي عن قتل البلاشفة، وإجبار لينين على التخفي وإبقاء القادة البلاشفة الآخرين في السجن ونشر أكثر الافتراءات خسة ضدّهم .. الخ. إن ذلك أكثر من كاف لوصفهم «اشتراكيين فاشيين» حسب تعابير اليوم. لكن هذه الكلمة لم تكن موجودة حينئذ على الإطلاق، الشيء الذي لم يمنع البلاشفة، كما يعلم الجميع، من الوصول إلى السلطة. وقد جلس البلاشفة، بعد الاضطهاد الفظيع الذي تعرَّضوا له في تموز وآب، سوية مع «الاشتراكيين الفاشيين» في هيئات تم إنشاؤها للنضال ضد كورنيلوف[86]. وقد اقترح لينين، من مخبئه في بداية أيلول، مساومة مع (الاشتراكيين الفاشيين): انفكوا عن البورجوازية، واستلموا السلطة، ونحن، البلاشفة، سنناضل سلميا من أجل السلطة داخل السوفييتات.

ولو لم يكن ثمة فرق بين التصالحيين والكورنيلوفيين، الذين كانوا (الفاشيين) الحقيقيين حينئذ، لما كان ممكنا نضال البلاشفة بشكل مشترك مع التصالحيين ضد الكورنيلوفيين. وقد لعب ذلك النضال أعظم دور في تطور الثورة، بصدِّه هجوم الثورة المضادة للجنرالات ومساعدة البلاشفة بانتزاع الجماهير مرَّة وإلى الأبد من التصالحيين.

إن من صلب طبيعة الديموقراطية البورجوازية الصغيرة أن تنوس بين الشيوعية والفاشية، ويصبح النوسان حادا بشكل خاص خلال الثورة. إن اعتبار الاشتراكيين الاسبان مجرد تنويع فاشي يعني أن نتخلى سلفا عن إمكانية الاستفادة من نوسانهم المؤكد إلى اليسار، وأن نعزل أنفسنا عن العمال الاشتراكيين والنقابيين.

في النهاية لا بد أن أؤكد على أن انتقاد الفوضوية السنديكالية الاسبانية يشكل مهمة ملّحة جدا لا يمكن تأجيلها يوما واحدا. وإن قياديي القمّة الفوضويين السنديكاليين يمثلون أكثر أشكال التصالحيين خداعا وخيانة وخطورة وخنوعا للبورجوازية. وبين صفوف الفوضويين السنديكاليين تكمن قوى هائلة جدا للثورة. ومهمتنا هنا هي نفسها فيما يتعلق بالاشتراكيين: وضع القواعد في مواجهة القادة، ولابد، على كل حال، من أن يتم تعديل هذه المهمة بعناية بشكل يوافق الروح المتميزة للتنظيم النقابي والطابع المتميز للخداع الفوضوي. وسأعالج هذه النقطة في إحدى رسائلي التالية.

أؤكد مرة أخرى: يجب أن يتم جمع مقالات ومقترحات وبرامج.. الخ التنظيمات والمجموعات الثورية في اسبانيا، وترجمتها إلى الفرنسية وإرسالها إلى كل الفروع لترجمتها إلى بقية اللغات.

.24- موريـــن والفوضوية السنديكالية

29 حزيران 1931

يجب أن يخضع مورين لنقد متواصل لا يرحم، وستثبت الأحداث صحة نقدنا بالكامل. وفي غضون فترة قصيرة من الزمن سيغدو مورين مجرد شخصية هزلية بأفكاره الاقليمية ومذاهبه البالية وشعاراته المتخلفة. وكل شيء يكمن في معرفة من سيليه، ليس باستطاعة المعارضة اليسارية أن تصبح قوة قائدة في إسبانيا ما لم تصبح كذالك في كاتالونيا.

القضية الملحة الثانية تتعلق بالفوضويين السنديكاليين. من المهم أن ننشر كراسا ضد الفوضويين السنديكاليين ونوزعه بسعة ليس فقط في اسبانيا بل وفي البلدان الأخرى. هل قرأتم مقالات مونات Monate التي يعبر فيها عن أمله في أن يقدم الفوضويون السنديكاليون الإسبان دولة «فوضوية» أصيلة في مواجهة الدولة البلشفية[87] ؟ إن كل مصير الفوضوية العالمية، بالأحرى النثرات التي بقيت منها بعد الثورة الروسية، يرتبط بشكل وثيق بمصير الفوضوية السنديكالية الإسبانية. وبما أن الفوضوية السنديكالية في اسبانيا تسير حتما نحو إفلاس بائس ومثير للشفقة فلا شك في أن الثورة الاسبانية ستكون علامة موت الفوضوية. إلاّ أنه من الضروري أن نتيقن من أن علامة موت الفوضوية السنديكالية ليست، في نفس الوقت، علامة موت الثورة.

إذا كان مورين ستارة مؤقتة للستالينيين، فإن الفوضوية السنديكالية هي ستارة مؤقتة للاشتراكيين والجمهوريين، أي للبورجوازية. وتماما كما يستطيع مورين أن يسلم العمال الكاتالونيين المتقدمين إلى البيروقراطية الوسطية، كذال يستطيع الفوضويون السنديكاليون تسليم كل الثورة للبورجوازية.

إن النضال النظري والسياسي ضد الفوضوية السنديكالية هو الآن في أمر اليوم. ومن الواضح أنه يجب شن هذا النضال على أساس سياسة الجبهة الموحدة ووحدة النقابات.. الخ، لكن يجب أن نفضح قادة الفوضوية السنديكالية، وخصوصا ذلك القس العلماني المثير للشفقة بستانا[88] ، الذي سيلعب، بلا شك، أكثر الأدوار جبنا وخسة في التطور التالي للثورة...

---

[86]- الجنرال لافر كورنيلوف 1870–1918: قوزاقي سيبيري عينه كيرنسكي قائدا للجيش في تموز 1917، وقام بعصيان مضاد للثورة ضد كيرنسكي في أيلول 1917. اعتقل لكنه هرب ليقود الثورة المضادة حتى نيسان 1918 عندما قتل.

[87]- بيير مونات 1881–1960: سنديكالي ثوري فرنسي مؤسس «حياة العمال Vie Ouvrière» عام 1909. كان من أوائل مناهضي الحرب العالمية الأولى. انضمم إلى الحزب الشيوعي عام 1923 ليتركه بعد عام واحد وفي عام 1926 أسس العصبة السنديكالية.

إن نماذج خطابات مورين تثير انطباعا مؤلما. فكما ترون، يعتبر، خلافا لنا، أن الخطة الخمسية مكسبا للثورة[89]! هل يمكن أنه لم يقرأ شيئا؟

بالمناسبة، تنشر وكالة رويتر للصحافة، إلى جانب غيرها، برقيات كاذبة تتعلق بمقـــــالات ومقـــــابلات مزعومة معي بشأن الخطة الخمسية (فشـــــل تام، تزييف... الخ)، من الهام جدا أن نكشف وننكر هذه الافتراءات. إن البورجوازية تستخـــــدم ضد الستالينيين، في هذه الحالة، تكتيك الأخيرين الخاص بالتزييـف والافتـراء.

25- نتائج الانتخابات والتكتيك الذي تمليه.

1 تموز 1931

1- أمامي صحيفة تركية محلية صادرة في الأول من تموز بالفرنسية، تحمل المعلومات الأولى عن نتائج الانتخابات الإسبانية. إن كل شيء يسيـــــر، حتى الآن، كما لو أنه فعلا حسب تتال مخطط للأحداث. فقد جرت الحركة نحو اليســـــار كما لو كان ذلـــك وفق خطة. نأمل أن يحلل رفاقنا الاسبان نتائج الانتخابات بعناية بعد جمع المواد كلهـا. يجب أن نعرف كيف صوت العمال، وخصوصا الفوضويون السنديكاليـــون. سيكون الجواب، في بعض المقاطعات، واضحا تماما من الإحصاءات الانتخابيـة. وأهـــــم شيء، بالطبع، أن نعلم كيف صوت الفلاحون في مختلف الأقاليم. ومـــن الضروري، في الوقت نفسه، جمع كل «البرامـــج الزراعيـــة» التي قدمتها مختلف الأحزاب في مختلف أقسام البلاد. إن هذا كله عمل ملح جدا وضروري جدا.

2- يظهر الاشتراكيون، وكما هو متوقع، كأنهم حققوا انتصارا كبيرا. هذه هـــي عقدة الوضع البرلماني: يعتبر القادة الاشتراكيون أنفسهم محظوظين لأنهم لم ينالوا الأغلبيـــة في الكورتس، ولأن الإحصاءات البرلمانية بالتالي تبرر تحالفهم مع البورجوازيـة. إن الاشتراكيين لا يريدون استلام السلطة، لأنهـــم يخافـــون، محقيـــن، من أن الحكومة الاشتراكية لن تكون سوى مرحلة على طريق ديكتاتورية البروليتاريا.

من الواضح، من خطاب بريتو[90]، أن الاشتراكيين عازمون على دعم الائتلاف طالمـــا كان ذلك قادرا على منع تقدم البروليتاريا. وعندما يصبح ضغط العمال أقوى، ينقلبون إلى المعارضة، تحت ذريعة راديكالية ما تاركين أمر تأديب وتحطيم العمال للبورجوازية. بكلام آخر، أمامنا تنويع من إيبرت Ebert[91] وتسيرتلي Tseretelli لنتذكر أن خط إيبـــرت كان ناجحا، في حين فشل خط تسيرتلـــي، وأن العامل الحاسم في كلا الحالتين كان قوة الحزب الشيوعي وسياسته.

3- يجب أن نكشف مباشرة خطة الاشتراكييـــن (لعبتهم في أن يلعبوا لكي يخسروا) نازعين عنهم القناع في كل مسألة محددة. وهذا، بالطبع، يخص المعارضة اليسارية الاسبانية قبل الجميع. لكن فضح الاشتراكيين لوحده لا يكفـــي، فـــلا بـــد من شعار سياسي واضح يتفق مع طابع المرحلة الحالية من الثورة الاسبانية. إن نتائـج الانتخابات تجعل ذلك الشعار واضحا تماما: يجب أن يفك العمال الائتلاف مـع البورجوازيـــة وأن يجبروا الاشتراكيين على استلام السلطة. ويجب على الفلاحيـن مساعدة العمال، إذا كانوا يريدون الحصول على الأرض.

4- سيقول الاشتراكيون أنهم لا يستطيعون التخلي عن الائتلاف لأنهم لا يحـــوزون على أغلبية بالكورتس. وسيكون جوابنا على هذا: الدعوة لانتخابات ديموقراطية للكورتس على أساس تصويت للنساء والرجال من سن الثامنة عشرة. بكلام آخر، نطرح في مواجهة الكورتس المزيف اللاديموقراطي، كورتسا منتخبا بنزاهة وديموقراطيا حقا وشعبيا حقا.

5- وإذا أدار الشيوعيون، في هذه المرحلة، ظهرهم للكورتس، معارضته بشعـــار السوفييتات وديكتاتورية البروليتاريا، فسيظهرون فقط، أنهم لا يمكن أن يؤخـــذوا بجد. لا يوجد شيوعي واحد في الكورتس (حسب الصحافـــة التركيـــة). بالطبع يكون الجناح الثوري دائما أقوى في العمل والنضال مما في التمثيل البرلماني، ومع ذلك، هناك علاقة ما بين قوة الحزب الثوري وتمثيله البرلماني. لقد اتضح ضعف الشيوعيـــة الاسبانية تماما. وأن تتكلم، تحت هذه الشروط، عن إسقاط البرلمانية البورجوازيـة بديكتاتورية البروليتاريا لن يعني سوى أن تلعب دور المعتوهين الثرثـارين. إن المهمة هي في جمع قوى الحزب على أساس المرحلة البرلمانية من الثورة وحشد الجماهير حولنا. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بواسطتها التغلب على البرلمانية. ولكن، من أجل ذلك الهدف بالتحديد لابد من تطوير تحريض قوي تحت أكثر الشعارات الديموقراطية حدة وتطرفا.

6- ما هي المعايير التي يجب أن تكون لرفع هذه الشعارات؟ علينا من جهـــة أولى أن نرى الاتجاه العام لتطور الثورة الذي يحدد خطنا الاستراتيجـــي وعلينا، من جهـــة ثانيـــة، أن نأخذ بالحسبان مستوى وعي الجماهير، والشيوعي الذي لا يأخذ ذلك باعتباره سيحكم على نفسه

---

[88]- كان آنجل بستانا أحد قادة الحزب السنديكالي، الجناح اليميني من الاتحاد القومي للعمل.

[89]- بدأت الخطة الخمسية للتطوير الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي عام 1928 وكان مشروعها تطويرا متواضعا للنمو الصناعي وسياسة حازمة تجاه الفلاحيـــن وفجـأة قلبها المكتب السياسي ودعا لإنجازها في أربع سنوات. والتسريع الحاصل والتجميـع الإجباري للفلاحين أديا إلى مرحلة من الفوضـــى الاقتصادية وشظف عيـــــش السكان.

[90]- أندالشو بريتو تويرو 1883-1962: قائد الجناح اليميني من الحزب الاشتراكـي. كان وزيرا للبحرية والطيران في حكومة لارغو كاباليرو في حكومة نغـــرين حتى أصر الستالينيين على طرده عام 1938.

[91]- فريدريك ايبـــرت 1971–1962: قائد الجناح اليميني من الحزب الاشتراكية الديموقراطية الألمانية. ومن موقعه كمستشار، ترأس مع شيدمان عملية سحق انتفاضة تشرين الثاني 1918 وأعدم روزا لوكسومبورغ وكارل ليبكنخت وغيرهم من الثوريين الألمان. كان رئيسا للجمهورية من 1919 – 1925.

بالموت.

دعونا نفكر، للحظة بالطريقة التي بها ينبغي أن يرى العمال الاسبان بالمجمل الوضع الحالي. فقادتهم الاشتراكيون في الحكم، الشيء الذي سيزيد من مطالب وعناد العمال. فكل مضرب عن العمل ليس فقط لن يخاف من الحكومة بل وسيتوقع مساعدتها. وعلى الشيوعيين أن يوجهوا أفكار العمال نحو هذه الخطوط تحديدا: «اطلبوا كل شيء من الحكومة، طالما أن قادتكم فيها». وسيرد الاشتراكيون على وفد العمال بالقول أنهم لا يحوزون الأغلبية بعد. وسيكون الجواب واضحا: إن الأغلبية مضمونة بتصويت ديموقراطي حقا وبإنهاء الائتلاف مع البورجوازية. لكن هذه هو الشيء الذي لا يريده الاشتراكيون. إن موقعهم يضعهم في حالة عداء مع الشعارات الديموقراطية الجريئة. وإذا طرحنا، ببساطة، ديكتاتورية البروليتاريا أو السوفييتات في مواجهة الكورتس، فلن ننجح إلا بدفع العمال نحو الاشتراكيين. لأن العمال الاشتراكيون سيقولون أن الشيوعيين يريدون أن يحكمونا، إلاّ أنه تحت شعار الديموقراطية وإنهاء الائتلاف بين الاشتراكيين والبورجوازية، سنحدث شرخا بين العمال والاشتراكيين ونجهز للمرحلة التالية من الثورة.

.7- إن كل الاعتبارات التي ذكرت آنفا تبقى عديمة الفائدة فيما لو قصرنا أنفسنا على الشعارات الديموقراطية بالمعنى البرلماني. ولا يمكن أن يكون ثمة شك في هذا. فالشيوعيون يشاركون في كل الإضرابات والاحتجاجات والمظاهرات مستنهضين شرائح من السكان لا تني تتعاظم. والشيوعيون يكونون مع الجماهير وعلى رأسها في كل معركة. وعلى أساس هذه المعارك، يطرح الشيوعيون شعار السوفييتات ويبنونها لدى أول سانحة كتنظيمات للجبهة الموحدة البروليتارية. ولا يمكن للسوفييتات أن تكون شيئا آخر في هذه المرحلة. ولكن إذا انبثقت كتنظيمات نضال للجبهة الموحدة البروليتارية، ستصبح بالتأكيد، تحت قيادة الشيوعيين، أجهزة الانتفاضة المسلّحة وأجهزة السلطة.

.8- لدى تطور برنامجنا الزراعي بجرأة يجب أن لا ننسى، بأي حال، الدور المستقل للعمال الزراعيين، إنهم الأدوات الأساسية للثورة البروليتارية في المناطق الريفية. يتحالف العمال والفلاحون لكن العمال الزراعيين يشكلون جزءا من البروليتاريا نفسها. يجب أن يبقى هذا التمييز الهام في الذهن.

.9- أعلم من (الحقيقة La Verité[92] أن الستالينيين يتهمون كل المعارضة اليسارية، كما يتهمونني شخصيا، بمعارضة المصادرة المباشرة لملكية الأرض. فعلا، لا يمكن التنبؤ بأي اتجاه سيكون الانحراف التالي للديماغوجيين البيروقراطيين. ماذا تعني المصادرة «المباشرة» للأرض؟ وعلى يد من؟ ومن قبل أية تنظيمات؟ صحيح أن بيري Peri الفذ أكد منذ نيسان أن الفلاحين الاسبان كانوا ينشئون السوفييتات وأن كل عامل كان يتبع الشيوعيين. من الطبيعي أننا نوافق على وجوب أن تأخذ السوفييتات (أو الجنتات أو اللجان) الأرض مباشرة من الإقطاعيين لتشغيلها بنفسها. لكن لا يزال علينا استنهاض الفلاحين، ومن أجل ذلك علينا سحب العمال من تحت تأثير الاشتراكيين. ولا يمكن أن يجري أحدهما دون الآخر. أم أن الستالينيين يريدون القول أننا نحمي ملكيات الإقطاع؟ لكن حتى في الافتراء لابد من منطق ما. كيف يمكن اشتقاق الدفاع عن ملكية الإقطاع من موقع الثورة الدائمة؟ ليحاولوا شرح هذا لنا. ومن جانبنا سنذكر أنه حين اتبع الستالينيون في الصين سياسة حلف الطبقات الأربع، أرسل المكتب السياسي بقيادة ستالين برقية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، يطالب فيها كبح حركة الفلاحين كيلا تسبب نفور جنرالات «الثورة». وفي كل البرنامج الزراعي أورد ستالين ومولوتوف[93] تقييدا صغيرا: مصادرة ملكيات الإقطاع باستثناء الضباط. وبما أن كل الإقطاعيين وأبنائهم وأبناء أخوتهم دخلوا جيش تشان كاي تشيك، فقد أصبح الرتب «الثورية» ضمانا لملكية الأرض.

من غير الممكن تجاهل هذا الفصل المخزي من تاريخ القيادة الستالينية. وقد وجدت المعارضة، آنئذ، نسخة من تلك البرقية في محاضر المكتب السياسي وكشفت وأدانت هذه الخيانة الخسيسة للثورة الزراعية. والآن يحاول هؤلاء السادة أن يعزوا إلينا في اسبانيا الجريمة التي ارتكبوها هم أنفسهم في الصين. لكن كلا: لدى المعارضة الآن فروع في كل البلدان تقريبا ولن تسمح لهم بنشر الأكاذيب والنداءات دونما رادع. وستوضح المعارضة اليسارية، في التجربة الحية للثورة الاسبانية، كل المشاكل الأساسية وستقوم بخطوة كبيرة إلى الأمام. إنه ليس عبثا أن الثورة هي قاطرة التاريخ.

.26- الشيوعية الاسبانية والاتحاد الكاتالوني

8 تموز 1931

إن أكثر تطورات الثورة أذى وخطورة وحتى شؤما هو أن نعزز في أذهان العمال في كاتالونيا واسبانيا والعالم كله أننا نؤيد سياسة الاتحاد الكاتالوني أو نتحمل مسؤولية عنهم أو حتى أننا أقرب إليهم مما نحن إلى المجموعات الوسطية. يعرض الستالينيون الأمر على هذه الشاكلة بكل قوتهم.. ولم نناضل ضد هذا، حتى الآن، بالنشاط الكافي. ومن المهم جدا والملح أن نبدد سوء الفهم هذا، الذي سيسيء لنا بشكل فظيع ويعوق تطور العمال الاسبان والكاتالونيين.

---

[92]-(الحقيقة) : صحيفة المعارضين اليساريين الفرنسيين.

[93]- فياشيسلاف مولوتوف: بلشفي قديم ومحرر البرافدا قبل ثورة أوكتوبر. انتخب إلى اللجنة المركزية للحزب الروسي عام 1920 واصطف إلى جانب ستالين. تولى منصب رئيس مفوضي الشعب من 1930–1941 وأصبح عام 1939 وزيرا للخارجية. أقصي من القيادة عام 1956 عندما عارض برنامج خرتشوف «نزع الستالينية».

بالطبع، تقع مهمة إدانة الاتحاد الكاتالوني، بشكل أساسي، على أنصارنا في كاتالونيا نفسها. فعليهم أن يعبروا عن موقفهم بنقد محدد ومكشوف وواضح، نقد لا يغفل شيئا من سياسة مورين، ذاك الخليط من مستتبعات بورجوازية صغيرة وجهل و(علم) إقليمي وتلو سياسي.

لقد تلقى الاتحاد في انتخابات الكورتيس 10 آلاف صوت، وهذا ليس بالكثير. بالطبع، يمكن لتنظيم ثوري حقا، في حقبة ثورية، أن ينمو بسرعة. هناك، على كل حال، واقعة تقلل إلى حد بعيد من قيمة هذه الأصوات الـ 10 آلاف: لقد حصل الاتحاد في انتخابات الكورتس في برشلونة –أهم مركز ثوري– على أصوات أقل مما حصل عليه في الانتخابات البلدية في برشلونة. إن لهذه الواقعة، التافهة لأول وهلة، مغزى دلالي هائل، إنها تظهر في الوقت الذي توجد فيه، في أقصى زوايا البلاد، حركة عمالية باتجاه الاتحاد -بالرغم من أنها لا تزال ضعيفة جدا– فإن تشوش مورين لا يجدب العمال في برشلونة بل ينفرهم. بالطبع، يمكن للإفلاس المحتم لماشيا أن يساعد حتى موريين كأهون الشرّين. ولكن انتخابات الكورتس قد أظهر بشكل تام عجز القيادة الحالية للاتحاد. إن الأمر يتطلب فعلا (مواهب) خاصة لكي يرهق المرء لا أصالته إلى الحد الذي لا يزال نفوذه في برشلونة خلال ثلاث أشهر من الثورة.

ماذا يمثل الاتحاد بلغة السياسة الثورية؟ هل هو تنظيم شيوعي؟ وإذا كان كذالك فأي نوع بالضبط: يسار أم يمين أم وسط؟ لا شك أن أولئك الذين يصوتون للاتحاد عم عمال ثوريون ويمكن أن يصيروا شيوعيين. لكن الأمور غير واضحة في أذهانهم بعد. ومن أين يأتي الوضوح إذا كان قادتهم مشوشين؟ إن أكثر العمال تصميما وجرأة وحزما سيرمون أنفسهم، في ظل هذه الظروف، حتما باتجاه الحزب الرسمي. فالأخير قد حصل على 170 صوتا فقط في برشلونة وعلى حوالي ألف في كاتالونيا. لكن لا تظنوا أن هذه الأصوات تمثل أسوأ العناصر، على العكس، يمكن أن تكون معظم هذه العناصر معنا وسيكونون معنا عندما نشرّع رأينا.

كان لمعظم المنظمات الاشتراكية-الديموقراطية، في بداية الثورة 1917، طبيعة مختلطة حوت في صفوفها بلاشفة ومناشفة وتصالحيين... الخ. وكان الميل باتجاه الوحدة قويا إلى حد أن ستالين أيّد، في كونفرنس الحزب البلشفي، في نهاية آذار، قبل بضعة أيام من وصول لينين، وحدة مع المناشفة. وقد بقيت بعض المنظمات المنطقية مختلطة حتى أوكتوبر. ويبدو لي أن الاتحاد الكاتالوني وهو تنظيم مختلط من نوع مشابه، تنظيم غير محدد يتضمن بلاشفة ومناشفة المستقبل. الشيء الذي يبرر سياسة محاولة إحداث تمايز سياسي ضمن صفوف الاتحاد. والخطوة الأولى على هذا الطريق شجب الابتذال السياسي للمورينية Maurinism دونما رحمة.

إن المماثلة بين الاتحاد الكاتالوني والتنظيمات الموحدة في روسيا محدودة، على أي حال، في وجوه مهمة، فالتنظيمات الموحدة لم تستثن أي وجود بتجمع اشتراكي ديموقراطي. فلكل مجموعة كان الحق في النضال من أجل آرائها داخل التنظيم الموحد. لكن الأمر مختلف تماما داخل اتحاد كاتالونيا فـ (التروتسكية) فيه محرمة. ولكل مشوش الحق في الدفاع عن تشويشه هناك، لكن البلشفي اللينيني لا يستطيع رفع صوته علنا. وهكذا يستثني هذا التنظيم الانتقائي الموحد الجناح اليساري منذ البداية، لكن يصبح، بهذه الواقعة بالذات، كتلة عشوائية من التيارات اليمينية والوسطية. يمكن للوسطية أن تتطور إمّا إلى اليسار أو إلى اليمين، ولكن وسطية الاتحاد الكاتالوني، التي ترفض الجناح اليساري خلال الثورة، محكوم عليها بدمار مشين. إن مهمة المعارضة اليسارية هي تسريع هذا الدمار بنقد لا يرحم.

لكن ثمة واقعة أخرى يجب أن نوليها اهتماما استثنائيا. فالاتحاد الكاتالوني يؤيد رسميا وحدة كل التنظيمات والتجمعات الشيوعية. من المؤكد أن القواعد يرغبون بإخلاص وصدق بهذه الوحدة، رغم أن لديهم كل أنواع الأوهام حول هذا الشعار. نحن لا نشاركهم أوهامهم بأي شكل. إننا نناضل من أجل الوحدة لأننا نأمل بالنجاح، بين كوادر الحزب الموحد، في تنفيذ عمل متصاعد من التمايز الأيديولوجي على أساس ومهام يطرحها تطور الثورة الاسبانية نفسها وليس على أساس مسائل ومهام غريبة عنها.

إننا، مهما يكن الأمر، ندعم النضال من أجل وحدة الشيوعيين بكل السبل. والشرط الأساسي للتوحيد، بالنسبة لنا، هو الحق في النضال من أجل شعاراتنا ووجهات نظرنا بين كوادر التنظيم الموحد. إننا نستطيع، ويجب أن نعد بالصدق التام في هذا النضال، لكن هذا الشرط الأساسي للعضوية تم حذفه منذ البداية من قبل الاتحاد نفسه. ففي حين يناضل تحت راية الوحدة، تراه يحظر البلاشفة اللينينيين من صفوفه. إن الاعتماد، تحت هذه الشروط، على الاتحاد الكاتالوني كي يلعب دورا قائدا في النضال من أجل وحدة الحزب الشيوعي، سيكون أكبر سخف من جانبنا. إن مورين يستعد للعب دور العازف الأول في مؤتمر التوحيد، فهل يمكننا تحمل هذا النفاق المقرف ساكتين. إن مورين يقاتل المعارضة اليسارية مقلدا البيروقراطية الستالينية لكي يكسب ودها. إنه، في الواقع، يقول للستالينيين: امنحوني بركاتكم، وقبل كل شيء مساعداتكم المالية، وأعدكم بمحاربة البلاشفة اللينينيين، ليس مرغما، بل بكل إخلاص.

إن النشاط التوحيدي لمورين ليس إلاّ شكل من ابتزاز الستالينيين. وإذا سكتنا على ذلك فلن نكون ثوريين بل شركاء صامتين للابتزاز السياسي. يجب أن نديـن دور موريـن بلا رحمة، يعني شعوذته «التوحيدية» دون أن نقلل، لحظة واحدة، من نضالنا من أجل وحدة حقيقية للصفوف الشيوعية ودون أن نضعف نضالنا من أجل كسب صفوف الشيوعيين إلى رايتنا.

يجب أن يتركز الآن تسعة أعشار عمل المعارضة اليسارية العالمية على اسبانيا. ويجب توفير كل النفقات الأخرى لصالح إصدار مجلة أسبوعية إسبانية بإصدار منتظم في كاتالونيا. وفي نفس الوقت، إصدار كراسات بكلمات كبيرة. يجب أن نفكر في حدّ كل المصروفات دون استثناء من أجل إرسال أكبر مساعدة ممكنة للمعارضة الإسبانية.

كما يجب أن تكرس السكرتارية العالمية، برأيي، تسعة أعشار قوتها لمسائل الثورة الإسبانية. ويجب أن ننسى ببساطة، واقع وجود كل

أمثال لانـــدو في العالم. ويجب أن ندير ظهرنا لكل المشاحنات والمؤامرات والمتآمرين دون أن نضيع لحظة واحدة عليها أو عليهم.

إن الثورة الاسبانية هي في أمر اليوم، ولابد من ترجمة أهم الوثائق دونما تأخير وإخضـــاعها للنقـد اللازم. ويجب أن يكرس العـــدد التالـــــي من «النشـــرة الأمميـــة» International Bulletin للثورة الإسبانية. ومن الضروري، على قدم المساواة، اتخاذ سلسلة من الإجراءات التنظيمية. ونحتاج من أجل ذلك إلى مصادر مادية **وبشرية** يجب أن نجدهما كليهما.

لا يوجد ولا يمكن أن يوجد جريمة أكبر من جريمة تضييع الوقت.

27- المسألة القومية في كاتالونيا.

13 تموز 1931

مرة أخرى حول موضوع القضايا الملحة للثورة الإسبانية.

1- إن مورين، «قائد» حلف العمال والفلاحين، يشارك الانفصالية وجهة نظرهـــــا. فقد تصالح، بعد بضع الترددات، مع الجناح اليساري للنزعة القومية الصغيـــرة. وقد كتبت من قبل، أن النزعة البورجوازية الصغيرة الكاتالونية، في المرحلة الحاضرة، تقدمية بشرط واحد فقط: أن يتطور نشاطها خارج صفوف الشيوعيين وأن تبقـــى دائما تحت ضربات النقد الشيوعي. أمّا أن نسمح للنزعة القومية البورجوازية الصغيرة بأن تتنكر تحت راية الشيوعية، يعني، في نفس الوقت، أن نوجه ضربة خائنة لطليعة البروليتاريا وأن ندمر المغزى التقدمي للنزعة القومية البورجوازية الصغيرة.

2- ماذا يعني برنامج الانفصالية؟ إنه يعني تفتيـت إسبانيـــا اقتصاديـــا وسياسيـــا، أو، بكلام آخر، تحويل شبه الجزيرة الايبيرية إلى نوع من شبه جزيرة بلقانيـــة بدول مستقلة مقسمة بحدود جمركية وبجيوش مستقلة تشن حروبا إسبانية مستقلة. بالطبع، سيقـــول الحكيم موريـــــــن أنه لا يريد هذا. ولكن للبرامج منطقها، الشيء الذي يفتقده هو.

3- هل من مصلحة العمال والفلاحين من مختلف الأحزاب تفتيت اسبانيا اقتصاديـــا؟ كلا، على الإطلاق. لذلك فإن مماثلة النضال الحازم من أجل حق تقرير المصير مع الدعاية الانفصالية يعني القيام بمهمة قاتلة. إن برنامجنا يدعم فيدرالية إسبانيـــا مع الحفاظ الأكيد عن الوحدة الاقتصادية، وليس لدينا النية في **فرض** هذا البرنامج على القوميات المضطهَدة في اسبانيا **بمساعدة أسلحة البورجوازية.** بهذا المعنى نحن مع حق تقرير المصير بكل إخلاص. وإذا انفصلت كاتالونيا فعلى الأقلية الشيوعية فيها، كما في إسبانيا، أن تناضل من أجل الفيدرالية.

4- سبق أن طرحت الاشتراكية الديموقراطية لما قبل الحرب، في البلقان، شعار فيدرالية بلقانية ديموقراطية، كمخرج من الفوضى التي خلفتها الدول المنفصلـة. والآن الشعار الشيوعي في البلقان هو فيدرالية بلقانية سوفياتية (بالمناسبة، تبنى الكومنتـــرن شعار فيدرالية بلقانية سوفياتية لكنه، في نفس الوقت، رفـــض هذا الشعار لأوروبـــا!) كيف لنا، تحت هذه الظروف، أن نتبنى شعار بلقنة شبه الجزيرة الايبيرية؟ أليس ذلك فظيعـــا؟

5- يصرح السنديكاليون، أو بعض قادتهم على الأقل، بأنهم سيقاتلون ضد الانفصاليـــة ولو بالسلاح. في هذه الحالة، سيجد الشيوعيون والسنديكاليـــون أنفسهم على طرفي النقيض، لأن الشيوعيون، دون أن يشاركوا الأوهام الانفصالية، بل على العكـــس، وهم ينتقدونها يجب أن يقفوا بثبات ضد جزاري الامبريالية وأتباعهم السنديكاليـــن.

6- وإذا نجحت البورجوازية الصغيرة – رغما من نصائح الشيوعيين ونقدهم –في تفتيت إسبانيا فلن يطول الوقت حتى تظهر النتائج السلبية لهكذا نظام. وسيصل العمال والفلاحون من مختلف أقسام إسبانيا إلى هذا الاستنتاج بسرعة : نعـــم، لقد كان الشيوعيـــون على حـــق. لكن هذا يعني بالتحديد أن علينا أن لا نتحمل جزءا من المسؤولية عن برنامج مورين.

7- يأمل مونـــــات Monatte بأن ينشئ السنديكاليون دولة (سنديكالية) جديدة. إن أصدقاء مونات يعملون، بدلا من ذلك، على دمج أنفسهم، بنجاح، في الدولة البورجوازيـــة. إنها قصة الدجاجة التعيسة التي تجلس على بيض البطة. من المهم جدا اليـــوم أن نتابع كل ما يقوله وما يفعله السنديكاليـــون الإسبان، فهذا سيفتح إمكانيات للمعارضة اليسارية في فرنسا لتوجيه ضربة قاسية للفوضوية السنديكاليـــة في فرنســـا. لا يمكن للمرء أن يشك لحظة واحدة في أن الفوضويـــن السنديكاليـــن، في ظل الظروف الثورية، سيفقدون مكانتهم لدى كل خطوة يخطونها.

إن الفكرة اللامعة للسنديكاليين هي في السيطرة على الكورتـــس بدون المشاركة فيه! أما استخدام العنف الثوري والنضال من أجل السلطة والاستيلاء عليها، فكلهـــا أمـــور غير مسموحة. إنهم ينصحون بدلا من ذلك، بـ(السيطرة) على البورجوازيـــة وهـــي في السلطة. صورة رائعة: البورجوازية تفطر وتتغدى وتتعشى والبروليتاريا، بقيادة السنديكاليين، (تسيطر) على هذه العمليات بمعدة خاوية.

28. انعطاف الستالينيين

30 تموز 1931

لقد قامت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني بانعطـــــاف في سياستها، وفق معلومات الرفيق ن.

ويبدو من كلام الرفيق ن. أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني، وهـــي تستعيد رسميا شعـــار «الديكتاتورية الديموقراطية»، قد غيرت سياستها بشكل حاســم في نقطتين. أولا: اتخذت طريق النضـــــال من أجل الشعارات الديموقراطية، ثانيـــا: إنها جاهزة لتطبيق سياسة الجبهة الموحدة.

إننا هنا أمام انتصار أكيد وواضح للمعارضة اليسارية، أمّا مدى جدية وانعطاف الستالينيين الاسبان، فهذا أمر آخر. وعلاوة على ذلك، فإن الإجابة على هذا يتوقـــف إلى درجة كبيرة على سياستنا. ولكن، على أية حال، فإن حقيقـــة الانعطـــاف نتيجة مباشـــرة لنقد المعارضة اليسارية... إن مجموعة المعارضة اليسارية هي المجموعة التقدمية الوحيدة داخل الشيوعية... وعلى نجاحاتها تعتمد نجاحات الشيوعيـــــة، وتحديـــدا نجاحات الثورة الاسبانية.

لكن كيف ستكون استنتاجاتنا لانعطاف الستالينيين الاسبان؟ لنا في هذا الصدد تجربـــة هامة، بالرغم من أنها، حقا، تجربة أخطاء بشكل أساســـي. فعندما قرر الستالينيون الفرنسيـــــــــون، بتأثير من نقدنا إلى حد بعيد، الانسحاب من السياسة الغريبة Fantastic لـ«المرحلـــة الثالثـــة»، صرحت القيادة القديمة للعصبة، مسبقا، أن المغامرية تخلى المكان للانتهازية وأن على المعارضة اليسارية أن تمضي في طريقها كأن شيئا لم يكن[94]. وقد انتقدنا، آنئذ، هذه السياســة الشكليـــة فاقدة الحياة، التي كان من نتيجتها أن ضيعت فرصة مناسبة إلى أقصى حد للاقتراب من اللب البروليتـــاري للحـــزب. دعونا نأمل أن لا يتكرر الخطأ.

يؤكد الرفيق ن.، في رسالة مقتضبة، على حقيقتين لهما مغزى هام بشكل استثنائي لسياسة المعارضة اليسارية الاسبانية في الفترة الحالية: لقد اتخذ الحزب الرسمي، أو أعلـــن، على أية حال، سلسلـــة من الخطـــوات باتجاه البلاشفة اللينينيين، ومن جهة أخرى، تغوص قيادة الاتحاد الكاتالوني أعمق فأعمق في تشوش الانتهازية والنزعـــة القومية البورجوازية الصغيـــرة. وقد فعل الحزب الرسمي، حتى الآن، كل ما بوسعه ليماثـــل المعارضة اليسارية مع أخطاء موريـــن الشنيعة. وها تتاح لنا الفرصة الآن لتبديـــد كل سوء فهم.

يجب أن تحلل المعارضة اليسارية انعطاف اللجنة المركزية للحزب الشيوعـــي الاسباني تحليلا جديا، دونما سذاجة بسيطـــة، ولكن أيضا دونما مستتبعات عصبويـــة. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ونعلن بوضوح كل ما توصلنا إليه، ويجب أن نحدد الاختلافـــات حيثما بقيت، دون ليونة أو زخرفة.

وكلما كانت استجابة المعارضة اليسارية بالاقتراب من الحزب أسرع وأكثر صرامـــة، كلما كان ذلك أنفع للمعارضة اليسارية وللحزب وللثورة الاسبانية.

.29- دور الاضرابات في الثورة.

12 آب 1931

هدف هذه الرسالة هو تبادل وجهات نظرنا بمناسبة موجة الإضرابات العنيفـــة في إسبانيا[95]. أشرت في كراسي الثاني عن الثورة الاسبانية (الثورة الاسبانيـــة في خطـــر) إلى حد آفاق التطور الممكنة: أن تتطور الحركة الثورية بعنف دون قيادة سليمة وتنتهي بانفجار قد تستغله القوى المضادة للثورة لكي تسحق البروليتاريا. وكما أشرنا في الكراس، لا يعني هذا الاحتمال، أن على الشيوعييـــــن أن يكبحوا الحركـــة الثوريـــة. ولا شك في أننا لا نختلف في ذلك، لكن أود أن أحلل المسألة بشمول أكبـــــر، فقد يصبـــح لها أهمية سياسية فائقة.

من الضروري، قبل كل شيء، أن نبين أن هذا الانفجار الأولي العنيف من الإضرابات هو نتيجة طبيعة الثورة نفسها، فهو بمعنى ما قاعدتها. إن الغالبيـــــة الساحقـــة مـــن البروليتاريا الإسبانية لا تعرف ماذا يعني التنظيم. فقد نشأ خلال فترة الديكتاتورية، جيل جديد من العمال يفتقد للتجربة السياسيـــة المستقلـــة. إن الثورة توقـــــظ –وفي هذا تكمن قوتها– أكثر الجماهير الكادحة تخلفا وانسحاقا واضطهادا. والإضراب هو شكل إيقاظها. فبالإضراب تعلن مختلف شرائح ومجموعات البروليتاريـــــا عن نفسها، تحرض إحداها الأخرى، وتختبر قوتها وقوة عدوها. شريحة تستيقظ وتعدي الأخرى. وكل هذا مجتمعا يجعل من موجة الإضرابات الحالية أمرا لابد منـــه. إن أقل من يخاف من هكذا موجة هم الشيوعيون، ذلك أنها التعبير الأكيـــد عن القـــوة الخلاقة للثورة. فعبر هذه الإضرابات فقط، بكل أخطائها وكل «تجاوزاتها» و«مبالغاتها» تقف البروليتاريـــا على قدميها وتتوحد وتبدأ تشعر وتقتنع بنفسها كطبقة، كقوة تاريخية حية. لم تتطور ثورة قط وفق عصا القائـــد. إن التجاوزات والأخطـــاء والتضحيـــات هي من صميم أي ثورة.

---

[94]- عصبة الشيوعيين في فرنسا: شكلها مؤيدو المعارضة اليسارية في نيسان 1939 حول نشرة (الحقيقة) La Verité

[95]- موجة الإضرابات الصاخبة: مباشرة بعد انتخابات حزيران إلى الكورتـس التي فازت فيها الأحزاب المؤيدة للجمهورية بأغلبية ساحقة، دعا الاتحاد القومـــي للعمـــــل الفوضوي إلى سلسلة إضرابات. واستدعت الحكومة المدفعية لسحق الإضرابات وسقطت مئات الضحايا من جانب العمال.

لو قال الحزب الشيوعي للعمال: «لا أزال ضعيفا على قيادتكم، لذلك انتظروا قليـــلا لا تستعجلوا كثيرا، لا تبدأوا القتال بالإضراب، أعطوني فرصـــة كي أزداد قـــوة». لجعل من نفسه مسخرة لا أمل فيها، ولتجاوزته الجماهير المستيقظة وبدلا من أن يزداد قوة لما ازداد إلاّ ضعفا.

حتى لو تمكنت من التنبؤ بالخطر التاريخي بشكـــل صحيح، فإن ذلك لا يعني أنك قد تستطيع أن تلغيه بمجرد المحاكمة العقلية. إذ لا يمكن إلغاء الخطر إلاّ بامتلاك القوة الضرورية، وعلى الحزب الشيوعـــي، كي يكون هكذا قوة، أن يدخل، بكل عزيمته، ميـــدان الحركة الإضرابية «البدائية» أو نصف البدائية التي تتطور، ليس لكي يكبحهـــا بـــل لكي يتعلم كيف يوجهها وكيف يناضل في سياقها ويحوز على السلطة والقوة.

سيكون من الخطأ أن نعتقد أن الحركة الحالية قامت بتحريض من الفوضوييـــن الساندیكاليين. فهؤلاء الأخيرين أنفسهم يتعرضون لضغط لا يقاوم من تحت. وبود المجموعـة القائد للنوى السنديكالية تبطيء الحركة. فالأشخاص مثل بستانا لابد أنهم يتفاوضون خلف الستائر مع المستخدمين والإدارة حول أفضل السبل لتصفيـــة الإضرابات. وسيثبت الغد أن الكثيرين من هؤلاء سيكونون جـــزاري العمال وأنهم سيعظون، كالمناشفة الروس، ضد (حمى الإضرابات) وهم يطلقون النار على العمال.

لا ريب أن التمايـــــز سيجري على طول هذا الخط بين الفوضويين السنديكاليين. فسيجد الجناح الأكثر ثورية نفسه، كلما مضى أبعد، في صراع مع السنديكاليين الإصلاحيين. ومن هذا الجناح سينبثق، لا محالة، عصيانيو الجناح اليســـاري، والمغامرون البطوليون والإرهابيون الأفراد وغيرهم.

ولا حاجة للقول بأننا لا نستطيع تشجيع أي نوع من المغامـــرة. لكن يجب أن نؤكـد مقدما أن الجناح السنديكالي الثـــوري اليساري سيكون أقرب إلينا من الجناح اليميني الذي يناهض الإضرابات. وسيكون التغلب على كل أنواع العناصر المغامرة أسهـــل، كلما اقتنع السنديكاليون الثوريون، بصورة أسرع، أن الشيوعيين مناضلون وليسوا تبريريين Rationalizers

يجري اتهام سياسة الحزب الرسمي بالمغامرة في مجال الإضرابات. ولا أستطيع شخصيا، الحكم في ذلك نظرا لنقص المعلومات لدي. يقود الموقف العام للحـزب في الفتـــرة السابقة للاعتقاد بأن هذه التهمة قد تكون مبررة. لكن لهذا السبب بالضبـط، ثمـــــة خطر من أن يقوم الحزب، بعد أن أحرق أصابعه، بانعطاف مفاجئ نحو اليميـــــن. والطامة الكبرى ستكون إذا توصل العمال إلى الشيوعيين، كالساندیكاليين أمثال بستانا بالضبط، يودون توجيه الأوامـــر إليهم بشكـــل دوغمـــــائي، من القمة نزولا، وليس النهوض معهم من القعر صعودا.

باختصار، يبقى خطر أيام حزيران، بلا شك، الخطر الأعظم المنظور، لكن الخطـــر الأكثر مباشرة بالنسبة للشيوعيين قد يصبح الجدل المجرد، (محاولة التذاكي)، والتحقق النظري الذي سيعتبره العمال نعيبا مشؤوما.

لا يجب أن تنسى المعارضة اليسارية للحظة واحدة أن الأخطار التي تنهض في مجرى الثورة لا يجب التغلب عليها بالحذر المترقب بل بالجرأة والجرأة والمزيد من الجرأة.

.30- المزيد حول السوفييتات ومناقشة (البلقنة).

1 أيلول 1931

تلقيت رسالتكم المؤرخة في 25 آب، أنت تتساءل: هل يمكن أن ندعوا العمال للانضمام إلى الحزب أم إلى الاتحاد؟ الظروف المحلية في صالح الاتحاد، والظروف الاسبانية في صالح الحزب.

من الصعب حل هذه المسألة من الزاوية العملية، أعني من زاوية علاقة القـــوى في اللحظة المعينة، لكن يبدو لي أن لموقفنا المبدئي أهمية حاسمـــــة بالفعل: نحـــن نعلـــن أننا Fraction كتلة من حزب، كتلة من الكومنترن، والصراع الأساسي ضدنا يجري على أساس أننا (أعداء) للاتحاد السوفياتي وللكومنترن. وحتى موريـــن يعتـــاش على فتات هـــــذه المائدة.

إذا دعونا العمال لانضمام إلى الاتحاد، فسنسيء لأنفسنا في بقية إسبانيا وفي العالـــــم. هل سنكسب أي شيء في كاتالونيا؟ إذا تمعنا في النتائج الحالية لتعاوننا مع الاتحـــاد، فسنجد أنها تجلب لنا من الأضرار أكثر مما تجلب من الفائدة. فكل صحافة الكومنترن، وخصوصا البرافدا، حمّلتنا مسؤولية التشوش الانتهازي لمورين. ومقالات الرفيق ميل Mill في (الحقيقة La Verité) تساهم أيضا في هذا إلى حد بعيد[96]. وقد أنجبرنا، بالرغم من هذا التعاون، على القطـــع مع الاتحاد وغادرناه خالي الوفاض تقريبـــا. بكلام آخر: لقد أضعفتنا تجربة التعاون مع الاتحاد في كل إسبانيا، كما أنها أضعفتنا عالميا دون أن تساعدنا شيئا في كاتالونيا.

لقد آن الأوان لنعدل الميزان. علينا، باعتقادي، أن نقوم بانعطاف سياسي سريـــــــع. تجنب أن نُخلط مع مورين أكثر من ذلك، الخلط

---

[96]- اختارت المعارضة الروسية ميل عضوا لها في السكرتاريا الإدارية للمعارضة اليسارية العالمية. وكان هذا إلى حد كبير لمعرفته الروسيـــــة. وفيما بعد أبعد عـن هـــــذا الموقع بسبب مناوراته ومكائده الشخصية ليصير عميلا للستالينية مع أن إسحـــــق دوتشر يسميه أميركيا (النبي المنبوذ) إلا أنه كان في الحقيقة أوكرانيـــــــا واسمه الحقيقي أوخون.

الذي كان في صالحه ضد مصالحنا.

إن أسلم إجراء هو أن ندعو العمال للانضمام إلى الكتلة الشيوعية اليسارية وبنائها والمطالبة بقبولها في الحزب. لكن هذه السياسة تتطلب مركزا رسميا، مهما يكـــن صغيـــرا، للمعارضة اليسارية في كاتالونيا. وقد ألححت على هذا، إذا كنت تذكـــر، منـــذ اليوم الأول لوصولك إلى برشلونة، لكن بدون نجاح للأسف. وإلى الآن لا أرى طريقـــا آخر...

لقد رفع مورين شعار «كل السلطة للبروليتاريا». وأعتقد أنك محق تماما في إشارتـــك إلى أنه اختار هذا النوع من الشعارات كجسر له مع السنديكاليين وليعطي مظهـــرا من القوة أكبر مما يمتلك فعليا. وللأسف، فإن ملاحقة المظاهر فعالة جدا في السياسة، ومدمرة جدا في السياسة الثورية.

أتساءل أحيانا لماذا لا يوجد سوفييتات في إسبانيا؟ ما سبب ذلك؟

في شعار السوفييتات.

عبرت في رسالة سابقة، عن عدة أفكار بهذا الخصوص. وطوّرت هذه الأفكار باستفاضة أكثر في رسالة أرسلتها لك بصدد السيطرة العمالية في ألمانيا[97]. يبدو أن شعاره «الجنتات» يرتبط بأذهان العمال الإسبان بشعار السوفييتات، ولهذا السبب يبدو لهم حادا جدا وحاسما جدا و«روسيـــاً» جدا. أي أنهم ينظرون إليه خلاف ما نظر إليـــه العمال الروس في المرحلة الموافقة. ألسنا هنا أمام مفارقة تاريخية في أن وجود السوفييتات في الاتحاد السوفياتي يعمل على شل نشوء سوفييتات في البلدان الثورية الأخرى؟

يجب أن تولى هذه القضية انتباها فائقا في المحادثات الخاصة مع العمال في مختلف أقسام البلاد. وعلى كل حال، إذا فشل شعـــار السوفييتـــات (الجينتـــات)، حتى الآن، في أن يلقى التجاوب، فعلينـــا، إذن، أن نركز على شعار لجان المصانع. وقد تناولـــت هـــذا الموضوع في المقال المذكور آنفا بصدد السيطرة العمالية. ونستطيع على أساس لجان المصانع، أن نطور تنظيم سوفياتي دون الإشارة إلى ذلك بالاسم.

سيطرة العمـــال

إنك، برأيي، محـــق تماما في قضية سيطرة العمال، فأن ننكر السيطرة العمالية لمجرد أن الإصلاحيين يؤيدونه –كلاما– يعني حماقة كبيـــرة. على العكس من ذلك، فلهذا السبب تحديدا يجب أن نتمسك بهذا الشعار بحماس أكبر ونرغم العمال الإصلاحيين على ممارسته بسبل الجبهة الموحدة معنا، وندفعهم، على أساس هذه التجربة، إلى معارضة كاباليروا وغيره من الزائفين[98] .

لقد نجحنا في خلق السوفييتات في روسيا، فقط لأن المطالبـــة بذلك لم يكن قـــط من قبلنا وحدنا، لكن من قبل المناشفة والاشتراكييـــن الثوريـــن أيضـــا. رغم أنه كان لهم، بالتأكيد في أذهانهم أهداف مغايرة. ولا نستطيع إنشاء سوفييتـــات في اسبانيا بالتحديد لأن الاشتراكيين وكذلك السنديكاليـــن لا يريدونها، الشيء الذي يعني أن الجبهـــة الموحدة، والوحدة التنظيمية مع غالبية الطبقة العاملة، لا يمكن خلقها تحـت هـــذا الشعار.

لكن ، ها هو كاباليرو نفسه ينجر، تحت ضغط الجماهيـــر، إلى التمسك بشعار سيطرة العمال فاتحا بذلك الباب واسعا لسياسة الجبهة الموحدة ولتشكيل تنظيم يضم غالبيـــة الطبقة العاملة. يجب أن نقبض على هذا بكلتا يدينا. سيحـاول كاباليـــرو، بالتأكيـــد، تحويل سيطرة العمال إلى سيطرة الرأسمالية على العمال. لكـــن ذلك يتعلق بموضوع آخر هو علاقة القوى داخل الطبقة العاملة. إذا تمكنا من خلق لجان مصـــانع فـــي كل البلاد، عندئذ، سيكون السادة كاباليرو وزملاؤه قد خسروا المعركة الحاسمـــة هـــذه الحقبة الثورية التي نشهد.

الحركة الانفصالية والفيدرالية السوفياتية الايبيرية

تصـــف كيـــف يمكن للمرء أن يساعـــد، دون قصـــد، الليبراليـــة المدريدية Madrilenian بإعلانه أن بلقنة شبه الجزيرة الايبيرية لا تتفق مع أهداف البروليتاريا، دون أن يتوسع أكثر في إعلانه هذا. إنك محق تماما. وإذا لم أشـــدد على هـــذا بما فيه الكفاية في رسالتي السابقة (موريـــن والمسألة القومية) فأنا مستعد الآن لعمل ذلك عشر مرات.

إن المماثلة بين شبهي الجزيرتين تحتاج، فعلا، إلى إكمـــال. مضى وقت حيث كانـــت شبه الجزيرة البلقانية موحدة تحت سيطرة الفئة الحاكمة التركية والعسكريين والمندوبين الأتراك. وتاق الشعب المقموع لإسقاط قامعه. ولو تعارضت معارضتنـــا لتقسيـم شبه الجزيرة مع هذه

---

[97]- «السيطرة العمالية على الإنتاج»، عبارة عن رسالة أرسلت إلى مجموعة من المعارضين اليساريين الألمان ونصها الكامل موجـــود في «النضال ضد الفاشية في ألمانيا».

[98]- فرانسيسكو لارغو كاباليرو 1869–1946: قائد الجناح اليساري من الحـــزب الاشتراكي الإسباني ورئيسا للوزراء من أيلول 1936 إلى أيار 1937.

الطموحات، لكنّا نعمل أتباعا للباشـــاوات و(البهـــوات) الأتراك. ونحن نعلم، من جهة أخرى، أن شعوب البلقان، بعد تحريرها من النيـــر التركـــي، في صراع بين بعضها منذ عقود، وفي هذه المسألة أيضا، بإمكان طليعة البروليتاريا تطبيق فكرة الثورة الدائمة: التحرر من النير الإمبريالي، وهو النصر الأهم فـــي الثورة الديموقراطية، يقود مباشرة إلى اتحاد الجمهوريات السوفياتية كشكل لدولة ثورة البروليتاريـــا. فنحن، دون أن نعارض الثورة الديموقراطيـــة بل، على العكـــس، ندعمها بالكامل، حتى بشكل الانفصال (أي ندعم النضال وليس الأوهـــــام)، ندخل، في نفس الوقت، الثورة الديموقراطية بموقفنا المستقل، ننصح ونوصي ونشجع فكـــرة الاتحاد السوفياتي لشبـــه الجزير الإيبيرية كجزء تأسيســـي من الولايـــات المتحدة الأوروبية. بهذا الشكل فقط يكتمل فهمي. ومن نافلة القول، إن في مدريد وفي إسبانيا عموما، أن يكونوا متعقلين جدا بشكل خاص فيما يتعلق بمناقشـــة البلقنـــة.

31- أكتلـــة ضيقة أو واسعة؟

27 أيلول 1931

الصديق العزيز

أود، قبل كل شيء، أن أستوضح المسألة الخلافية في المعارضة اليسارية: أكتلـــة ضيقة أم واسعة؟ لقد تلقيت رأيك ورأي الرفيق لاكروكس في هذا الموضوع. ولم يقدم الرفيـق م. (ومولينيـــر) بعد، الموضوع الذي وعد به[99].

يجب أن أعترف أن أسس هذا الخلاف غير واضحـــة لي. البارحة، كما أستطيـــع أن أرى في رسالتك، تم طرح المسألة بخصوص كاتالونيا بالطريقة التالية: أيجـــب علينـــا دعوة العمال للدخول إلى الحزب الشيوعي الرسمي أم إلى الاتحاد الكاتالونـــي؟ ويبدو من رسالتك الأخيرة أن الاتحاد الكاتالونـــي يطرد المعارضة اليسارية من صفوفه، أي أنه يتصرف بأسلوب الحزب. إن هذه الواقعة منطقية تماما بذاتها. فالجناح اليميني والوسطيون يظهرون نفس العداوة باتجاه البلاشفة اللينينيين في كل البلدان بدءا بالاتحاد السوفياتي. وسيكون غريبا أن تكون اسبانيا استثناء من هذا. على العكـــس من ذلك. فنظـــرا للوضع الثوري في اسبانيا، تصل كل العمليات السياسية (بما فيها الأخطاء) إلى غايتها المنطقية بسرعة فائقة.

لكن ألا زال ممكنا للمعارضة اليسارية أن تدعوا العمال، بجد، لدخول الاتحاد الكاتالوني؟ لا أستطيع فهم ذلك! بإمكاننا، بالتأكيد، محاولة خلق نوات في اتحـــاد كاتالونيـــا بهدف تجنيد الحد الأقصى من الإتباع في حالة الانهيار المؤكد لتنظيم موريـــن. بإمكاننا إرسال رفاق أفراد إلى الاتحاد لهذا الغرض. لكن هل بإمكاننا أن ندعـــو، صراحـــة، العمال اللاحزبيين لدخول الاتحاد؟ كلا، بالمنطلق، سيكون ذلك أفـــدح خطـــأ، وهو لن يضعف المعارضة اليسارية فقط بل وسيشينها.

تنطرح قضية الحزب، رسميا، بشكل مغاير، على اعتبار أننا لم نتخل عن فكرة كســب الكومنترن، بالتالي كل فرع من فروعه. بدا لي دائما أن العديد من رفاقنا يستخفـــون بإمكانيات تطور الحزب الشيوعي الرسمي. وقد كتبت لك عن ذلك مـــرارا. إن تجاهل الحزب الرسمي ككم مهمل وإدارة الظهر له غلط كبير كما يبدو لي. على العكـــس، علينا، بخصوص الحزب الرسمي، أن نتخذ طريق توحيد الصفوف. ومع ذلـــك، فإن هذه المهمة ليست بسيطة. فطالما نحن كتلة ضعيفة لن يمكننا إنجاز هذه المهمـــة. وليس بمقدورنا إنتاج ميل باتجاه الوحدة داخل الحزب الرسمي. إلا عندمـــا نصبـح قوة هامة.

يرد خصوم «الكتلة الواسعة» على هذا: ولكن إذا جمعنا العمال حولنا، فإننا نحـــول أنفسنا آليا إلى حزب ثان. ولا بد أن أعترف أن هذه الحجة تدهشني. فإذا كان علينـــا أن نحاكم بهذه الطريقة، يجب أن يختفي البلاشفة اللينينيون إجمالا عن وجه الدنيـــا، لكي نتجنب خطر حزب ثان، وهذا بالضبط ما يريده الستالينيون. إن المـــلتوسيـــة السياسية هي أكثر أنواع المالتوسية لا طبيعية. فلا يمكن لأي تيار سياسي يثق بقواه إلاّ أن يتطلع إلى توحيد أكبر قسم ممكن من الجماهير حوله.. من الممكن التوصل إلـــى الحزب عبر طرق مختلفة إذا أصبحت المعارضة اليسارية أقوى من الحزب الرسمي الخالي، فسيزودنا بإمكانية النضال من أجل وحدة الصفوف الشيوعية، بفعالية أكبر بمئة مـرة من الوقت الحالي حيث لا تزال المعارضة ضعيفة أليس هذا واضحا؟

لكن أنصار «الكتلة الضيقة» سيجيبون، إن المعارضة اليسارية لا تستطيـــع أن تضـم إلى صفوفها سوى الأتباع الواعين. أحقا! لكن ألا يصح الشيء نفسه بالنسبة للحـــزب؟ الأمر كله يختصر إلى التالي: لا يجب أن تجذب المعارضة اليسارية عمالا جـــددا. كلا، عليها أن تشير إليهم إلى صفوف الحزب، حيث يتعلمـــــون أن التروتسكييـــن «أعداء للثورة» عندئذ، وعندئذ فقط، يكون للمعارضة الحق في تبديـــد وهـــم هؤلاء العمال وإعادة ترتيبهم وتخليصهم من الافتراءات الستالينية المعديـــة. حقـــا، لا أستطيع فهم هكذا آلية معقدة.

نمو ومنظور المعارضة

يبدو لي أنه ليس من حق المعارضة بل ومن واجبها أن تجمع حولها كل من يجيء إليها ويستجيب لدعوتها وكل من تستطيع أن تصل إليه. وسيكونون في البدايـــــة، طبعـا، بعيديـن عن كونهم بلاشفة لينينيين مقتنعين وجادين. ولكن من شأن هـــذا فقـــط أن يفرض علينا ضرورة

[99]- ريمون مولينير: أحد المشاركين في تأسيس (الحقيقـــة). وأحد قادة عصبة الشيوعيين الفرنسية الذي تعاون معه تروتسكي حتى عام 1935.

الانشغال جديا بتثقيف أتباعنا. وسيكون في إطار هذا التثقيف أيضـــا مسألة لماذا نحن مع حزب واحد ولماذا الستالينيون مع حزبين. وإذا تبين أن التدفـــق تجاهنا عاصف (الشيء الذي لا نخافه) يمكننا عندئذ تشكيل حلقة من **المتعاطفيـــــن**. وسيكون من الضـــــــــروري أن نوضح، في هذه الحلقة من المتعاطفيـــن، الاختلاف بين اللينينية والوسطية، ولدى وصول الحلقة إلى مستوى معين تحت توجيهنا، يمكنها أن تدعوا ممثلين من الحزب الرسمي لعرض آرائهم أمامها. وسينشـــأ على هذه الأسس نقاش بين أتباعنا والستالينيين. إن هذا وحده سيؤدي إلى تصالح جدي بين المعارضة اليسارية والحزب وسيخلق ممرا باتجاه الحزب الموحد، أكثر ضمـــــانا من الإجراءات المالتوسية ضد التوالد.

ستصبح المعارضة اليسارية فئة مغلقة إذا توصلت إلى أن مهمتها هي فقط نقد أفعـــال الحزب الرسمي والمنظمات الجماهيرية للبروليتاريا. إن الثورة الاسبانية واقع، وقـــد ضاع الكثير الكثيـر من الوقت دون كل هذا، بما فيه الوقت الذي ضيعته المعارضة اليسارية. ولن يكون في مقدورنا السنة القادمة، بمجرد اللعب بأصابعنـــا، إنتاج الوضـــــع الثوري الذي تمر به اليوم. إن بمقدور المعارضة أن تنمو في اسبانيا تحديدا في غضون فترة قصيرة إلى قوة كبيرة لكن الشرط الأول لذلك هو أن لا نخاف من أن نصبح قـوة بل أن نناضل من أجل ذلك.

هذا كل ما أستطيع قوله الآن في المسألة الخلافيـــــة على أساس معلومات ناقصـــة، وسأكون سعيدا أن أتلقى معلومات إضافية.

.32- تحية لـ السوفييت El Soviet

29 أيلول 1931

الأصدقـــاء الأعزاء:

إنكم تستعدون لإصدار مجلة أسبوعية، وهذه خطوة جادة إلى الأمام. آمـــل أن خطوات أخرى ستلي بسرعة خطوتكم هذه.

تنقسم الشيوعية في اسبانيا، كما في كل مكان، إلى ثلاثة أقسام، الجناح اليمينـــــــــي، الوسط، الجناح اليساري، ويمثل الجناح اليميني تركيبا من الشيوعية والاشتراكية الديموقراطية والتريدينيونية والسنديكالية وفقا للظروف القومية. وفي إسبانيـــــا، كما في غيرها من البلدان، يقع التمثيل الرسمي للكومنترن في أيدي الوسطييـــن، أي في أيدي أناس يتذبذبون بين الماركسية الثورية ومختلف تعابير الانتهازيـــة (الشيوعية).

وتكمن قوة الوسطيين في الكومنترن في واقع أنها تدعم نفسها بسلطة الدولة في الاتحاد السوفياتي. فالوسطية، في ظل الظروف الحاضرة، ليست فقـــــط تيارا أيديولوجيـــا، ليس فقط كتلة، بل جهاز دولة بيروقراطي قوي أيضا.

لقد أحدثت الوسطية بممارستها سياسة متناقضة ومشؤومة ولا مبالية، وبامتلاكها ليس فقط السلطة بل والمصادر المادية للكومنترن، تخريبا فظيعا في الطليعة العالمية للبروليتاريـــا، وقادت، حتى الآن، العديد من الثورات إلى الكارثة.

وقد تبين في اسبانيا، وبفعل خطيئة البيروقراطية الوسطية، أن الحزب الشيوعي قـــوة بالغة الضعف في بداية الثورة. فالبيروقراطية الستالينية، في نفس الوقت الذي تفـــرض على الفروع القومية سياسة خاطئة، لا تسمح بأي نقد، معيقة بذلك تثقيف طليعـــــــة البروليتاريا ومانعة من تشكل حزب شيوعي قوي وواثق بنفسه. ذلك هو الخطر الأساسي الذي يتهدد الثورة الاسبانية التي تتطور بقوة أمام أعيننا.

لقد تأكد الموقف المبدئي للبلاشفة اللينينيين (المعارضة اليساريـــة) بفعل التطـــورات العالمية الكبيرة، وبشكل خاص بفعل تقدم الثورة الاسبانية. ويعمل الحزب الشيوعي الرسمي، المأخوذ على حين غرة لدى كل خطوة من تقدم الثورة، علـــى تصحيـــح **أخطائه** بأجزاء صغيرة ومتكئا على **نقدنا** ومستفيدا من **خطئنا المبدئي**، لأن الوسطية بذاتها فارغة وعقيمة. لكن الموقف المبدئي الصحيح ليس كافيا بالنسبة للبلاشفـــــة اللينينيين، فمن الضروري تطبيقه على الأحداث اليومية بشكل محدد فالإستراتيجية الثورية تتطلب تكتيكا موافقا.

إن أهمية المجلة الأسبوعية تكمن في أنها تضع المعارضة اليسارية وجها لوجه مع كل الأحداث الجارية وترغمها على إعطاء ردها النضالي المباشر عليها، إن المعارضة اليسارية ترفع إلى مرحلة أعلى بإنشائها المجلة الأسبوعية.

ولا يمكن للبروليتاريا، خصوصا في مرحلة الاضطرابات العنيفة، أن تتجمع إلاّ علـــى أساس موقف ثوري متماسك. وتلك هي مهمتكم التاريخية أيها البلاشفة اللينينيون الاسبان. يجب أن يتردد صوتكم في كل أقسام البلاد وكل اللقاءات الجماهيريـــــة. إن مهماتكم تدعو للفخر. الثورة لا تنتظر. والويل لمن يتخلف! آمل من كل قلبـــي أن لا تتخلفـــــوا!

.33- أزمة القيادة في اسبانيا.

26 تشرين الثاني 1931

.1- لقد خلقت الثورة الاسبانية المقدمات السياسية العامة من أجل صراع البروليتاريـــا المباشرة على السلطة. وقد تبين أن التقاليد السنديكالية للبروليتاريا الاسبانية أحد أهم العوائق في سبيل تطور الثورة.

لقد تفاجأ الكومنترن بالأحداث، وشغل الحزب الشيوعي، الذي كان عاجـــزا كليـــا في بداية الثورة، موقفا خاطئا في كل المسائل الأساسية. وأثبتـــت التجربة الاسبانيـــة –لنذكر ذلك مرة أخرى– أي أداة رهيبة لخلخلة الوعي الثوري للعمـــال التقدميين يمثل الكومنترن! إن التأخر غير الطبيعي لطليعة البروليتاريا المتجرجرة وراء الأحداث، والطابع المبعثر سياسيا للنضالات البطولية للجماهير العاملة، والضمانات الفعليـــة للمنفعة المتبادلة بين الفوضوية السنديكالية والاشتراكية الديموقراطية، هي الشروط الأساسية التي مكنت البورجوازية الجمهورية بالتحالف مع الاشتراكية الديموقراطيـــة من تأسيس جهاز قمع، وبتوجيهها الضربة تلو الأخرى للجماهير المتمـــردة، من مركزة مقدار كبير من السلطة في يدي الحكومة.

بهذا المثال نرى أن الفاشية ليست، على الإطلاق، الطريق الوحيد للبورجوازية في صراعها ضدّ الجماهير الثورية. إن النظام القائم في اسبانيا اليوم يتفق أكثر ما يتفـــق مـــــع مفهوم حكومة كيرنسكية، أي الحكومة (اليسارية) الأخيرة أو (بعد الأخيرة)، التـــي يمكن للبورجوازية أن تشكلها في صراعها ضد الثورة. لكن هذا النوع من الحكومة لا يعني، بالضرورة، ضعفا أو إنهاكا. ففي غياب الحزب الثـــوري القـــوي للبروليتاريا، يمكن لتركيب من أنصاف الإصلاحيين ومن تعابير يسارية وإيماءات أكثر يسارية وانتقامات، أن تبرهن على خدمة للبورجوازية أكثر فاعلية بكثير من الفاشية.

ولا حاجة للقول أن الثورة الاسبانية لم تنته بعد. إنها لم تحل أكثر مهامها بدائيـــــــة (المسألة الزراعية والقومية ومسألة الكنيسة) ولا تزال بعيدة عن أن تكون استنفذت المصادر الثورية للجماهير الشعبية. وليس بمقدور البورجوازية أن تعطي أكثر ممـــا أعطته حتى الآن. إن الوضع الداخلي الحالي في اسبانيا يكمن تشخيصه بأنه قبيل ثوري وليس أكثر من ذلك. ومن المحتمل أن يتخذ التطور الهجومي للثورة الاسبانية طابعـــا أقل أو أكثر تطاولا. وبذلك كما لو أن العملية التاريخية تفتح حسابا جديدا للشيوعيـــة الاسبانية

.34- موازنة الفرع الاسباني.

22 كانون الأول 1931

7- لقد أحرز الفرع الاسباني بعض التقدم وأسس اتصالات تسمح له بالأمل بنجاحـــات جديدة ولكن من الواضح أن نجاحات المعارضة الاسبانية، قياسا بالحركة الثوريـــة العظيمة للجماهير الاسبانية، صغير جدا. وهذا، على كل حال، عائـــد أولا إلـــــى عدم وجود المعارضة الاسبانية قبل الثورة، لقد صاغت نفسها في نار الأحداث، وفـــي هذه العملية ضاع وهدر الوقت في تجارب كانت لا جدواها واضحة مسبقا (في كاتالونيا مثلا).

وقد تجلى الضعف الحاد للمعارضة الاسبانية في بداية الثورة، في أن رفاقنا الاسبـــان، بغض النظر عن الوضع الملائم بشكل استثنائي في البلاد، لم يستطيعوا، إلاّ مؤخرا، إصدار صحيفة أسبوعية، فإما أن المساعدات الخارجية لم تكف أو أنها لم تصل فـــي الوقت المناسب. وتم تعليق أسبوعية (السوفييت) في برشلونة. ولا بد من القـــــول أن الأسباب التي تقدمها المعارضة الاسبانية لتعليقها ليست مقبولة نهائيا. فبدلا من أن يقولـــــوا: «ليست لدينا السبل، نحن ضعفاء، ساعدونا!» يعلن الرفاق الاسبـــان بأنهـــم لا يريدون الخضوع للرقابة. عندما لا يكون الثوريون في موقع يمكنهم من خلع الرقيب عليهم، عندئذ أن يتأقلموا معه شرعيا، من جهة ن وأن يقولوا كل ما هو ضروري قوله فـــي الصحافة غير الشرعية من جهة أخرى. لكن لا يجب أن يختفوا عن الساحة بدعوى الرقابة وكرامتهم الثورية، لأن ذلك يعني تنفيذ سياسة تزييفية وليس بلشفية.

لقد دخلت الثورة الآن فترة من التراخي تفصل المرحلة البورجوازية عن المرحلة البروليتارية. ولا يمكن التنبؤ بطول هذه الفترة، وعلى كل حال، فإن للمعارضة اليساريـــــة الآن فرصة أن تعمل عملا إستعداديا أكثر تنظيما وتخطيطا. ولابد من تطوير الكوادر، فلا مجال لتضييع الوقت. إن أحد أهم الأسلحة في هذا المجال هو المجلة النظرية الشهرية كومونيزمو Communismo يجب إنشاء نشرة جدية للنقاش الداخلـــــــي. ولا يمكن التفكير بتثقيف الكوادر على أساس قضايا البلاد وحدها، وإذا كان الرفاق الاسبـــان قد كرسوا القليل من الوقت للقضايا العالمية في مجرى السنة الماضية، فإن ذلك يعود، ببساطة إلى يفاعة المعارضة والخطوة العنيفة للأحداث الثورية. وهو ما يفسر، بلا شك، لماذا كان تدخل المعارضة الاسبانية في القضايا العالمية متقطعا جدا وذا طابع عرضـــي لم يكن ملائما على الدوام

.35- رسالة إلى كونفرس المعارضة اليسارية الاسبانية

7 آذار 1932

الرفاق الأعزاء:

إن حقيقة انعقاد كونفرانس للمعارضة اليسارية الاسبانية تمثل بذاتها إنجـــــــازا لا ينكر، أهنئكم به بإخلاص.

إنني آسف بعمق للظروف التي منعتكم من نشر مشاريع المقررات في الوقت المناســب، وبالتالي من إعطاء الرفاق الأجانب فرصة المشاركة في هذه التطورات قبل الكونفرس، ولهذا السبب، وبغياب فرصة أن أعلن رأيي بشكل أكثر تحديـــدا في المسائـــــل المدرجة على جدول أعمالكم، أقصر نفسي على بضع ملاحظات، ومن الممكن أن تكون هذه الملاحظات نافلة نظرا لطبيعتها الأولى. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد

أن أكـــون أول المسرورين.

.1- يبدوا لي قبل كل شيء، أنه من الضروري أن نوضح في التقارير الإقليمية أية مشاركة كانت للبلاشفة اللينينيين في الأفعال والنضالات الحقيقية للطبقة العاملـــة الاسبانية. تلك هي المسألة المركزية. فالمجموعة السياسية التي تبقى خارج الحركة الفعليـــة وتنشغل بالانتقادات بعد مضي الأحداث، سترفضها الطبقة العاملة، بشكل خـــاص، في شروط ثورية. إنني لا أشك للحظة في أن غالبية البلاشفة اللينينيين في الأقاليـم قد شاركوا في كل الحركات الجماهيرية، حتى عندما اعتبروها لا تنسجم مع أهدافهـم فالثوري لا ينتقد من الخارج بل من صلب الحركة نفسها. لقد سار البلاشفـــة فـــي التاسع من كانون الثاني عام 1905 سوية مع العمال إلى القصر القيادي داعية جمهورية، وبنجاح عظيم.

ولا شك في أننا لن نختلف أدنى اختلاف في هذه المسألة الأساسيـــة. وإذا كنـــت، بذلك، أطرح هذه المسألة، فلأن تجربة بعض البلدان أظهرت أن بعض العناصـر المعزولة تتهيأ لربط نفسها مع المعارضة اليسارية، عناصر تتفادى في الواقع النضال الثوري تحت ذريعة «النقد الماركسي» فالحركة الثورية بالنسبة لهؤلاء السادة لن تكون قطعا «واعية» و«ناضجة» و«نبيلة» بما يكفيهم للانغماس بها والخروج إلى الشوارع مع العمال. علينا أن نطهر التنظيم في اللحظة المناسبة ، من الناس الذين يميلون، في اللحظة العصيبة من الصراع، إلى تأمل سراتهم بعمق.

لذلك أنصح، بخصوص العمل النقدي للمعارضة، بتوضيح المشاركة المباشرة فـــي الصراع عبر التقارير الإقليمية. وسيكون من المفيذ جدا نشر تقرير عياني عن هذا الموضوع في كل الصحافة العالمية.

قضية أخرى أود لفت انتباهكم إليها، تمس الطابع الأممي لعملنا. يبني الانتهازيـــون من أمثال موريـــن ومقلديه في مدريد كل سياستهم على خصائصهم القومية. سيكون بالطبع أكبر حماقة أن لا نعرف هذه الخصائص، لكن علينا أن نعرف كيف نكشف تحتها عـــن القوى المحفزة للتطور العالمي وأن نعي اعتماد الخصائص القومية على التركيب العالمي للقوى. إن الميزة الهائلة للماركسية وبالتالي للمعارضة اليسارية تكمـــن في هذا الأسلوب العالمي لحل المشاكل القومية والخصائص القومية.

وتقع على عاتقهم تنظيمكم الفتي مهمة خاصة هي متابعة عمل الفروع الأخرى للمعارضة اليسارية العالمية لكي يعمل، دائما، بالانسجام مع مصالح الكل. فبـدون معاييـــر عالمية، وبدون ارتباطات عالمية منتظمة، يستحيل تشكيل تنظيم بروليتاري ثوري حقيقي في حقبتنا.

.3- الآن تحتل ألمانيا المركز في اللوحة العالمية[100]. ولا ريب أن كونفرنسكم سيولي الاهتمام الضروري للمسائل الحارقة للثورة الألمانية. لهذه المسألة أهمية فائقة بالإضافة إلى أنها ملحة بالنسبة للمعارضة الاسبانية. فكلما طرح البلاشفة اللينينيون وحلّـــوا مسائل الثورة الألمانية بوضوح أكبر أمام أعين الحزب الرسمي والبروليتاريا الاسبانية، كلما كانت الضربة التي يوجهها للوسطية البيروقراطية أكثر تحطيما، وكلما مركزوا حولهم، بسرعة أكبر المتعاطفين ودعم العمال التقدميين في إسبانيا.

قاصرا نفسي على هذه الملاحظات القصيرة، أتمنى لكم بحرارة النجاح في عمل الكونفرنس. إلى الأمام ثمة مهام جسام وصراعات حاسمة، لعل كونفرنسكم يصوغ الأسلحـــة الضرورية لهذه الصراعات.

مع تحياتي الشيوعية.

ل. تروتسكي.

العلاقات الأممية للمعارضة الاسبانية[101]

7 آذار 1931.1

تلقيت من اسبانيا، مؤخرا، العديد من الرسائل والوثائق التي تبين وجود بعض إسـاءات الفهم بين الرفاق الإسبان وغالبية المعارضة اليسارية الأممية. إن أفضل ما يمكن عمله في حالة كهذه، هم محاولة توضيح إساءات الفهم هذه بالوقت المناسب وبطريقة تفصـــل فيها ما هو صغير ومؤقت عمّا هو هام ومبدئي.

.1- هناك نزاع بين الرفيقين لاكروكس ونـــن من جهة والرفيق مولينيـــر من جهة أخرى حول مسألة محض عملية. وكنت ولا أزال أعتبر أن الرفيقين لاكروكس ونـــن، الذين غير مطلعين كليا على الوضع، يوجهان تهمة خاطئة للرفيق مولينيير في هذه المسائـــــل العملية. وقد سارعت، من جهتي، لتوضيح سوء الفهم هذا، واعتبرت بعد ذلك، أن هذه المسألة العريضة قد سوّيت، طالما أنها لا ترتبط بمسائل سياسية

[100]- أن «ألمانيا كانت مركز الثورة العالمية» هي أطروحة «ألمانيا: مفتاح الوضع العالمي» في كتاب «النضال ضد الفاشية في ألمانيا».

[101]- رسالة إلى اللجنة المركزية للمعارضة اليسارية.

ومبدئيـــــــــة.

إن آراء الرفيقين لاكروكس ونـــن حول الرفيق موليـنيـيـــر هي شأنهم الشخصي ولا داعي للإشارة إلى هذه المسألة.

.2- لذلك يخطئ الرفيق لاكروكس عندما يعتقد بأننا نختلف معه بخصوص الرفيـــق موليـنيـيـــر. كلا، إن الإختلاف (إن لم يكن سوء فهم) يتعلق بعلاقة المعارضة الإسبانية بكل القضايا التي يدور حولها النقاش في المعارضة اليسارية الأممية، أي يتعلق بالقضايا الأساسية والمبدئية للمعارضة اليسارية. وهذه هي المسألة الوحيـــدة التي تهمنـــــي.

.3- أثبتت التجربة أن هناك عناصر من المعارضة اليسارية في مختلف البلـــــــدان تختلف معنا كليا. ويظهر مثال غوركن Gorkin وحده، أن مجرد الاعتراف بالمبادئ الأساسية للمعارضة اليسارية لا يكفي[102]. فالتنظيمات والثوريون يظهرون بعملهم، أي بتطبيق مبادئهم. ولذلك يمكن لأحداث صغيـــــرة جدا أن تضيء هذا الشخـــــص أو ذاك أو هذه المجموعة أو تلك، بمعنى أن العَرَض الصغير غالبا ما يكشف عيبا كبيرا.

وأود أن أعطي مثالا في هذا المجال. برز في ألمانيا، كما تعلمون، حزبا اشتراكيا يساريا [SAP حزب العمال الاشتراكي[103]]. يقرّ زعماؤه بديكتاتورية البروليتاريا والنظام السوفياتي، أعتبر أوربانز Urbhans الذي كان مرة معنا، خاطئا، أن هذا الاعتراف برهـــان على شيوعية هذا الحزب الجديد[104]. وقد كانت صحف هذا الحزب تسمي «رفاقا» «كل من أوتو باور وليون بلوم، المرتزقيـــن» سيئي الذكر، للإمبريالية الفرنسيـــة قد يخالفني أحد قائلا: إن كلمة «رفيق» أمر صغير جـــدا قياسا بديكتاتوريـــة البروليتاريا والنظام السوفياتي، حسنا، أنا أرى أن الاعتراف بديكتاتوريـــة البروليتاريا والنظام السوفياتي عبارة عن جمل في ألسنة قادة الـ SAP هؤلاء، وأن تعبير «الرفيق ليون بلوم» يفضح مشاعرهم الحقيقية. من الضروري في السياسة أن تفهم كيـــف توجه نفسك مسترشدا بعلامات صغيرة كهذه، وخصوصا عندما لا تقود إلى أحداث أكبر تصبح البرهان الفعلي.

.4- لقد كان كل من روسمر Rosmer ونافيل Naville وجيرارد Gerard وغيرهم في فرنسا ولاندو Landau في ألمانيا وأوفر ستراينت Over Straeten في بلجيكا ، يتفقون في كل (المبادئ) مع المعارضة اليسارية[105] . ولكنهم، في الممارسة، لم يكونوا يتفقون بشيء. فقد عارض روسمير ونافيل وغيرهم بانتظام أفكار المعارضة اليسارية وكل محاولة للاقتراب من الحزب والنقابة والتنظيم العالمي وبذلك أعاقوا نجاح المعارضة اليسارية. وقـــد امتد النضال ضدهم لأكثر من سنة ونصف. فقد دعموا العناصر التي تختلف معنا فـــي مختلف البلدان. وكانوا في نفس الوقت يبنون كتلتهم ويشلون عملنـــا... ويبين أن القطـــــع مع هذه المجموعة. التي كانت على خلاف معنا، أمر لا محيد عنه ولم أتردد لحظة في اتخاذ هذه الخطوات بالرغم من حقيقة ارتباطي بصداقة شخصية حميمة وع روسمر منذ أكثر من خمسة عشر سنة.

.5- هل المعارضة اليسارية الاسبانية مطلعة على مجرى الصراع مع أوفر ستراينـتـن، أوربانز، لاندو، روسمر، نافيل، وغيرهم؟ وأعني بذلك ليس فقط قادة المعارضـــة الاسبانية بل التنظيم ككل. إذا ظل أعضاء المعارضة اليسارية غير مطلعين علـــى هذا الصراع فيجب اعتبار ذلك تقصيرا كبيرا. لا نستطيع تطوير ثوريين حقيقييـــن ما لم نعط الشيوعيين الشباب فرصة متابعة تطوير السياسات البلشفية يوما بعـــد يوم، ليـــس فقط في اسبانيا بل وفي كل فروع المعارضة اليسارية الأخرى أيضا. وبهذه الطريقة فقط يمكننا كسب التجربة وبناء وتقوية الوعي الثوري. وهذا هو بالضبط أهم جزء من نظام الحزب الديموقراطي الذي نناضل لتأسيسه.

---

[102]- جوليان غوركين: كان أحد أعضاء المعارضة اليسارية قبل أن ينظم إلى حلـــف العمال والفلاحين بقيادة مورين. أصبح أحد كبار قادة حزب العمال للتوحيـــــــــد الماركسي.

[103]- الـ SAP (حزب العمال الاشتراكي) في ألمانيا تشكل في أوكتوبر 1931 بعدما طرد الحزب الاشتراكي الديموقراطي عدة يساريين من صفوفه. في ربيع 1932، حدث انشقاق في المعارضة الشيوعية اليمينية (KPO البراندليون) ودخلت مجموعة من حوالي 800 شخص يقودها جاكوب فالشر إلى SAP وتولت قيادته. وقع هذا الحزب بيانا يدعو إلى الحاجة لتأسيس أممية جديدة لكنه أصبح فيما بعد خصما لدودا لتشكيل أممية كهذه.

[104]- هوغو أوربانز 1890–1946: أحد قادة الحزب الشيوعي الألماني الذي طـرد عام 1928 وساعد في تشكيل (رابطة لينين) التي ارتبطت بالمعارضة اليسارية حتـــى عام 1930.

- أوتو باور 1882–1939: المنظر الرئيسي للماركسية النمساوية وأحد قادة الاشتراكية الديموقراطية النمساوية.

- ليون بلوم 1972–1950: قائد الحزب الاشتراكي الفرنسي في الثلاثينات، ورئيس وزراء أول حكومة للجبهة الشعبية عام 1936.

[105]- منذ الأيام الأولى لعصبة الشيوعيين في فرنسا عام 1930 وجد تروتسكي نفســه في خضم نزاعات سياسية وأيديولوجية وتنظيمية مع قادتها. واعتقد أنه يمكن تعلـــم دروس هامة من هذه النزاعات وحث قادة وأعضاء الفروع الأخرى من المعارضة اليسارية الأممية على متابعتها عن كثب وعلى إبداء آرائهم. - ألفرد روسمر 1877–1964: أحد مؤسسي الحزب الشيوعي الفرنسي، كان فـــي اللجنة التنفيذية للكومنترن. طرد من الحزب عام 1924 وكان عضوا في الحركة التروتسكية منذ بداياتها عام 1930 عندما استقال بسبب خلافات سياسيـــة وتنظيميـــــــة مع الغالبية.

وتصالح مع تروتسكي مصالحة شخصية عام 1936.

- بيير نافل: أحد مؤسسي عصبة الشيوعيين في فرنسا وأحد مؤسسي (رابطة لينيـــن). عارض دخول المعارضة الفرنسية إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي عـام 1934، علما بأنه انضم إليه مع مجموعته بعد انضمام الغالبية إليه. ترك الحركة التروتسكيـــة أثناء الحرب العالمية الثانية.

- فرانسيس جيرار: هو الاسم الحركي لجيرار روزنتال التروتسكي الفرنسي ومحامي تروتسكي في فرنسا لعدة سنوات.

- إدوارد فان أوفرشترايتن: أحد قادة الحزب الشيوعي البلجيكـــــي، طرد عام 1928 لاحتجاجه على قمع المعارضة اليسارية في روسيا. أحد مؤسسي المعارضة اليساريـة البلجيكية، انفصل عنها بعد عدة سنوات وسرعان ما ترك السياسة.

.6- لدى توسعي في مسألة ما إذا كان أعضاء المعارضة اليسارية يعلمون بمجرى الصراعات الأيديولوجية العالمية، أجدني مضطرا للإشارة ثانية إلى دلائل صغيرة، تبدو لـــي ذات أهمية دلالية كبيرة. ففي حين ترك لاندو صفوفنا وهجر روسمر تنظيمنا، تم ذكرهم، مع ذلك، في مجلتكم كومونيزمو كمساهمين. لقد أزعجني ذلك جدا. ماذا ستقولـــون إذا حملت صحف المعارضة الألمانية والفرنسية أسم غوركين كأحد مساهميها؟ سيكون ذلك عملا غير محبب للأصدقاء الاسبان. لقد طرحت هذه المسألة مع الرفيق لاكروكس وتلقيت في الرد أن كل المسألة لا تعدو كونها سوء فهم تقني. أرجوا أن تتأكـــدوا من أنني لا أميل إلى المبالغة في أهمية هذا الخطأ. لكنني اضطررت إلى الوصول إلى نتيجة مفادها أن أصدقاءنا الاسبان لا يعيرون، حتى الآن، الاهتمام الكافي لحياة المعارضة العالمية. إنكم توافقون، لا ريب، على أنه، بالضبط، مثلي يستحيل بناء الاشتراكيـة في بلد واحد، يستحيل ممارسة سياسة ماركسية في بلد واحد فقط.

.7- في هذا الخصوص برز دليل جديد ليسوّغ الخوف من أن هذه المسألة أكثر جدية مما بدت عليه في الأصل. وقد برز ذلك واضحا بشكل خاص في مسألة تأسيس السكرتاريـــا العالمية[106]. ولم تظهر هذه المسألة في الأمس فقط، فلها قصة طويلة. وهناك عـدد لا يحصى من الوثائق في هذه المسألة، وخصوصا تلك الوثائق التي كتبتها بنفسي. وأجدني مضطرا مرة أخرى على السؤال فيما إذا كانت هذه الوثائق معروفة للرفاق الاسبـــان؟ هل تمت ترجمتها إلى الاسبانية؟

لقد التقيت، حقا، ببعض الرفاق من صفوف المعارضة اليسارية يتكلمون عن الصراعات الأيديولوجية الداخلية باستخفاف مُسمينها «مشاحنـــات، دسائس» وإن رفاقـــا كهؤلاء لم يتعلموا من مدرسة ماركس ولينين. فلكي نستعد للمعارك الكبيرة يجـب أن نتعلم أن نكون ثابتين ولا مساومين في كل المسائل المبدئية الجارية، حتى عندمـا يكـــون لها طابع قليل الأهمية، وغالبا يكون هؤلاء الناس الذين يسمون الصراعات المبدئيـــة «دسائس» هم تحديدا من يبدون الاستعداد للدسائس الحقيقية عندما يتعـــرض لهـــم أحد بأذى. إن نقص الاهتمام بالقضايا المبدئية والحساسة المفرطة في القضايا الشخصية يميزان العديد ممن هبط صدفة في صفوف المعارضة اليسارية.

.8- والرفيق ميل هو أحد هؤلاء الأشخاص الطارئين بلا شك. فقد اضطرت المعارضة الروسية لغياب الرفاق الذين يتكلمون الروسية في البلدان الأخرى، للجوء إلى الرفيق ميل، الذي كان معروفا لها بشكل طفيف، كممثل غير رسمي لها في السكريتاريـــــة العالمية. وقد قبل الرفيق ميل هذا التمثيل، وكنت أتراسل معه بشكل مستمر. ويمكن جمع مجلد ضخم من رسائلي إليه. وقد أظهرت ردوده أنه لا يفتقد لأبســـــط خبرة وفهم ثوريين لمعنى التنظيم فقط، بل ولا يريد أن يتعلم ولا يستطيـــــع أن يتعلم ألفباء السياسة الشيوعية أيضا. إنه يكرر بطلاقة العبارات العامة عن الاشتراكيـــــة في بلد واحد، لكن عندما يقتضي الأمر الدفاع عن خط سياسي محدد، تراه يغير نهجه تحت تأثير نوع غير مفهوم من المزاج.

لقد شارك الرفيق ميل، على مدى بضعة أشهر، في الصراع ضد لاندو، ونافيل وقائدهم روسمر. كان يجب أن يفترض المرء أنه فهم معنى هذا الصراع الذي قاد إلى القطـــع مع سلسلة كاملة من المجموعات والأشخاص. لكن ذلك لم يمنعه من إرسال رسالـــــة إلى روسمر يقترح عليه فيها تشكيل حلف ضد قيادة العصبة الفرنسية وضد المعارضة الروسية. إن هذا النمط من التصرف، إذا تناولنا الأمور بجدية، هو خيانة، والرجل القادر على هكذا (شَقْلَبَة) سياسية لا يستحق أن يقال عنه ثوري، أتوافقون على هـــذا أيها الرفاق أم لا؟

.9- وقد أجريت مراسلات مع السكرتارية العالمية من خلال الرفيق ميل باللغة الروسية لكسب الوقت. وكان يخفي عن السكرتارية من رسائلي تلك التي تحمل اقتراحـــــات وملاحظات وانتقادات لا تروق له، ويقتبس، خلاف ذلك، أقساما معزولة مـــن رسائلي بشكل يمكنه من استخدامها ضد السكريتاريا. عاملا بذال على تضليل السكرتاريا بانتظام.

.10- وقطعت المعارضة اليسارية علاقتها مع ميل، كما وأدانته المعارضة الفرنسية بقوة، واعتبرت المعارضة الألمانية سلوكه غير مقبول، وأدانته المعارضة البلجيكية والمعارضة الإيطالية استنكرت تحالفه مع روسمر، عبر شخص الرفيق سوفو Souvo عضو السكرتارية العالمية. هل هذه الوقائع معروفة لأعضاء المعارضة الاسبانية أم غير معروفة؟ آمل أن تكون معروفة. كيف نفهم إذن حقيقة أن اللجنة المركزية للمعارضة الإسبانية رشحت ميل كممثل لها في السكرتارية العالمية؟

إن خطوة من هذا النوع لها طابع ظاهرة سياسية معادية للمعارضة الروسية والفرنسية والبلجيكية وغيرها من الفروع القومية التي لن تتأخر قراراتها على الأغلب. ومـــن الواضح أنه إذا كان لكم خلافات جدية معنا فليس فقط من حقكـــم بل من واجبكـــــم أن تعبروا عنها بالكلمات بالإضافة إلى الأفعال. وفي هذه الحالة يجب أن تعبروا عن أنفسكم بصراحة ووضوح.

.11- إن دعوتكم للرفيق ميل يبدوا محيرا أيضا للأسباب التالية: كتب الرفيق ميل رسالتين من اسبانيا يضع فيهما المعارضة اليمينية واليسارية في سلة واحدة ويضلل بهذا الأسلوب كل المعارضة اليسارية. يصعب تصور اضطراب أكثر تشوشا، خصوصا من جانب السكرتير الدائم. وعندما احتججت على رسائله ردّ بأن الرفيق نـن قد ضللـــه. أليـــس واضحا أنه يؤكد فقط على عجزه التام عن محاكمة أبسط المسائل السياسية بنفسه؟

وكنت قد اقترحت صياغة بيان عالمي بشكل مشترك بصدد الثـــورة الاسبانيـــــة. وبالرغم من طلباتي المتكررة لم يعمل الرفيق ميل حتى على رفع أصبعه في هذه المسألة الهامة، لأن كل اهتمامه كان مستهلكا بالصراع العصبوي والتركيبات المخفيـــة ضد أهم أقسام المعارضة.

---

[106]- السكرتاريا العالمية: كانت إحدى لجان عصبة الشيوعيين وينتجها الاجتماع العام الكامل.

هذه هي الوقائع.

كيف يمكننا إذن، أيها الرفاق، أن نفسر نقص الثقة الذي عبرتم عنه بكل وضوح تجاه الفرع الفرنسي والروسي والألماني والبلجيكي وغيرها من فروع المعارضة اليساريـــــــة؟ لابد أن لديكم أسس مبدئية عميقة لذلك. لقد شرحت آراءنا آنفـــــا، وليـــس لأول مرة، وأنا الآن أنتظر بأقصى الانتباه آراءكم المبدئية.

12- سأذكر حدثا آخر فقط، لقد صوتم ضد دخول ممثل المعارضـــة الروسيـــــة، الرفيق ماركين، إلى السكرتارية العالمية على أساس أنه ينتمي إلى كتلة فرانك-مولينير، إنه ينتمي إلى نفس الكتلة التي أنتمي إليها أنا. لكننا نعمل بتضامـــن تـــــام معكم[107] . على أي أساس إذن تحاولون حرمان المعارضة الروسية من التمثيل في السكرتاريـــة العالمية؟ لابد أن يكون عندكم أسباب وجيهة لذلك، اشرحوها من فظلكـــم، وسنوليها كل اهتمام.

لقد سألني الرفيق لاكروكس، في رسالته الأخيرة، أن أعود إلى مسألة الرفيق الفرنسي مولينير الذي له معه النزاع المذكور في النقطة الأولى. إنني موافق تماما، وأعتقـــد أن باستطاعتنا أن نستبعد كليا الأحداث الشخصية الصغيرة التي لا تحمل مغزى سياسيا أو مبدئيا.

ويقول الرفيق لاكروكس، في رسالته، أن على الكونفرنس العالمي حل المسائل الأخلاقية وهذا صحيح تماما. لكن يجب الإعداد للكونفرنس العالمي بنقاش أهم الاختلافات السياسية والتنظيمية في كل الفروع. لذلك، أتوجه إليكم أيها الرفاق الأعزاء، بهذه الرسالة التي أرسل منها نسخا لقيادات كل الفروع القومية. ولا شـــك فـــي أننا سنتمكن، بجهودنا الموحدة، من تجنب إساءات الفهم وإيجاد لغة مشتركـــة معكـــم.

مع تحياتي الشيوعية.

ل. تروتسكي.

37- إلى الشبيبة الإسبانية

13 حزيران 1932

علمت بسرور بإصدار صحيفتكم الخاصة. إن التيار الثوري الذي لا يربي الشبـــاب يولد ميتا. إن الشيوعية في عالمنا الحاضر، هي المهمة الوحيدة ذات الوزن العظيم والتي تتطلب سلسلة كاملة من الأجيال لاكتمال تحقيقها. فالثورة البروليتارية تحتـــاج إلى مواصلة. ومهمة الشباب هي ضمان هذه المواصلة، أعني أنها مهمتكم، والماركسية تبين كيف يتم ذلك.

إن قوة الماركسية هي في وحدة النظرية العلمية مع الصراع الثوري. وعلى هذين المسارين يجب أن تتقدم تربية الشباب الشيوعي. إذ يمكن لدراسة الماركسية خارج الصـــراع الثوري أن تخلق ديدان كتب لكن ليس ثوريين. كما وأن المشاركة في الصراع الثوري دون دراسة الماركسية مليء حتما، بالخطر وعدم الثبات ونصف العمى.. فـأن تدرس الماركسية كماركسي لا يمكن إلا عبر المشاركة في حياة وصراع الطبقة، إن الممارسة هي اختبار النظرية الثورية، والنظرية تضيء الممارسة. فحقائق الماركسية التي تكتسب في مجرى الصراع هي وحدها التي تدخل العقل والدم.

تقول رسالة من الاتحاد السوفياتي، تلقيتها منذ بضعة أيام، أنه بالرغم من الاضطهادات الفظيعة والاعتقالات وعمليات الترحيل، فقد تشكلت تنظيمات جديدة للمعارضـة اليسارية (البلاشفة اللينينيين) في كل مركز صناعي وخصوصا بين الشباب. ما من قمع يمكنه كسر استمرار الثورة طالما أنها تستند إلى نظرية ثورية.

آمل من كل قلبي، أن تنجز صحيفتكم بنجاح المهمة المنوطة بها: توحيد النظريـــــة والممارسة. ولن يكون ذلك سهلا. سوف تخطئون، ولكننا، نحن الكبـــــار، الذين نملك بعض الخبرة الثورية غالبا ما نخطئ أيضا، ونخطئ أكثر مما ينبغي. وسوف تتعلمون من أخطائكم. فالخطوة الثانية والثالثة ستكون أكثر ثباتا من الخطـــوة الأولى.

باسم الآلاف والآلاف من رفاقنا في الفكر، البلاشفة اللينينيون الروس، الذين يخوضون النضال في المصانع والمناجم والمشتتون في سجون ومعسكرات نفي البيروقراطية الستالينية، باسمهم أحيي بحرارة الشيوعيين البروليتاريين الشباب في اسبانيا.

---

[107]- ماركين: الاسم الحركي لليون سيدوف 1906–1938: ابن تروتسكي الذي كان يعيش في ألمانيا عام 1932، والذي قام أحيانا بدور ممثل المعارضة اليسارية لدى السكرتارية العالمية. هرب إلى باريس لدى وصول هتلر إلى السلطة عام 1933، حيث عاش هناك حتى اغتياله على يد عملاء الـ GPU عام 1938. «نحن» نشير هنا إلى المعارضة اليسارية و «هم» تشير إلى مجموعة مولينير–فرانك في قيادة المعارضة الفرنسية الذين تعاون معهم تروتسكي حتى 1935.

- بيير فرانك: أحد أعضاء عصبة الشيوعيين في فرنسا، فيما بعد أحد أعضاء السكرتاريا الموحدة والعالمية للأممية الرابعة. «الأممية الرابعة» (دار ماسبيرو 1969) نشرت على حلقات في الإنتر كونتينونتال برس من 13 آذار إلى 5 حزيران 1972.

لكم ل. تروتسكي.

.38- الكورنيلوفيون الإسبان والستالينيون الاسبان.

20 أيلول 1932

كما في الماضي تلتزم البرافدا الصمت حيال ألمانيا. لكنها، لتعوض عن ذلك تحمـــــل في عددها الصادر في 9 أيلول مقالة عن اسبانيا، والمقالة هذه ذات قيمة تعليمية فائقة. صحيح أنها لا تضيء الثورة الاسبانية إلاّ بشكل غير مباشر، إلاّ أنها توضح بجـــــلاء الاضطرابات السياسية للبيروقراطية الستالينية.

تقول المقالة: «بعد هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني[108] ، أكد التروتسكيـــون (يلي ذلك بعض الشتائم الطقوسية ل. ت) أن الثورة قد هزمت وأن مرحلـــــة الهزائم قد حلت» هل هذا صحيح؟ إذا كان ثمة ثوريون في إسبانيا على استعـــداد لدفن الثورة في كانون الثاني من هذه السنة، فليس لهم ولا يمكن أن يكون لهم أي جامع مع المعارضة اليسارية. ذلك أن الثوري لا يستطيع اعتبار الثورة منتهية حتى لا تتـــرك المؤشرات الموضوعية مجالا للشك. وحدهم الانطباعيون البائسون وليس البلاشفـــة اللينينيون يمكنهم أن يقدموا تنبؤات متشائمة على أساس من المعنويات المحبطـــة.

لقد تفحصنا في مقالنا «الثورة الاسبانية والمخاطر المحدقة التي تحيق بها» قضية الخط العام لتطور الثورة الاسبانية ووتيرتها المحتملة. لقد استغرقت الثورة الروسية ثمانيـــة أشهر إلى أن وصلت ذروتها. لكن هذه المدة ليست مفروضة بأي حال على الثورة الاسبانية. فلم تعط الثورة الفرنسية العظمى السلطة لليعاقبة إلاّ بعد أربـــــع سنوات تقريبـــا. وأحد أسباب بطء الثورة الفرنسية يكمن في حقيقة أن الحزب اليعقوبـــي نفســـــــه لم يتشكل إلاّ في لهيب الأحداث. إن هذه الشروط توجد في اسبانيا. كان الحزب الشيوعي، في لحظة الثورة الجمهورية، لا يزال في طفولته. لهذا السبب، بالإضافة إلـــــى غيره من الأسباب، نعتقد أنه من المحتمل أن تتطور الثورة الاسبانية ببطء عبر سلسلة من المراحل بما فيها المرحلة البرلمانية.

وقد ذكرنا في ذلك الوقت أن اندفاع الثورة يشمل المد والجزر. وبالمناسبـــة، يكمـــن فن القيادة في عدم الهجوم لحظة الجزر وعدم التراجع لحظة المد. لهذا من الضروري، قبل كل شيء، أن لا نخلط التذبذبات «الظرفية» الخاصة مع الإيقاع الأساســـــي للثورة.

كان واضحا بعد هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني، أن الثورة في اسبانيا كانـت تعاني جزرا جزئيا. الثرثارون والمغامرون وحدهم يمكن أن يتجاهلوا الجـزر. لكـــن تجاور الخوف والفارين هم من يتكلمون عن تصفية الثورة إثر تراجع جزئي. إن الثوريين هم آخر من ترك الميدان. وأي ثوري يدفن الثورة الحية يستحق هو نفسه فرقة الإعدام.

إن التراجع الجزئي وتراخي الثورة الاسبانية أعطى دفعا للثورة المضادة، فبعد هزيمة في معركة كبيرة تنكفئ الجماهير وتهدأ. وغالبا ما تميل القيادة غير الحازمة بما يكفي إلى المبالغة في مدى الهزيمة. الشيء الذي يشجع الجناح المتطرف في الثورة المضـــــــادة تلك هي الآلية السياسية للمحاولة الملكية التي قام بها الجنرال سانجورجـــــو Sanjurju[109] لكن ما يوقظ الجماهير بشكل خاص كلسعة السوط، هو ظهور العدو اللدود للشعب في الساحـــة. وليس نادرا أن تتفاجأ القيادة الثوريـــة بحـــالات كهذه.

تكتب البرافدا : «إن سرعة وسهولة سحق تمرد الجنرالات يظهر أن قوى الثـــــورة ليست محطمة، فقد تلقى النهوض الثوري دفعا جديدا من أحداث العاشر من آب». وهذا صحيح تماما. ويمكنني القول أيضا أن هذا هو المقطع الوحيد الصحيـــح فـــــي كل مقالة.

هل تفاجأ الحزب الشيوعي بالأحـــداث؟ إذا اعتمدنـــــا شهـــادة البرافـــدا فقـــط، سيكون الجواب بالإيجاب. عنوان المقالة هو «العمال يهزمون الجنرال». ومن الواضح أنه لولا التدخل الثوري للعمال ضد الانقلاب الملكي الأجبر زامورا وليس سانجورجو على الذهاب إلى المنفى. بكلام آخر، لقد ساعد العمال على حساب بطولتهـــم ودمهم، البورجوازية الجمهورية على التمسك بالسلطة. وتكتب البرافدا، وهـــي تتظاهر بعدم رؤيتها لذلك، «لقد قاتل الحزب الشيوعي ضد انقلاب الجناح اليمينـــي بطريقة لا يعطي بها ولو ظل من دعم للحكومة الحالية المضادة للثورة»

أن ما ينويه الحزب الشيوعي شيء، ولكن ما يدخل الآن في الحسبان هو نتيجة أعماله. لقد حاول الجناح الملكي للطبقات المالكة أن يزيح الجناح الجمهوري بالرغم مـــن أن الجمهوريين تجسموا الصعاب لئلا يستفزوا الملكيين. لكن البروليتاريا دخلت اللوحـــــة «العمال يهزمون الجنرال». الملكيون يذهبون إلى المنفى وتبقى البورجوازية الجمهورية في السلطة. كيف يمكن، في وجه هذه الحقائق، أن نفهم أن الحـــزب الشيوعـــــي لـــم يعط «ظلا من دعم للحكومة الحالية المضادة للثورة»؟

هل ينتج، مما قيل آنفا، أن على الحزب الشيوعي أن يغسل يديه من الصراع بيـــــــن الملكيين والبورجوازية الجمهورية؟ لو تم ذلك لكان

---

[108]- هزيمة الإضراب العام في كانون الثاني: في كانون الثاني نظم (FAI) انتفاضة في كاتالونيا شارك فيها البلاشفة اللينينيون وسحقها الجيش واغتيل منظميها.

[109]- الجنرال خوسين سانجورجو 1872–1936: الشهير بسبب دوره في مراكش 1927، قاد انتفاضة عسكرية ضد الجمهورية في آب 1932، وقد قام أحد المخبرين بإخبـــار آزانا وانهزمت الانتفاضة.

انتحارا، كما أظهرت تجربة الشيوعيين البلغار عام 1923[110]. كان يمكن لتدخل العمال في الصراع الحاسم ضد الملكيين أن لا يكون دعما مؤقتا لعدوهم، البورجوازية الجمهورية، فقط لو كانوا أقوياء مـــما يكفي لاستلام السلطة بأنفسهم. لقد كان البلاشفة عام 1917 أكثر قوة بكثير من الشيوعيين الاسبان عام 1932. لكن حتى البلاشفة لم يكن بمقدورهم استلام السلطة بأنفسهـــم في الصراع ضد كورنيلوف. وقد استمر كيرنسكي شهرين آخرين في السلطة بفضل انتصار العمال الكورنيلوفيين. دعونا نذكر مرة أخرى، أن فصائل البحارة البلاشفـة حمت قصر الشتاء التابع لكيرينسكي في وجه كورنيلوف.

لقد أظهرت البروليتاريا الاسبانية أنها قوية بما يكفي للتغلب على تمرد الجنـــرالات، لكنها ضعيفة جدا على استلام السلطة. في ظل هذه الشروط، ما كان يمكـــن للنضال البطولي للعمال إلاّ أن يقوي، ولو إلى حين، الحكومة الجمهورية والرعنـــاء الدين يستعيضون عن التحليل بالصفات الممهورة بالخاتم، هم وحدهم القـــادرون عن إنكار ذلك.

إن مصيبة البيروقراطية الستالينية هي أنها لا ترى في اسبانيا ولا في ألمانيا التناقضات الحقيقية في معسكر الأعداء، أي الطبقات الحية وصراعها. (فالفاشـــي) زامـــورا المتحالف مع الاشتراكيين (الفاشييـــن) يحل محل (الفاشي) بريمودي ريفيرا. ولا غرو أن يتفاجأ الستالينيون، باعتبارهم هكذا سياسة، بتدخل الجماهير في الصراع، بيـــن الملكيين والجمهوريين. لقد رمت الجماهير بنفسها في الصراع، بغريزتها السليمة، جارة الشيوعيين معها. وبعد انتصار العمال على الجنرالات ابتدأت البرافدا بتجميع حطـــام نظريتها لكي تلصق أجزاءها مع بعض ثانية وكأن شيئا لم يحدث. هذا هو المعنى الأساسي للتبجح الغبي الذي مارسته بأن الحزب الشيوعي لم يعط «ظـــلا من دعـــم» للحكومة البورجوازية.

إن الحزب الشيوعي، في الواقع، لم يعط دعما موضوعيا للحكومة فقط، بل لم يعـرف أيضا، كما يمكن أن يستشف من المقالة نفسها، كيف يميز نفسه ذاتيا عنها. بهذا الصدد نقرأ: «إننا لم ننجح في كل الخلايا أو في كل المنظمات الإقليمية في إظهار الوجه الحقيقي للحزب كما ينبغي وفي إبرازه في وجه مناورات الاشتراكيين الفاشيين الجمهوريين. الشيء الذي لو تم لأظهر أن الحزب لا يناضل فقط ضد الملكيين بل وضد الحكومة (الجمهورية) «التي تمثل غطاء للملكيين». من المعروف جيدا ما المقصود بكلمـــات «ليس في كل الخلايا»، «ليس في كل المنظمات».. الخ. في الكتابات الستالينيـــة. إنها مصممة لإخفاء جبن الفكر. عندما اعترف ستالين في 15 شبـــاط 1928 لأول مرة أن الكولاك لم يكونوا بدعة للمعارضة اليسارية، كتب في البرافـدا: «فـــي بعض المقاطعات وفي بعض الأقاليم...» ظهر الكولاك فلأنه لا يمكن الاعتـــراف بالأخطـــاء إلا أنها متأتية ممن يطبقون التعاليم، فهي لا يمكن أن تظهر إلاّ في «بعض المناطق» وبهذا فإن الحزب يساوي المجموع الحسابي لأقسامه الإقليمية.

إن المقطع الذي أوردناه للتو، يعني في الحقيقة، إذا تم تجريده من مراوغة البيروقراطية: لم يعرف الحزب، في صراعخ ضد الملكيين». كيف «يظهر وجهه» ولم يعرف كيف يبرز في وجه «الاشتراكيين الفاشيين» والجمهوريين. بكلام آخر: إنه لم يعـــط للحكومة البورجوازية والاشتراكية الديموقراطية دعما عسكريا مؤقتا فقط، بل لم يعرف أيضا كيف يقوي نفسه على حساب الحكومة في عملية الصراع.

إن ضعف الحزب الشيوعي – الناتج عن سياسة المنحرفين في الأممية الشيوعية – لم يسمح للبروليتاريا في الوصول إلى السلطة في العاشر من آب 1932. وقد اضطر، في الوقت نفسه، إلى المشاركة في الصراع فيه كالجناح اليساري للجبهـــة العامـــة المؤقتـــة، حيث كانت حيت كانت البورجوازية الجمهورية على يمينه. ولم نتس قيادة الائتلاف للحظة واحدة أن تظهر (وجهها) الخاص في لجم وكبح الجماهير، منتقلة، بعد الانتصار على الجنرالات إلى القتال ضد الشيوعيين. إن الستالينيين الاسبان، بقدر ما كان الأمر يتعلق بهم، لم يستطيعوا وفق شهادة الستالينيين الروس، أن يظهروا أن «الحزب يقاتل ليس فقط ضد الملكية بل وضد الحكومة الجمهورية» أيضا».

تلك هي عقدة المسألة. يعمل الحزب عشية الأحداث على صبغ أعدائه بلـون واحـــد. وفي حمأة المعركة تلون هو نفسه بلون العدو وضاع مؤقتا في جبهة الجمهوريين والاشتراكيين الديموقراطيين. ولا يمكن أن يندهش لهذا سوى من لم يفهم أصل الوسطيـــــة البيروقراطية. إن الوسطية البيروقراطية تعمل في النظرية (إذا أمكن استخدام هـــــذه الكلمة هنا) على حماية نفسها ضد الانحرافات الانتهازية بأن ترفض أي تفريق طبقـــــي وسياســـي: فهوفـــر Hoover وفون بابـــن Von Papen وفانـدرفلـد Vandervelde وغاندي Gandhi وراكوفسكي Rakovsky كلهم (خصوم للثورة) و(فاشيـــون) و(عملاء الامبرياليـــة)[111] ولكن لدى كل تغير مفاجئ في الأحداث، لدى كل خطر جديد، يضطـــر الستالينيون (في الممارسة) إلى دخـــول الصراع ضد عدو والركوع أمام «خصوم ثورة» و «فاشيين» آخرين.

فقد صوت الستالينيون في أمستردام في وجه الحزب لصالح قرار دبلوماسي وقح لا طعم له، اقترح الجنرال شوينايش Von Schoenaich

---

[110]- بقي الحزب الشيوعي البلغاري محايدا في أيلول 1923 عندما قام الرجعي تسانكوف بإسقاط حكومة ستامبولسكي «الفلاحية» وبعد فوات الأوان نظم الحزب الشيوعي انتفاضة مهلكة ضد تسانكوف وانسحقت.

[111]- هربرت هوفر 1874–1864: الرئيس الجمهوري للولايات المتحدة من 1929 – 1632

- فرانز فون باب 1879–1969: مستشار لألمانيا في حزيران 1932 ومهد الطريق لهتلر بحله حكومة الاشتراكية الديموقراطية في بروسيا وأصبح نائبا للمستشار هتلر في كانون الثاني 1933.

- أميل فاندر فيلدة 1866–1938: اشتراكي ديموقراطي إصلاحي بلجيكي كان رئيسا للأممية الثانية بين 1929–1936. وكان عضوا في حكومة الحرب أثناء الحرب العالمية الأولى ووقع معاهدة فرساي كممثل بلجيكا.

-موهنداس غاندي 1869–1948: قائد الحركة الوطنية التي أصبحت فيما بعد حزب المؤتمر الهندي. نظم معارضة جماهيرية للحكم الإنكليزي، لكنه أصرّ على وسائل المقاومة السلمية غير العنيفة والسلبية.

-كريتان راكوفسكي 1973–1941: شخصية قيادية في الحركة الثورية البلقانية قبل الثورة الروسية. أصبح عام 1918 رئيس السوفييت الأوكراني وعمل فيما بعد سفيرا في لندن وباريس. كان من أوائل قادة المعارضة اليسارية الروسية، نفي إلى سيبريا عام 1928 واستسلم عام 1934. كان واحدا من كبار المتهمين في محاكمة موسكو الثالثة حين حكم بالسجن لمدة عشرين عاما.

والماسينيون الفرنسيون والبورجوازي الهندي باتل Patel[112] الذي مثله الأعلى غاندي. وفي الريختساغ الألماني أعلن الشيوعيون فجأة أنهم على استعداد للتصويت لصالح رئيس، اشتراكي فاشـــي، لكـــي يمنعوا انتخاب رئيس، اشتراكي قومي، أي أنهم وضعوا أنفسهم بالكامل على أرضيــة (أهون الشرين). وفي اسبانيا، تبين أنهم عاجزون، في لحظة الخطر، عن معارضـــة البورجوازية الجمهورية. أليس من الواضح أن أمامنا ليس أخطاء عارضة وليـس في (بعض) الخلايا، إنما عيب متأصل في الوسطية البيروقراطية؟

لقد أعطى تدخل جماهير العمال في الصراع بين معسكري المستغلين، دفعا جديـا إلى الأمام للثورة الاسبانية. وقد وجدت حكومة آزانا نفسها مضطرة على إعطاء الأمر بمصادرة الملكيات الإقطاعية Monorial ، الإجراء الذي كان، قبل بضعة أسابيع، أبعد من مجرة التبان[113]. ولو لاحظ الحزب الشيوعي الفروقات بين الطبقات الحقيقية وتنظيماتهـــا السياسية، لو أنه فهم المسار الواقعي للأحداث، لو انه انتقد وكشف أعداءه علـى قاعدة أخطائهم الواقعية، إذن لرأت الجماهير أن الإصلاح الزراعي الجديد الذي قامـت به حكومة آزانا كان بتأثير سياسة الحزب الشيوعي ولقالت: يجب أن نمضي إلى الأمام وبعزيمة أكبر تحت قيادته.

ولو باشر الحزب الشيوعي الألماني في العمل على خط الجبهة الموحدة، بإصرار وثقة، تلك السياسة التي تتطلبها مجمل الوضع، لو انتقد الاشتراكيون الديموقراطيـــون ليـس بسبب «فاشيتهم» بل بسبب ضعفهم وترددهم وجبنهم في الصراع ضد البونابرتية ثـــم الفاشية، إذن لتعلمت الجماهير شيئا فشيئا ما عبر الصراع العام والانتقادات، ولالتفوا حول الحزب الشيوعي بحزم.

تقتنع الجماهير، بفعل السياسة الحالية للأممية الشيوعية، لدى كل انعطـــاف جديـد في الأحداث، أن أعداءها الطبقيين ليس فقط لا يعلمون ما كان قد توقعه الشيوعييـــن بل وإن الحزب الشيوعي نفسه يتخلى في اللحظة الحرجة عن كل ما كان قد لقنه لها. ولهذا السبب لا تنمو الثقة بالحزب الشيوعي، ولهذا يبرز الخطر، جزئيـا، فـــي أن الإصلاح الزراعي الضعيف الذي قام به آزانا سيصيب في خدمة البورجوازية وليس البروليتاريا.

يمكن للطبقة العاملة في ظروف مناسبة واستثنائية أن تنتصر حتى بقيادة سيئة. ولكـن الظروف الملائمة إلى حد استثنائي نادرة ويجب أن تتعلم البروليتاريا أن تنتصر في ظل ظروف أقل ملائمة فضلا عن ذلك، تمنع البيروقراطية الستالينية –كما تظهر التجربـــة في كل بلد وكما تؤكد أحداث كل شهر جديد– الشيوعيين من الاستفادة من الشروط الملائمة لتقوية صفوفهم ومن المناورة بفعالية والتمييز في مجموعات بين الأعداء وأنصاف الأعداء والقوى الحليفة، بكلام آخر، باتت البيروقراطية الستالينية العقبـة الداخليـة الأهم على طريق انتصار الثورة البروليتارية.

.39- وضع المعارضة اليسارية[114]

16 كانون الثاني 1932

إن أهم نتيجة للرحلة إلى كوبنهاغن كانت، بلا شك، اجتماع أعضاء المعارضة اليسارية من العديد من البلدان. وقد كانت النية الأصلية دعوة عدد من الرفـاق من المناطـــق المجاورة للدانمارك للاجتماع بغية اتخاذ إجراءات الأمن الضرورية. وفـــي الحقيقة، وصل أربعة وعشرون رفيقا (تأخر منهم اثنان) من بينهم موظفون بمسؤوليات عاليـة في بعض الفروع فكانت هناك ثلاثون مشاركا بمن فيهم المتعاطفون.

لو أخبر ستالين البوليس الرأسمالي عبر الراديو أن هناك (كونفرانسا تروتسكيا) يعقد في كوبنهاغن لكان ذلك كذبة. ذلك أن الاجتماع حصل بالمصادفة، وأن رحلتي إلى كوبنهاغـن فاجأت المعارضة اليسارية. وكانت الأعمال التمهيدية للكونفرانس في مراحلها الأولى. فلم يكن أي مجال لقبول مشروع نقاط برنامجية في كوبنهاغن. حتى الفروع الأوروبية لم تشارك بشكل كامل. ولم يكن لكل الرفاق المشاركين سلطة كاملة. فالكونفرانـس، للأسف، ولم يكن له أن ينعقد في مجرى الأحداث.

من نافل القول، على كل حال، أن الرفاق الذين جاؤوا استفـــادوا من هـذه الفرصـــة للتعرف على بعضهم البعض ولمناقشة المسائل الملحة والحارقة عبر تبادل الآراء غير الرسمي. ولا شك أن هذا الاجتماع المرتجل والسريع وغير المتوقع لأربعة وعشرين من البلاشفة اللينينيين من سبعة دول أوروبية، سيسجل كإنجاز هام في تاريخ كتلتنا العالميـــة.

لقد نمت المعارضة اليسارية إلى حد لا بأس به فالكوادر يعرفون تاريخ المعارضة اليسارية في مختلف البلدان ويتوجهون باستقلالية في

---

[112]- مؤتمر أمستردام في آب 1932: مؤتمر اقترحه الستالينيون بديلا لنشاطات الجبهة الموحدة للطبقة العاملة ضد الحرب.

- الجنرال بول فون شونايش 1886–1954: ضابط بحرية يونكري تحول إلى داعية سلام، كتب مقالات جيدة عن الاتحاد السوفياتي في الصحافة الألمانية.

- الماسونيون الفرنسيون والمحافل الماسونية الأوروبية الأخرى بتقاليدهم الليبرالية شكلوا حلقة وصل بين الحركة الاشتراكية والجناح اليساري في البرجوازية، كانوا، برأي تروتسكي، أداة لإفساد الحركة الاشتراكية.

- فالا بهباوي باتل 1877–1950: ممثل البرجوازية الهندية وعضو للحكومة التي تشكلت بعد إعلان استقلال الهند.

[113]- مونويل آزانا دياز 1880–1940: رئيس وزراء الحكومة الجمهورية الإسبانية بين 1931–1936، وكان رئيس الجمهورية من أيار 1936 حتى استقالته في باريس 1939.

[114]- ذهب تروتسكي إلى كوبنهاغن في تشرين الثاني 1932 لإلقاء محاضرة في الذكرى السنوية للثورة الروسية، وقد ذهب يأمل بأن يسنح له البقاء في الدنمارك، لكن أجبر على العود إلى تركيا.

وقد كان وجود عدد من أعضاء المعارضة اليسارية في كوبنهاغن خلال زيارة تروتسكي، فرصة لعقد اجتماع غير رسمي ناقشوا فيه شؤون مجموعات المعارضة اليسارية الأوروبية، حسب وصف تروتسكي، وقد كتب تروتسكي هذه الرسالة لدى عودته إلى تركيا وأرسلت إلى كل فروع المعارضة اليسارية.

المسائل النظرية والسياسية، الشيء الذي يجسد تجربة سياسية لا بأس بها. لقد قاربت المشاورات التي دامت بضعة أيام بين رفاقنا بقوة، وسيكون لهذا الأمر نتائج مثيرة في كل عملنا المستقبلي. نستطيع أن نقول بالتأكيد، ودون الوقوع ضحايا التفاؤلية الرسمية، أن كل من شارك في المشاورات غادرها بزاد جديد من الثقة.

المعارضة الإسبانية

قضية واحدة ألقت بظلها على جلسة تبادل الآراء: إنها وضع المعارضة اليسارية الاسبانية. إذا كان يمكن ملاحظة بعض التباينات في المعارضة اليسارية العالمية بخصوص أمراض وأخطاء المعارضة الإسبانية، فقد تم في مجرى الجلسة إلقاء هذه التباينات جانبا بشكل تام أمام الشعور بالاهتمام المشترك. جميع المشاركين كانوا كليا مع الرأي بوجوب أن يكون لنا نقاش شامل ومفتوح مع الرفاق الإسبان وبوجوب أن يكون هذا النقاش غير مقتصر، هذه المرة، على قادة المعارضة، ذلك أن إطلاع أعضاء الفروع بالمسائل المتجادل حولها وحده يمكن أن يضع المعارضة الإسبانية على الطريق الصحيح.

سيكون من الإجرام أن نغمض أعيننا أكثر من ذلك عن الوضع الحقيقي أو أن نخفف من مخاطره، فإذا لم ننجح في توضيح كل المسائل المتجادل حولها بشكل تام وفي الوقت المناسب عبر نقاش مفتوح –وقد تراكم الكثير من المسائل– فعندئذ قد يقسمنا ضغط الأحداث إلى فرق مختلفة.

للأسف لم يتمثل الفرع الاسباني في جلسة تبادل الآراء. وتبين في اللحظة الأخيرة أن العقبة كانت ظرفا طارئا، لكنني أمتلك حرية التعبير عن ثقتي بأن الرفاق القياديين الإسبان، لو خففوا من انغلاقهم في إقليميتهم وأبدوا اهتماما أكثر في تنظيمهم العالمي، لوجدوا طريقهم إلى جلسة كوبنهاغن دونما صعوبة.

ولكن هذا بالتحديد هو عيب المعارضة الاسبانية، ذلك أن قادتها عزلوا التنظيم عن الحياة الداخلية والصراعات للفروع الأخرى، حارمينه بالتالي من الاطلاع على التجربة العالمية التي لا بديل لها. لكن عندما كان يضطر الفرع الاسباني عبر موقعه الرسمي، بعد كل شيء، إلى الانخراط في المسائل الدولية، فإن قادته لا يتأثرون بتجربة الفروع الأخرى ولا بالرأي العام لتنظيمهم الخاص، تاركين أنفسهم ينقادون وراء علاقات شخصية وميول وضغائن. فغالبا ما استعاضوا عن التحليل الماركسي للوضع ولاختلاف الآراء –لنقل ذلك بصراحة– بتحليل عاطفي ونفسي بورجوازي صغير. هكذا كان الوضع في حال الاتحاد الكاتالوني (مورين) وحيث حلت ثقة عدد من الرفاق البرشلونيين «بالعلاقات الشخصية الودية» ولمدة طويلة، محل الصراع المبدئي ضد النزعة القومية البورجوازية الصغيرة كابحين بذلك تطور المعارضة اليسارية في فترة حاسمة الأهمية. وهكذا كان الوضع في حالة لاندو الذي أدرجته مجلة الكومونيزم بشكل يدعو للمفاجأة كأحد المتعاونين بعد أن أبدى لاندو فقدانه للكفاءة، وبقي في صفوف الأقلية وأخيرا ترك المعارضة اليسارية. وهكذا كان الوضع في اختلافات الرأي داخل الفرع الفرنسي، حيث وافق الإسبان بالسر على أن أفكار وطرائق روسمر ليست جديرة، لكنهم دعموا روسمر على الملأ، بشكل غير مباشر إن لم يكن بشكل مباشر، على اعتبار أن روسمر «محبب لهم» أكثر من خصومه. وكذا كان الحال في قضية ميل الذي اعتقد الرفاق الاسبان أنه من الممكن اختياره كممثل عنهم في السكريتاريا العالمية بعد أن انفضحت بالكامل لا جدارته السياسية. كل هذه المسائل، لم نسمع من مدريد أو برشلونة ولو تلميحا واحدا عن أسس مبدئية أو تفسير سياسي.

وهذه الملامح نفسها ظهرت بشكل لا يقل حدة وألما في الحياة الداخلية للتنظيم الإسباني. فالأزمة التي اندلعت في القيادة لم تفاجئ فقط المعارضة العالمية بل والفرع الاسباني أيضا. حيث استقال أعضاء اللجنة المركزية الواحد بعد الآخر وتركزت القيادة كلها، في حقيقة الأمر، في يدي لاكروكس وحده. ثم، وبشكل مدهش أيضا، تبين أن الرفيق لاكروكس كان خارج اللجنة المركزية، وفي الواقع خارج المعارضة لبعض الوقت، في حين انتقلت القيادة إلى برشلونة، لماذا؟ على أي أساس تقوم اختلافات الرأي؟ ما أساس الأزمة؟ لا أحد يعلم، على الأقل لا أحد يعلم خارج دائرة ضيقة من المدبرين.. إن هكذا نظام مرفوض بالمطلق في تنظيم ثوري، ولا يمكن أن يجلب للتنظيم سوى الهزائم. إن الرفاق الإسبان بامتناعهم عن المشاركة في الصراع في القضايا المبدئية وإحلالهم التقييمات الشخصية محل الاختلافات السياسية في الآراء، يقعون ضحية الصراعات الشخصية التي لابد منها وضحية «ثورات القصور».

إن هكذا تعسفا إراديا في السياسة كان مستحيلا لو أن اللجنة المركزية للفرع الاسباني عملت تحت إشراف تنظيمها. لكن الأمر ليس كذلك، ففي دفاعهم، أشار عدد من قادة المعارضة الإسبانية أكثر من مرة إلى المستوى السياسي والنظري غير العالمي لأعضاء المعارضة الاسبانية. ومن الواضح أن هذا الاعتراض باطل! ذلك أن مستوى التنظيم الثوري يرتفع بشكل أسرع بقدر ما يعمل أكثر على مناقشة كل المسائل، وبقدر ما يقلل قادته من محاولة التفكير والعمل والسلوك كأوصياء عليه.

إن الشرط الأول لديموقراطية الحزب هو في تقديم معلومات شاملة. وأولها يجب أن يكوّن الوثائق العالمية حول المعارضة الإسبانية، يجب أن تتعهد اللجنة المركزية الإسبانية بإيصال هذه الوثائق إلى كل أعضاء المعارضة، وعلى كل بلشفي لينيني إسباني أن يدرس ويفكر ويحاكم ليس فقط التجربة مع ميل بل وجوهر أزمة اللجنة المركزية الاسبانية نفسها فعبر هذا سيتعلم أعضاء المعارضة الاسبانية أكثر بكثير مما سيتعلمونه من مقالات مجردة عن المركزية الديموقراطية وعن العلاقات الصحيحة مع «الكائنات البشرية...».

.40- مشاكل المعارضة اليسارية الإسبانية[115].

كانون الثاني 1932

لقد خلقت الثورة الاسبانية شروطا موضوعية ملائمة بصورة استثنائية لتطور سريع للشيوعية. لكن نقص الكوادر، مهما يكن تدريبهم جعل من الصعوبة بمكان على المعارضة اليسارية وعلى الحزب الرسمي أيضا، الاستفادة من ظرف تاريخي حقيقي. وبالرغم من أن الفرع الاسباني يفوق عددا من الفروع الأخرى من حيث العدد –الشيء الذي يجب أن يعزى للنهوض الثوري– فإن تماسكه الأيديولوجي وطابع قادته يمثلان صورة غير مرضية إطلاقا.

ولكي نفهم أسباب هذا، يجب أن نحدد أهم أخطاء الكوادر القائدة في المعارضة الإسبانية. في كاتالونيا، حيث البروليتاريا تقدم وسطا طبيعيا لنمو سريع لتأثير البلاشفة اللينينيين، أضاع الرفاق القياديون الوقت بأسلوب غير مبرر، فبدلا من الخروج علنا تحت رايتهم الخاصة حتى ولو كنوى صغيرة، مغمغوا المبادئ خلال أحرج شهور الثورة، منخرطين أولا في دبلوماسية مع منمّق الكلام الريفي ذي النزعة القومية البورجوازي الصغير مورين، ثم متعلقين في أذياله.

ولم يكن الوضع أحسن حالا في بقية أسبانيا، حيث فشلت المعارضة اليسارية، وهي تتجاهل الحزب الرسمي وتستبدل العاطفة الثورية بالتعليم الماركسي للكوادر، فشلت لوقت طويل في توضيح التمييز الضروري بينها وبين مجموعات المعارضة اليمينية.

وليس أقل ضررا واقع أن الرفاق القياديين وقعوا تحت تأثير أسوأ مظاهر التقليد الثوري الاسباني وأداروا ظهورهم للتجربة العالمية، وفي حين أنهم أعلنوا لفظيا تضامنهم مع المعارضة اليسارية، دعموا، في الواقع، بشكل مباشر أو غير مباشر، كل المشوشين والتاركين (لاندو، روسمر، ميل.. الخ).

وفي مسألة **تكتل أم حزب مستقل**، اتخذ الفرع الاسباني في كونفرانسه الأخير موقفا، أفل ما يقال عنه أنه مراوغ، عندما أيدوا وضع قائمة مرشحين خاصة بهم في الانتخابات البرلمانية وغيرها. وقد ظل هذا القرار المعاكس لسياسة المعارضة اليسارية والذي لم يكن معدا له في الممارسة بأي حال، مظهرا أفلاطونيا، ولكن، مع ذلك، مؤديا.

لقد مضى قادة المعارضة اليسارية الاسبانية بعيدا على طريق الاغتراب عن البلاشفة اللينينيين، إلى حد أنهم وجدوا من الممكن تغيير اسم تنظيمهم. لقد وضع الرفاق الاسبان أنفسهم، باتخاذهم اسم «الشيوعيين اليساريين» - وهو اسم خاطئ بوضوح من الناحية النظرية وفي تناقض مع المعارضة اليسارية العالمية مقتربين في الوقت نفسه من الاسم الذي اتخذته (رابطة لينين) ومجموعة روسمير... الخ[116]. لن يصدق أي ثوري حقيقي بأنه تم اتخاذ هذه الخطوة الهامة بالمصادفة دونما سبب سياسي. وفي نفس الوقت، ما من ماركسي سيوافق على السياسة التي لا تعلن بوضوح عن أهدافها في المسائل المبدئية، بل تحتمي في الدبلوماسية والمناورة.

إن مطالبة المعارضة الإسبانية بأن تنفتح الكونفرنس العالمي أمام كل المجموعات التي تعلن التزامها بالمعارضة اليسارية، بمن فيهم المنشقون والمطرودون، تظهر كم ابتعدت وما تزال عن التطور الحقيقي لليسار العالمي، وكم هو ضئيل مقدار استيعابها للمنطق الداخلي لهذا اليسار.

في حين يتهم الرفاق الاسبان الفروع الأخرى بالسياسات التنظيمية الخاطئة، دون محاولة تفسير هذه الاتهامات، فقد أثبتوا، في نفس الوقت، الخطأ الكلي لطرائقهم الخاصة. فقد قاد الصراع الذي اندلع فجأة بين مجموعتين في اللجنة المركزية، الفرع الإسباني إلى حافة الانقسام. حيث أن التنظيم ككل تفاجأ تماما. إذ لم تكن قادرة أي من المجموعات المتنافستين، حتى الآن، على صياغة الأسس المبدئية لصراعهم الحاد[117].

إن الفرع الاسباني عاجز عن التطور أكثر على أساسه الإيديولوجي الحالي. آخذين بعين الإعتبار حقيقة أن تصحيح الأخطاء التي ارتكبت وخلق تنظيم راسخ المبدأ ومنظم بأسلوب ثوري في اسبانيا لا يمكن إلاّ بعد عمل طويل ومنتظم، فإن الكونفرنس التمهيدي يفترض الإجراءات الضرورية التالية:

أ- يجب ترجمة كل الوثائق العالمية الهامة في قضايا الخلاف واطلاع كل أعضاء الفرع عليها. كما يجب وقف عملية إخفاء الحقائق، أعني هنا بالتحديد موضوع ميل، حيث لم يكتف قادة الفرع الاسباني بدعم شخص غير مبدئي في مواجهة المعارضة العالمية، بل يدافعون، حتى

---

[115]- بدون توقيع، مقطع من «المعارضة اليسارية العالمية ومهامها وطرائقها» الذي بدأه تروتسكي في كانون الثاني 1932 وتم تبنيه بشكل موسّع في المؤتمر التمهيدي العالمي الـ ILO (المعارضة اليسارية العالمية) في باريس 4–8 شباط 1933.

[116]- رابطة لينين: منظمة أسستها روث فيشر وآركاري ماسلو وهوغر أوربانز إثر طردهم من الحزب الشيوعي الألماني عام 1927، اتخذت هذه المنظمة مواقف قريبة من المعارضة اليسارية حتى عام 1930 وعندما تولى أوربانز قيادتها طرد كل المتعاطفين مع المعارضة.

[117]-... نضالا مريرا: استقال لاكروكس من السكرتاريا العامة للمعارضة اليسارية الاسبانية في آذار 1932، وفي تشرين الثاني تفجر صراع بينه وبين نن بخصوص مسائل لم تكن واضحة لكل المراقبين. بدأ لاكروكس بإصدار نشرة تدافع عن انتقادات تروتسكي لقيادة الفرع الاسباني. في نيسان انحلت مجموعة لاكروكس وهو نفسه طرد من الفرع الاسباني بسبب «اختلاسه للأموال».

الآن، عن الأخطاء التي ارتكبوها سامحين لأنفسهم التلميح غير المناسب إطلاقا ضد المعارضة العالمية.

بـ- يجب أن تتخلى كلا المجموعتين المتنافستين داخل اللجنة المركزية عن فكرة الانقسام اللامبدئي والإجراءات التنظيمية، وأن يتم اتخاذ التدابير الضرورية بحيث يجـــري النقاش حول مسائل الخلاف عبر القنوات الطبيعية ويشارك فيها كل أعضاء التنظيم بلا استثناء.

ج. يجب أن يجري النقاش الداخلي على صفحات نشرة تضمن هيئة تحريرها الحيـاد تجاه كلا المجموعتين المتنافستين (عبر لجنة تحرير مشتركة).

د- يجب وضع كل القضايا المبدئية لليسار العالمي على جدول الأعمال وعدم السمـاح للميول والكراهية والتملقات الشخصية بالحلول محل المواقف السياسية الواضحـــة.

هـ- يجب أن يفتح النقاش الشامل الباب لكونفرانس جديد على مستـــوى الأمـــة. إن الكونفرانس التمهيدي يفرض على السكرتارية متابعة التطور الداخلي للفرع الإسباني باهتمام خاص، ومساعدته على تنفيذ الإجراءات آنفة الذكر وإجراءات مناسبة أخرى بالانسجام مع مهام وطرائق المعارضة اليسارية[118].

.41- رسالة للرفيق لاكروكس

25 آذار 1933

الرفيق العزيز لاكروكس[119].

لقد كان لمراسلاتي مع الرفيق نن طابعا سياسيا وليس شخصيا. وبما أن نقاط الاختلاف كانت تتكرر في كل مرحلة جديدة، رأيت من الضروري جعل أهـــم مقتضيـــات رسائلي معه في متناول كل أعضاء الفرع الإسباني، فبدون صياغة رأي جماعي متنور على أساس المنهج الماركسي، ما من تقدم للفرع الإسباني

ولم أنشر هذه المراسلات بغرض مساعدة إحدى المجموعتين ضد الأخرى، كما لم يكن ذلك عندما استخدمت نفس الأفكار والطرائق التي انتقدت بها الرفيق نن. لقـــد اتخـــذ صراع مجموعتيكما طابعا شخصيا حاقدا وحادا. إن ذلك غير مبرر، ولا يمكن نقاشه بشكل طبيعي إلا بربط اختلافات الأمـــــس على أســـاس المنهـــج الماركســـي Methodology فعلى هذه الأسس، وعليه فقط، يسرني أن أتعاون معك كما مع الرفيق نن.

تحياتي الشيوعية الخالصة.

.42- رسالة إلى كل أعضاء المعارضة اليسارية الاسبانية:

24 نيسان 1933

الرفاق الأعزاء:

تلقيت مؤخرا نسخة من الرد المكتوب للجنة المركزية البرشلونية إلى اللجنة التنظيميـــة من أجل عقد كونفرانس مضاد للفاشية على مستوى الأمة. وهذه الرسالة، المؤرخة 5 نيسان 1933، وثيقة تجب دراستها من جانب كل عضو من المعارضـــة الاسبانية يكرس نفسه لقضية الشيوعية.

ما هو الهدف من عقد مؤتمر عالمي مضاد للفاشية أو كونفرانس مضاد للفاشيـة على مستوى الأمة؟ لقد طرحت المعارضة اليسارية (البلاشفة اللينينيون) هذه المسألة بالتفصيـــل في وثائق ومواد مؤتمر أمستردام المعادي للحرب وفي عدد من التصريحات التالية: لقد عزلت البيروقراطية الستالينية الطليعة البروليتارية الشيوعية بسياسة خاطئة جعلت الجبهة الموحدة للعمال أمرا مستحيلا، وبشكل خاص جبهة موحـدة معاديـــة للفاشيـــة والحرب. وبغية التغطية على إفلاسه، ينظم الكومنتـــرن، من حيـــن لآخر، حفـــلا تنكريا تقليدا للجبهة الموحدة. فيعمل على جمع مجموعات من العمال الشيوعييـــن مـــع أشخاص عاجزين وسلميين وديموقراطيين يساريين وغيرهم، مصورا أن هـــذه اللجـــان والكونفرانسات والمؤتمرات المسرحية المحضة على أنها «جبهة موحدة للجماهير». لقد شاركنا نحن أنفسنا مرة في مؤتمر أمستـــردام، لكن

---

[118]- قال تقرير ما بعد المؤتمر الذي كتبته السكرتارية العالمية (ونشر في النشرة الداخلية للـ CLA العدد 11 بتاريخ 1933/3/31) إن مندوب مجموعة نن أخبر المؤتمر أنه يوافق «من حيث المبدأ» على قرارات المؤتمر و«يتحفظ بخصوص المسائل التي تعالج تطبيق هذه المبادئ الأساسية» وبتحفظ على طرائق المعارضة اليسارية العالمية ومواقفها من مجموعات روسمر وغيره وعلى وجهات نظرها بخصوص تغيير اسم الفرع الإسباني وعلى تقييمها لسياسة الفرع الاسباني وطرائقه والإجراءات التنظيمية التي تبناها فيها يتعلق بالمسألة الإسبانية. ولفتت السكرتارية العالمية الانتباه إلى الكونفرنس التمهيدي قد حذر من أن «أسلوب الموافقة المبدئية المجردة والتحفظ على تطبيقها العملي يمثل أخطر نوع من الدبلوماسية في التعامل مع المسائل السياسية الجادة» الشيء الذي يمكن أن يؤدي إلى نفي المبادئ نفسها وإلى احتمال الانشقاق عن المعارضة اليسارية الأممية.

[119]- حاول نن فر صراعه مع لاكروكس أن يبرهن أن تروتسكي دعم لاكروكس، وموقف تروتسكي من الصراع الكتلوي واضح من هذه الرسالة.

فقـــط لكي نفضـــــح هذه الخديعة لافتين بذلك انتباه العمال الشيوعيين إلى النهج الصحيح. ولا حاجة للقول إن موقفنا إزاء المؤتمر المعادي للفاشية القادم هو الشيء نفسه.

وقد اتخذت اللجنة المركزية في برشلونة موقفا من هذه المسألة، معاكسا تماما للبلاشفة اللينينيين، فرسالة الخامس من نيسان تُعلم اللجنة التنظيميـة، بشكـــل احتفالـــي، أن المعارضة اليسارية انضمت إلى «الجبهة الموحدة» كما لو أن هناك فعلا جبهة موحدة وليس مسخرة سياسية جبهة موحدة.

وتكرر رسالة اللجنة المركزية في برشلونة العبارات العامة في كيف يمكن تحقيق الجبهة الوحدة ضد الفاشية بالرغم من وجود الاختلافات، مساعدة بذلك الستالينيين علـــى تعمية الحقيقة. مهما يكن من أمر، فإن الفكرة الأولية الواردة في الرسالة صحيحة فيما يخص التنظيمات البروليتارية الجماهيرية، لكنها تفقد معناها بما يخص الأفراد البورجوازيين والسلميين والكتاب الديموقراطيين وغيرهم. أكثر من ذلك، فإن رسالة اللجنـــة المركزية في برشلونة تصرِّح بأنه: «يمكن أن يكون السلمي معاديا للحرب كما يمكن للشيوعي الثوري أن يكون وحتى أكثر. فمن المنطقي أن ينوجد هؤلاء الناس في جبهـــة موحدة ضد أولئك المعادين لهم».

من الصعب أن يصدق المرء أن هذه الكلمات كتبت بيد أناس يعتبرون أنفسهم ماركسيين أو لديهم أدنى تصور عن سياسة لينين وعن قرارات المؤتمرات الأربع الأولى للكومنترن، دون أن نذكر عقدا من عمل المعارضة اليسارية الأممية، وبشكل خاص بيانهـــا في مؤتمر أمستردام[120].

كيف يمكن لسلمي أن يكون أكثر معاداة للحرب من الشيوعي الثوري؟ فالنظرية الماركسية والتجربة السياسية تعلمنا أن السلمية هي أداة في يد الامبريالية. فالسلميون يشتمـون الحرب إبان السلم، ولكن ما أن تندلع الحرب حتى يستسلمون لها دونما ضجيـــج، تحت ضغط عجزهم وعزلتهم، وليس قليلا يتحولون إلى تابعين لها. الشيء نفسه ينطبق على النضال ضد الفاشية.

إن هدف سياسة الجبهة الموحدة هو تقريب العمال السنديكاليين والاشتراكيين الديموقراطيين من العمال الشيوعيين (ومن الشيوعية) عبر عملية من الصراع المشترك ضد العدو الطبقي. أما وجود أفراد معزولين من المعسكر البورجوازي فهي مسألة ذات أهمية من الدرجة العاشرة. إذ أن غالبيتهم سيدعمون العمال بثقة أكبر كلما اتُبعت سياســـــة الجبهة الموحدة البروليتارية بشكل صحيح وكلما توحدت الجماهير بقوة أكبر. ولكن التخلي عن السياسة الجماهيرية لصالح السعي وراء أفراد لهم أسماء كبيرة، هو أســـوأ نوع من المغامرية والشعوذة السياسية.

وعوضا عن أن تفضح اللجنة المركزية في برشلونة فكرة التحالف بين الديموقراطية الستالينية والأفراد البورجوازيين، فإنها تعبر عن ثقتها بأن اللجنة التنظيمية ترى مهام المؤتمر بالضبط كما تراها اللجنة المركزية نفسها، ولذلك فإن اللجنة المركزية تعرض (بســـرور) «تعاونها المخلص». هل هذا دبلوماسية؟ وإذا كان كذلك، فإنه من النـــــوع الذي يخدع فقط أصدقاءنا وشركاءنا في الفكر. ثم لماذا ينغمس الماركسيون في الديبلوماسية في مسألة من هذا النوع تحتاج إلى الحد الأقصى من الوضوح؟ كلا. إن المرء مجبر على التوصل إلى أن اللجنة المركزية في برشلونة تحتل موقعا معاكسا تماما للماركسيـة في المسألة الكبيرة في السياسة البروليتارية إن صراع الرفاق القياديين الاسبـــان ضد التصورات الأساسية ومبادئ المعارضة اليسارية الأممية (البلاشفة اللينينيين) لم يبدأ البارحة، ويمكن القول دون مبالغة بأنه نادرا ما اتخذ الرفاق القياديون الاسبان موقفا صحيحا من قضية إسبانية أو عالمية هامة طوال الثلاث سنوات الماضية. الأخطاء ممكنة بالطبع، وهي في تنظيم يافع أمر لابد منه. ولكن المهم أن يتعلـــم التنظيـــم، والأهم قيادته، من الأخطاء. عندئذ يمكن للتنظيـــم أن يتقـدم. والشـــيء المؤسف هنا أن الرفاق في اللجنة المركزية للمعارضة الإسبانية لا يسمحون للتنظيم بمناقشـــة المسائل، وبدلا من ذلك يستبدلون، في كل مناسبة، التهجمات الشخصية والاتهامـــات الصغيرة والتافهة بالنقاش المبدئي للاختلافات. إن للصراع بين مجموعة نن ومجموعة لاكروكس مغزاه بالطبع، لكن الصراع الذي تخوضـــه مجموعـة نن وفيرســـن Fersen وغيرهم، ضد المعارضة اليسارية الأممية ككل[121]. والذي ينتهك أهم مبادئ الماركسية لدى كل خطوة، هو أكثر أهمية بمائة مرة.

يحدث في أي صراع تكتيكي منازعات شخصية واتهامات متبادلة: وهذا شـــــيء لا بد منه. وعلى كل حال، فإن الثوري الذي يحدد موقفه السياسي على أســـاس النـــــزاعات الشخصية والاتهامات ومشاعر التعاطف والكراهية، لا خير فيه البتة، فهكذا أسلوب جدير براديكاليين بورجوازيين صغار عاجزين عن الارتقاء إلى مستوى المبادئ الماركسية. لقد سمَّمت الشجارات البورجوازية الصغيرة، حتى الآن، قيادة المعارضة الاسبانية مانعة إياها من توجيه نفسها الوجهة الصحيحة وعاملة على شلّ تطور التنظيم ككـــل، بالرغم من الظرف الموضوعي الملائم بصورة استثنائية. وإذا كانت قواعد المعارضة الاسبانية، البلاشفة اللينينيون الحقيقيون، تريد الخروج من هذا المـــأزق، فعليهـــم أن يكنسو ركام الشجارات الشخصية ويتفحصوا الخلافات السياسية كخلافات سياسية. ومن الضروري دراسة التاريخ الكامل لهذه الخلافات لكن من الضـــروري قبـــل كل شيء، وضع وثيقة الخامس من نيسان 1933 اللامبدئية الصادرة عن اللجنة المركزية في صلب النقاش. ومن الضروري أن يفهم كل عضو في المعارضة الاسبانية أن القضية الأساسية في الصراعات لا تنتهي بين برشلونة من جهة وباريس وبروكسيل وبرلين وفيينا ونيويورك... الخ من جهة أخرى، هي واقع أن اللجنة المركزية في برشلونـــة تتخذ موقفا معاديا للماركسية وترفض بثبات التخلي عنه.

إنني أتوجه بهذه الرسالة إلى كل أعضاء الفرع الاسباني، لأن محاولاتي، طوال الثلاث سنوات المنصرمة، للوصول إلى تفاهم مشترك مع

---

[120]-«بيان المؤتمر المضاد للحرب في أمستردام» كان قد كتب في 1932/7/25 ليصار إلى إقراره في المؤتمر في آب، وقد وقعته عدة فروع ويمكن العودة إليه كاملا في كتابات تروتسكي 1932.

[121]- ل. فيرسن الاسم الحركي لأنريك فرناندز سذون الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للمعارضة اليسارية الاسبانية. دعم نن وكان مندوب مجموعته إلى الكونفرنس التمهيدي العالمي الذي انعقد في بداية 1933.

الرفاق القياديين الاسبان لم يـــأت منها، حتى الآن، شيء.

مع تحياتي الشيوعية.

.43- السلوك غير المقبول للرفيق نن

10 آب 1933

تستثير الرسائل والوثائق الجديدة الصادرة عن اللجنة المركزية للفرع الاسباني بقيـادة الرفيق نن، شعورا بالسخط. والأكثر إدهاشا هو نبرة هذه الرسائل. إنها مليئة بأشنـــع التهم والتهجمات دونما ظل من منطق. وفي حالات كثيرة لا تتعدى كونها شتائـــم. إن هذه النبرة وحدها تشهد إلى أي مدى يبتعد نن وأصدقاؤه المقربين عن روح الرفاقية الثورية والشعور بأدنى مسؤولية شخصية وحدهم الناس الذين يفتقدون أي انضباط داخلي يمكن أن يكتبوا بهذه الطريقة، خصوصا بما يتعلق بالتنظيم الذي يعتبرونـــه في أعمق قناعاتهم أجنبيا ومعاديا.

وقد تبين بُطلان «التهم» التي وجهتها مجموعة نن كثيرا من المرات. لقد كـــان أحـــد ممثلي هذه المجموعة في المؤتمر التمهيدي حيث تسنى له عرض كل إدعاءاته وتهمه. وماذا كانت النتيجة؟ لقد **أدينت سياسة نن وأصدقائه من قبل كل فروع المعارضـــة اليساريـــة الأممية دون استثناء.** كان يمكن أن يعتقد المرء أن هذه الواقعة وحدها ستجعل نن وأصدقاءه متعقلين قليلا، أضعف الإيمان. لكنهم بدلا من ذلك ضاعفوا مرتيـــن وثلاثـــــا الشتائم التي وجهوها من مركزهم ضد المعارضة اليسارية الأممية ككل.

أود الآن أن أطرق لنقطة واحدة فقط: تتجرأ مجمـــوعة نن اتهام المعارضـــة الأممية بأنها –بشكل غير مبرر كما يبدو– طردت روسمر ولاندو وغيرهم من صفوفها. على كل حال، تشهد الوثائق والوقائع على عكس ذلك بالضبط: أراد أن يطرد بعض الرفـــاق الذين لا يروقون له من العصبة، وبقي في العصبة كأقلية صغيرة وبعد ذلك ترك العصبة. وكنت، شخصيا، في تراسل دائم مع نن بمـــا يتعلق بهذا الحـــدث. وقـــد أطلعتـــــه على كل الإجراءات التي كنت قد اتخذتها لمنع روسمر من الإقدام على خطوة من الواضح أنها خاطئة، ونابعة ليس من اعتبارات ثورية بل من نزوة شخصية. وبالرغـــم مـــن صداقته مع روسمر، كتب نن إليّ: «إن المنطق ليس إلى جانب روسمر». ولم يتقـــدم نن بأي شيء على الإطلاق، ردا على أسئلتي المتكررة التي وجهتها لأعلم إذا كان من غير الممكن أن يقوم نن بخطوات إضافية لكبح روسمر عن النهـــج الخاطئ، معترفـــــا بذلك أن كل الإجراءات الممكنة قد استنفذت.

وكذا كان بخصوص لاندو. إذ لم يقترح أحد طرده، كما هو معروف، وكـــــل مـــــا في الأمر أنه طلب منه الاشتراك في كونفرانس الفرع الألماني المدعو إليه ديموقراطيـــا... وقدمت حلا كان في لهجته ومحتواه تصالحيا إلى حد بعيد، **والتزم نن به «كليا وبدون تحفظ» في كتابته.** ونعلم بعد ذلك أن لاندو «**طرد**» غالبية اللجنة المركزية في الفرع الألماني ورفض المشاركة في الكونفرانس، حيث كان سيبقى في أقلية لا أمـــل فيهـــــا.

وقد شارك نن، كعضو في المكتب الأممي، في ذلك الوقت، في كل سياستنا ويتحمـــل مسؤولية كاملة عنها. والآن، ودون تقديم حقائق أو وثائق، يلقي بالمسؤولية فيمـــا يخص لاندو وروسمر على المعارضة اليسارية الأممية، ناسيا أو متناسيا مسؤوليته هو. كيف يمكن وصف هكذا سلوك؟

دعونا نقبل للحظة، أن نن توصل فيما بعد إلى أن سلوكنا إزاء روسمر ولاندو وغيرهم كان خاطئا. كان عليه إذن أن يقول: «**نحن** ارتكبنا كذا وكذا، وعلينـــا تصحيحـــه بالطريقة كذا وكذا» ولكان ذلك سلوكا مشروعا تماما. من المهم في الأمر أن تقول بوضوح **كيف** يجب تصحيح (الأخطاء). إن لمجموعتي روسمر ولاندو منشوراتهما وتطوران وجهات نظر تختلف أكثر فأكثر من موقفنا في بعض المسائل الأساسية. إذا انطرحت قضية روسمر ولاندو ليس كمناورة غير نظيفة بل كقضية بهدف عملي، هو عـــودة روسمر ولاندو إلى المعارضة اليسارية الأممية، فما كان يتوجب على الرفيق نن هو تطوير وجهات نظرهما واستخلاص النتيجة المناسبة. هل تنسجم هذه المواقف مع **مواقـــف البلاشفة** اللينينيين؟ هل المطلوب منا تقديم تنازلات معينة. وما هي بالضبـــط؟ أم على العكس، يجب أن يتخلى روسمر ولاندو عن مواقف وطرائق معينة للانضمام إلـــى المعارضة اليسارية؟ إن طرح المسألة بهذا الشكل الجاد والمبدئي وفي نفس الوقت، العملي، كان يمكن أن يتيح الفرصة للنقاش وربما لاتخاذ هذه الخطوة العملية أو تلـــــك. إن طريقة نن في متابعة هذه المسألة تظهر أنه غير مهتم بأية نتيجة عملية مهما تكن: كل مـــا يريده هو ذريعة مصطنعة من أجل دسائس على المعارضة اليسارية الأممية.

والأسوأ في الأمر، هو أن الرفيق نن يحتاج لسلوك هذه الطريقة غير الصادقة لكي يغطي على تذبذباته السياسية وعلى سلسلة كاملة من أخطائه التي منعت المعارضة اليساريـــة من إحتلال الموقع الذي أتاحته لها شروط الثورة الاسبانية. والآن، وكنتيجة لسياســـــة نن الخاطئة من الأساس، فإن الفرع الإسباني لا يقوى بل يضعـــف. وللأسـف، لا يقود نقاش الوسائل السياسية مع الرفيق نن إلى شيء. إنه يراوغ ويغـــرق فـــي الدبلوماسية والمراوبة أو، والأسوأ، يردّ على الحجج السياسية التي يقدمها الرفاق **بدسائس** شخصية.

أسألكم أن تلفتوا انتباه كل الفروع إلى هذه الرسالة، بدءا بالفرع الاسبانـــي. وأرجـــوا لفت انتباه كل رفاقنا في أمريكا الجنوبية إلى هذه الرسالة. إنهم يقتربون من التنظيـم الأممي أكثر، وسيعملون في ساحاتهم القومية بنجاح أكبر كلما اقتنعوا بسرعة أكبر بخطأ وخطر سياسة الرفيق نن.

تحيات شيوعية.

ل. تروتسكي.

ملحق

كنت قد فرغت من كتابة هذه الرسالة عندما أطلعني أصدقائي على وثائق الرفيــق **نن** وغيره يردون فيها على رسالة الرفيقين شاختمان Shachtman وفرانك Frank[122] وعلى اعتبار أن تلك الرسالة قد كتبت في برينكبو فإن الرفيق نن يكتشف خديعـــــة، «كوميديـــا» الخ. وهو يقصد أنني أختبئ خلف موقعي الرسالة. ولمـــاذا أختبئ خلفهمـــا؟ ليس خوفا من نن وشركائه، لأنني عبرت عن نفسي أكثر من مرة، ودون مواربة كما آمل، بخصوص «سياسة» نن. والآن بمقدور الرفاق الاطلاع على مراسلاتي معــه. وليس لدي أدنى مصلحة في إخفاء رأيي بأن نشاط الرفيق نن ضار. ولماذا أختبـــئ خلف ظهريّ شختمان وفرانك؟ وحتى ولو كانت الرسالة بمبادرة مني، فلن يغير ذلك من مضمونها شيئا. المهم في الأمر هو الوقائع والحجج التي في الرسالة، وهي ساحقـــة بالنسبة لنن. والحقيقة الآن، أن مسؤولية المبادرة وكتابة الرسالة تقع كليا وحصـرا على عاتق الرفيقين عليها. ولم أعلم بنص الرسالة إلاّ عندما قرأته. ثـــم بـــأي حق يعمل نن وشركاؤه على إظهار شختمان وفرانك كعاجزين عن الحكم بهذه الخدع والتعبير عنه بمبادرتهم الخاصة؟ وإذا كان لدى نن شك ما في الأهمية الدقيقة لهذه الرسالة، فليسأل الفرعين الأمريكي والفرنسي وهيئاتهما المحلية والمركزية. وأنا واثق أنه سيلتقي ردا واضحا وإن كان غير مريح بعض الشيء.

بأساليبه في الخداع البالي، يدافع نن عن دسائسه الشخصية مقتطفا تعليقـــا لي – وهو تعليق بالكاد يكون شخصيا– إن التعبير عن السياسة يجري عبر الناس، لكـــــي ينســى، فقط أن الناس يمكن أن يضعوا كلا السياسة الجدية والرديئة، وأن كل سياسة تختـــار الناس الملائمين لها وتدربهم بما يوافقون.

.44- بصدد الدخول إلى الحزب الاشتراكي الاسباني.

1 تشرين الثاني 1934

لم أتلق بعد أية وثائق حول الأحداث الأخيرة في اسبانيا بشكل عام، وحــول الـــــدور الذي لعبه فرعنا. ولكن الخط العام للتطور يكفي للاستنتاج بأنه كان يجب على رفاقنا الاسبان الانضمام إلى الحزب الاشتراكي هناك في مستهل التمايز الداخلي الذي ابتـــدأ يجهز ذلك الحزب للصراع المسلح[123]. لو تم ذلك لكان موقعنا في الوضع الاسبانـــي، اليوم، أفضل بكثير.

.45- عواقب الإصلاحية البرلمانية[124].

إن عجز البرلمانية في ظل أزمة النظام الرأسمالي بالكامـل، واضـــح إلى حـــد أن الديموقراطييـــن المبتذلين في معسكـــر العمـــال (**رينـــودل** Reaudel فروســـارد Frossard **ومقلديهم**)[125] لا يجدون حجة واحدة يدافعون بها عن معتقداتهم المتحجرة. وهم يتمسكون برضى بكل هزيمة وكل إخفاق على طول الطريـــق الثـــوري. إن مسار فكرهم هو التالي: إذا كانت البرلمانية المحضة لا تقدم مخرجا فإن الطريق الثـــوري ليس بأفضل حالاً. إن هزائم العصيانات المسلحة في النمســـا واسبانيـــا هي الآن، بالطبع، حجتهم المفضلة. في الحقيقة يتجلى الإفلاس النظري والسياسـي للديموقراطييـــن المبتذلين بوضوح أكبر في انتقادهم الطريق الثوري مما في دفاعهم عن طريق الديموقراطية المتفسخة.

ما من أحد قال أن الطريق الثوري يضمن النصر بشكل أوتوماتيكي، فليس الطريق بذاته هو الحاسم بل الحاسم هو تطبيقه الصحيح، والتوجه الماركسي في مجرى الأحـــــداث، والتنظيم الثوري، وثقة الجماهير المكتسبة عبر تجربة طويلة، وقيادة جريئة وحاذقة. إن قضية كل صراع تعتمد على لحظة وظروف الصراع وعلى علاقة القـــوى. إن الماركسية أبعد ما تكون عن فكرة أن الصراع المسلح هو الطريق الثوري الوحيد، أو أنـــه وصفة عامة تصلح في كل الظروف. إن الماركسية، بشكل عام، لا تعرف الأصنام سواء كانت برلمانية أو عصيانية. فلكل شيء

---

[122]- ماكس شختمان 1903–1972: أحد قادة الحزب الشيوعي الأمريكي وأحد مؤسسي الحركة التروتسكية. انشق عن حزب العمال الاشتراكي عام 1940 بسبب اختلافات تخص الدفاع عن الاتحاد السوفياتي وانضم عام 1958 إلى الحزب الاشتراكي.

[123]-... كان يجب أن ينضم إلى الحزب الاشتراكي، بعد عام 1933 بدأ التجذر يتجلى ببروز أجنحة يسارية في الأحزاب الاشتراكية الديموقراطية القديمة. اقترح تروتسكي دخول المعارضة اليسارية الأممية مؤقتا إلى الأحزاب الاشتراكية لتتصل بالثوريين الشباب الجدد. وهذا ما عرف بالانعطاف الفرنسي لأنه طبق أول ما طبق في فرنسا 1934. رفضت المعارضة اليسارية الاسبانية تنفيذ هذه السياسة وبالنتيجة اندمجت الشبيبة الاشتراكية الاسبانية بالشبيبة الستالينية عام 1935.

[124]- مقطع من «فرنسا إلى أين؟». الهزيمة التي يشير إليها تروتسكي هنا هي سحق عمال المناجم النمساويين.

[125]- بيير رينودل 1871–1935: أحد قادة الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي الفرنسي ومن المجموعة الجديدة التي طردت في نهاية 1933.

- لويس أوليفر فروسارب 1889–1946: أحد قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي الذين أيدوا انتسابه للكومنترن 1920 وصار عندها الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي. استقال من الحزب الشيوعي عام 1923 وعاد إلى الحزب الاشتراكي ثم استقال منه ليصير وزيرا للعمل. وكان وزيرا في حكومة الجبهة الشعبية ثم في أول حكومة شكلها بيتان.

زمانه ومكانه. هناك شيء واحد يمكن قوله فـــي البداية:

إن البروليتاريا الاشتراكية لم تستول على السلطة عبر الطريق البرلماني في أي مكان على الإطلاق حتى أنها لم تقترب منها عبر هذا الطريق بعد.

ليس لحكومـــات شيدمان وهيرمان ميلـــر وماكدونالد، أي جامع مع الاشتراكيـــــة[126]. فالبورجوازية سمحت للاشتراكييـــن الديموقراطييـــن وللعماليـــن Labouristes باستلام السلطة فقط شرط أن يدافعوا عن الرأسمالية ضد أعدائهم. وقد نفذوا هذا الشرط على أتم وجه. إن الاشتراكية محض البرلمانية وضد الثوريـــة لم تعط إطلاقا في أي مكان وزارة اشتراكية. إنها نجحت في إبراز خونة كريهين استغلـــوا حزب العمـــال لإعداد مهـــن وزارية ميليـــران بريـــان Brand فيفياني Viviani لافال Laval باولبونكور Paulboncour ماركيه Marquet[127]

من جهة أخرى تظهر التجربة التاريخية أن الطريق الثوري يمكن أن يقود إلى استيلاء البروليتاريا على السلطة في روسيا 1917، في ألمانيا والنمسا 1918 وفي اسبانيا 1930. في روسيا توفر الحزب البلشفي الثوري الذي كان يستعد للثورة على مدى سنـــوات وعرف، بحكمة، كيف يستولي على السلطة. أمّا الأحزاب الإصلاحية في ألمانيـــا والنمسا واسبانيا فلم تستعد للثورة ولم تقدها بل قاست منها.

لقد ارتعبت هذه الأحزاب من السلطة التي صارت بين يديهـــــا ضـــد رغبتهـــا، فسلمتها برضى خاطر للبورجوازية، مزعزعة، بهذه الطريقة، ثقة البروليتاريا بنفسها ومن ثم ثقة البورجوازية الصغيرة بالبروليتاريا. لقد هيأت الأحزاب شروط نمو الرجعية الفاشية وسقطت ضحايا لها.

قلنا، إثر كلاوزفيتز، أن الحرب الأهلية هي استمرار السياسة بوسائل أخرى. الأمـــر الذي يعني أن نتيجة الحرب الأهلية تعتمد بمقدار الربع، إن لم نقل العشر، على تطـــور الحرب الأهلية نفسها ووسائلها التقنية وقيادتها محض العسكرية، وبمقدار ثلاثة أرباع، إن لم نقل تسعة أعشار، على الإعداد السياسي.

ممّ يتألف هذا الإعداد السياسي؟ يتألف من التماسك السياسي للجماهير، ومن تخلـــــص الجماهير من الآمال الذليلة في رحمة وكرم وإخلاص «مالكي العبيد الديموقراطيين» ومن تثقيف الكوادر الثورية الذين يعرفون كيف يتحدون الرأي العام الرسمي وكيف يواجهون البورجوازية بعُشر الحقد الذي تواجه به البورجوازية الكادحيـــن. دون هذا المزاج، ستجري الحرب الأهلية، عندما تفرضها الشروط – **ودائمـــا ينتهي الأمر بأن تفرضها**– في ظل شروط غير ملائمة للبروليتاريا، وستعتمد على الكثير من الصدف، وحتى عندئذ، في حالة الانتصار العسكري، يمكن للسلطـــة أن تفلـــت من يدي البروليتاريا. إنه أعمى كل من لا يرى أن الصراع الطبقي يقود حتما إلى الصراع المسلح. ولا يقل عمى من لا يرى خلف هذا الصراع المسلح ونتيجته، كل السياســـة السابقة للطبقات المتصارعة.

إن الذي انهزم في النمسا لم تكن طريقة العصيان بل الماركسية النمساوية وفي اسبانيـــا الاصلاحية البرلمانية اللامبدئية.

لقد جرت الأحداث في اسبانيا مجرى مغايرا ولكن أسباب الهزيمة كانت هي نفسهـــــا من حيث الأساس. لقد شارك الحزب الاشتراكي، كالمناشفة، والاشتراكيين الثوريين الروس، في السلطة البورجوازية الجمهورية لمنع العمال والفلاحين من الوصـــول بالثورة إلى نهايتها. فعلى مدى سنتين في السلطة ساعد الاشتراكيون البورجوازيون في التملص من الجماهير عبر فتات من الإصلاحات الزراعية والاجتماعية والقومية. وضد أكثر شرائح الشعب ثورية، استخدم الاشتراكيون القمع.

والنتيجة كانت مضاعفة، ازدادت الفوضوية السنديكالية، التي كان يمكن أن تـــذوب كالشمع في حرارة الثورة لو أن حزب العمال اتبع نهجا صائبا، قوة لفّت حولها الشرائح المناضلة من البروليتاريا. ومن القطب الآخر، نجحت الديماغوجيا الكاثوليكيـــــة الاجتماعية من

---

[126]- فيليب شيدمان 1865–1939: أحد قادة الجناح اليميني في الاشتراكية الديموقراطية الألمانية ، دخل حكومة الأمير ماكس في مقاطعة بادن في أوكتوبر 1918 وترأس مع ايبرت عملية سحق ثورة تشرين الثاني الألمانية عام 1918. قاد شيدمان الاشتراكية الديموقراطية الألمانية داخل الرخستاغ حتى عام 1933.

- هيرمان مولر 1876–1931: أخر مستشار اشتراكي ديموقراطي في ألمانيا 1928–1930، كان الموظف الذي رفض إعطاء تروتسكي تأشيرة دخول إلى ألمانيا.

[127]- ألكسندر ميلران 1859–1943: أصبح عام 1899 أول اشتراكي يشارك في وزارة بورجوازية، طرد من الحزب الاشتراكي الفرنسي على اثر ذلك. تقلد عدة مناصب وزارية وصار رئيسا للجمهورية الفرنسية من 1920–1924.

- أرستيد بريان 1862–1932: طرد من الحزب الاشتراكي الفرنسي لقبوله منصبا في حكومة رأسمالية. كان رئيسا للوزراء عدة مرات وممثلا لدى عصبة الأمم.

- رينية فيفياني 1863–1925: سياسي فرنسي واشتراكي أصيل، انضم إلى حكومة كليمنصو عام 1906 وبالتالي طرد من الحزب الاشتراكي. دخل حكومة بريان عام 1909 وصار رئيسا للوزراء لدى اندلاع الحرب العالمية الأولى وسقطت حكومته عام 1915 ثم أصبح وزيرا للعدل في حكومة كليمنصو.

- بيير لافال 1883–1945: كان اشتراكيا في شبابه، وبين ربيع 1934–1935 وزيرا للخارجية، تفاوض بخصوص الحلف السوفياتي–الفرنسي. كان رئيسا للوزراء من 1935–1936 ومرة أخرى عام 1942 حيث اتبع سياسة تعاون مع ألمانيا. أعدم بعد الحرب بتهمة الخيانة العظمى.

- جوزيف بول بونكور 1873–1972: اشتراكي يميني حتى 1931. كان وزيرا في حكومة ساروت بلوم وكان مندوب الأخير إلى جنيف عاد إلى الحزب الاشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية.

- أدرين ماركيه 1884–1955: عمدة بوردو وأحد أعضاء الاشتراكيين الجدد، أصبح عام 1934 وزيرا للعمل في حكومة الوحدة الوطنية وترك الجدد فيما بعد واتجه إلى اليمين أكثر.

الاستفادة، بمهارة، من سخط الجماهير من الحكومة الاشتراكية البورجوازية.

وعندما فقد الحزب الاشتراكي سطوته أزاحته البورجوازية عن السلطة وشنت هجوما على كل الجبهة وكان على الحزب الاشتراكي أن يدافع عن نفسه في ظل شروط غير ملائمة نهائيا، شرط تشكلت بفعل سياسته السابقة نفسها. فللبورجوازية، كالعادة، دعم جماهيري من اليمين. كما رفض القادة الفوضويين السنديكاليون، الذين ارتكبوا، في مجرى الثورة، كل الأخطاء الجديرة بهؤلاء المشوشين المحترفين، دعم العصيان الذي يقوده «السياسيون» الخونة. فلم تأخذ الحركة طابعا عاما وبقيت متقطعة. ووجهت الحكومة ضرباتها إلى أقسام مبعثرة من العمال. وانتهت الحرب الأهلية التي فرضتها الظروف بهزيمة البروليتاريا.

ليس من الصعب أن نستخلص من التجربة الاسبانية استنتاجات مضادة لمشاركة الاشتراكيين في حكومة بورجوازية. هذا الاستنتاج بنفسه لا جدال فيه ولكنه غير كاف على الإطلاق. إن «الراديكالية» المزعومة للماركسية النمساوية ليست، بأي معنى، أفضل من الوزارية الاسبانية Ministerialism . فالخلاف بينهما تقني وليس سياسي. كلاهما ينتظر البورجوازية أن تبادله «الولاء» بـ«الولاء» وكلاهما قاد البروليتاريا إلى الكارثة.

لم تكن الطرائق الثورية هي التي هزمت في النمسا أو اسبانيا، بل الطرائق الانتهازية في الوضع الثوري. وشتان بين الاثنين!

لن نتوقف هنا عند سياسة الأممية الشيوعية في فرنسا واسبانيا. ونعيد القارئ إلى مصنفات (الحقيقة La Verité) وإلى سلسلة من كراريس السنوات الأخيرة. ففي وضع ملائم بصورة استثنائية وجد الحزبان الشيوعيان النمساوي والاسباني أنفسهما، هما المقيدان بنظرية «المرحلة الثالثة» و«الاشتراكية الفاشية» ...الخ، محكومين بعزلة تامة: فبتهميشهما طرائق الثورة لصالح سلطة «موسكو» أغلقا الطريق على سياسة ماركسية حقيقية، سياسة بلشفية حقيقية. إن قوة الثورة الأساسية هي في كونها تخضع كل الطرائق والمذاهب إلى امتحان سريع لا يرحم. والعقوبة تلي الجريمة بشكل مباشر تقريبا.

إن مسؤولية الأممية الشيوعية في هزائم البروليتاريا في ألمانيا والنمسا واسبانيا لا مثيل لها. ليس كافيا إتباع سياسة «ثورية» بالكلمات، فلابد من سياسة **صحيحة**. ما من أحد وجد، حتى الآن، سراً آخر للنصر.

46- السلبية إزاء الأحداث الكبيرة

16 كانون الثاني 1934

... المُقلق أكثر هو سلبية رفاقنا الاسبان (ما خلا استثناءات مشرفة) خلال الأحداث الثورية الكبيرة. ولطالما انتقدنا قادة الفرع الاسباني لكونهم تشربوا روحا جبانة ومحض دعائية. بمقدور كل رفيق، ويجب عليه، أن يعيد قراءة النقاشات العالمية مع القيادة الاسبانية. وإليكم ما يجعل ذلك ذا أهمية: لقد عبر الرفاق الاسبان بصراحة عن معاداتهم للانعطاف الفرنسي. وهو تأكيد جديد على أن «صلابتهم» في هذه المسألة ليست إلاّ واجهة لسلبية صحفية ودعائية محضة. ومن جهتنا، سنكرر دائما: إن أعظم الأخطاء المرتكبة في كل الفروع ارتكبها الفرع الاسباني، الذي لم يدرك ضرورة الانضمام إلأى الحزب الاشتراكي في الوقت المناسب في بداية الإعداد للنضال المسلح...

47- رسالة إلى رفيق[128]

18 تشرين الأول 1935

أيها الرفيق.

يتضمن العدد الأخير من لاباتالا La Batalla[129] بيان المؤتمر التوحيدي لحلف العمال والفلاحين مع الشيوعيين اليساريين. ألفت انتباهكم إلى أحد المقاطع التي يتكلم عن الانتساب العالمي.

يدعي الحزب الجديد التزامه بـ (مكتب لندن) للوحدة الاشتراكية الثورية (LAG)[130] إن ذلك طبيعي بالنسبة لسبانيا كما كان طبيعيا بالنسبة لهولندا. ففي هاتين الحالتين كانت الغالبية تنتمي للـ (LAG) «يعمل موضوعيا لإعادة بناء وحدة القوى الثورية على أساس جديد» ماذا تعني هذه الـ «موضوعيا»؟ يمكن للمرء أن يقول أن البروليتاريا مرغمة **موضوعيا** على المضي في طريق الثورة. ويكون، بذلك، يشير إلى قوانين التطور الرأسمالي. لكن كيف يمكن التكتم عن نفس الضرورة «الموضوعية» بالنسبة لتنظيمات دعاوية صغيرة؟ إن كل

---

[128]- ينطلق تروتسكي في كتابته هذه من خطأ في الترجمة. فالعبارة التي وردت في التقرير العالمي لحزب العمال للتوحيد الماركسي ترجمت «يعمل موضوعيا لإعادة بناء وحدة القوى الثورية» في حين كان يجب أن تترجم «الذي هدفه هو العمل من أجل إعادة بناء وحدة القوى الثورية».

[129]- لاباتالا هي صحيفة حزل العمال للتوحيد الماركسي الصادرة باللغة الاسبانية.

[130]- مكتب لندن للأحزاب الاشتراكية الثورية: كان يسمى سابقا تجمع العمال العالمي (IAG) وهو رابطة رخوة لأحزاب وسيطة غير منتسبة إلى الأممية الثانية ولا الثالثة وفي الوقت نفسه ضد تشكيل أممية رابعة. ومن بين المنتسبين إليه الـ SAP الألماني وحزب العمال المستقل البريطاني وحزب العمال للتوحيد الماركسي الاسباني وحزب العمال والفلاحين الاشتراكي الفرنسي.

معنى وجود هذه التنظيمات هو في سعيها الذاتي: ما هي برامجها؟ وما هو هدفها؟ إن هذه المقاييس الذاتية هي التي تحدد كليـــا الدور الذي **يمكن** أن تلعبه هذه التنظيمات في الحركة العمالية.

لكن هذه المسائل الحاسمة بالتحديد تبقى بلا جواب. فهم يتكلمون فقط عن «وحـــدة ثورية على أساس جديد» لكن ما يهمنا هو معرفة ما هو هذا «الأساس الجديد». هل هو أساس الـ SAP أم أساس الماركسية الثورية والأممية الرابعة؟ إن صراعا مرا يأخـذ مجراه في الحزب الهولندي حول هذه المسائل وكلما تأخر الحزب الاسباني الجديد في تعيين صيغِه في هذا النقاش، كلما كان الصراع الذي سيشمل حتمـا التيـارات المتناقضـــة، أكثر مرارة وتدميرا. ليس لنا إلاّ أن نؤكد بطريقة وديّة على الحاجة إلى الدقة السياسية والنظرية بخصوص مستقبل الحزب الاسباني الجديد.

.48- حزب العمال للتوحيد الماركسي POUM

كانون الثاني 1936

بعد نوسانات لا تعد ولا تحصى إلى اليمين وإلى اليسار، اندمج التنظيم الاسباني للشيوعيين اليساريين الذي كان دائما تنظيما مشوشا، مع الاتحاد الكاتالوني التابع لموريـــن في حزب «التوحيد الماركسي» على برنامج وسطي. وقد تضللت بعض دورياتنا بهذا الاسم فكتبت عنه كما لو أنه يقترب من الأممية الرابعة. ما من شيء أكثر خطورة من أن يبالغ المرء في تقدير قواه معتمدا على.. خيال ساذج. إن الواقع لـــن يمتنـــع بذلك من أن يعيد المرء إلى صوابه بخشونة!

تنقل الصحف في اسبانيا، أن جميع الأحزاب «اليسارية» سواء البورجوازية منها أو العمالية صاغت حلفا انتخابيا على أساس **برنامج** مشترك، لا يختلف بطبيعة الأشياء عـــن برنامج الجبهة الشعبية الفرنسية وكل البرامج الزائفة من نفس النمط. فهنا نجد «إصلاح منبر الضمانات الدستورية» بالإضافة إلى دعم ثابت «لمبدأ التخويل» (!) وكذلـك «تحرير العدالة من جميع تأثيرات النظام الاقتصادي والسياسي» (تحرير العدالـــة الرأسمالية من تأثير رأس المال!) والكثير من هذا النوع. وينص البرنامج على رفض تأميم الأرض من قبل الأعضاء الجمهوريين البرجوازيين في الحلف ولكن «بالمقابـل» وبالتوازي مع الوعود الرخيصة المعتادة لصالح الفلاحين (قروض، أسعار عالية للمنتجات الزراعية.. الخ) يطالب (بمعافاة (!) الصناعة) وحماية الصناعة الصغيـــرة والتجار الصغار. ثم يلـي ذلك «السيطرة على البنوك» التي لابد منها، الشيء الذي ينتهي –نظرا لأن الجمهوريين البورجوازيين يرفضون سيطرة العمال، حسب نـص البرنامج– إلى السيطرة على البنوك... من قبل أصحاب البنوك أنفسهم، بواسطـــة وكلائهـم البرلمانيين أمثال آزانا وأشباهه من الأسياد. وأخيرا سيتم إرساء السياسة الخارجيـــة لإسبانيا بالتوافق مع (مبادئ وطرائق عصبة الأمم) هل نسينا شيئا؟ وقـع علـى هذه الوثيقة المشينة حزبين بورجوازيين يساريين، الحزب الاشتراكي والاتحاد العـام للعمل (.U.O.T) والحزب الشيوعي (بالطبع!) والشبيبة الاشتراكية (شيء مهم جدا) والحزب السنديكالي (بستانا) وأخيرا (حزب العمال للتوحيد لماركســي) (خوان أندريـــد)[131].

لقد كان جميع هذه الأحزاب على رأس الثورة الاسبانية خلال سنوات نهوضها، وعملت كل ما بوسعها لخيانتهـــا ودوسها بالأقدام. الجديد هو توقيع حزب موريـــن – نـــن–أندريد. لقد تحول (الشيوعيون اليساريون) الاسبان إلى مجرد ذيـل للبورجوازية (اليسارية). من الصعب تصور انحطاط أكثر خزيا!

نشر منذ بضعة أشهر في مدريد كتاب أندريـد **البيروقراطية الإصلاحية والحركة العمالية** الذي يتضمن إلى جانب مقتطفات من ماركس وانجلز ولينين وغيرهم، تحليلا لأسباب انحطاط البيروقراطية العمالية. وقد أرسل خوان أندريد كتابه لي مرتين وكل مـــرة بإهداء حار، حيث يدعوني (قائده ومعلمه). إن هذه الواقعة، التي لم تكن لتثير بـــي سوى السعادة في ظروف أخرى، تضطرني الآن إلى الإعلان بشكل حازم وعلى الملأ، بأنني لم أعلم أحداً إطلاقا **الخيانة السياسيـــة.** وليس سلوك أندريد شيئا آخر ســـوى **خيانة للبروليتاريا لصالح التحالف مع البورجوازية.**

من المناسب في هذا السياق أن نذكر أن (الشيوعيين اليساريين) الاسبان كما يشير اسمهم بالضبط، ظهروا لدى كل فرصة مناسبة كثوريين أصلاء، لقد أدانوا بعنف، خصوصـــا، البلاشفة اللينينيين الفرنسيين لدخولهم الحزب الاشتراكي. إطلاقا! ولا فـــي أي ظرف! الدخول المؤقت إلى تنظيم سياسي جماهيري لخوض صراع لا يساوم في صفوفـه ضد القادة الإصلاحيين لصالح راية الثورة البروليتارية يكون انتهازية. ولكـــن أن تصل إلى تحالف سياسي مع قادة الحزب الإصلاحي على أساس برنامج خادع بوعي ويعمل على تضليل الجماهير والتغطية على البورجوازية، فهذا شجاعة! هل يمكن أن يكـــون هناك تتفيه أكثر أو تعهير أكثر للماركسية؟

إن حزب العمال للتوحيد الماركسي عضو في مكتب لندن «للأحزاب الاشتراكية الثورية» المعروف (IAG سابقا) وتقع قيادة المكتب في يد فينر بروكوي Fenner Brockway سكرتير حزب العمال المستقل ILP[132] وسبق أن كتبنا أنه، بالرغم من الميول السلمية عتيقة الزي والتي لا

---

[131]- سنديكاليو آنجيل بستانا هم الجناح اليميني من الاتحاد القومي للعمل.

- كان خوان أندريد أحد قادة شبيبة الحزب الشيوعي الاسباني قبل طرده منه وانضمامه إلى المعارضة اليسارية. قطع مع المعارضة اليسارية في نفس الوقت الذي قطع معها نن وصار أحد قادة حزب العمال للتوحيد الماركسي.

[132]- فينر بروكوي: خصم للأممية الرابعة وسكرتير مكتب لندن. كان أحد قادة حزب العمال المستقل البريطاني الذي تأسس عام 1893. لعب هذا الحزب دورا نافذا في إنشاء حزب العمال البريطاني حيث انتسب إليه وشغل عموما موقع الجناح اليساري منه. طرد من حزب العمال عام 1931 واقترب لعدة سنوات من الستالينية. وكان انتسابه في منتصف الثلاثينات إلى تجمع العمال العالمي AG وعاد أخيرا إلى حزب العمال.

شفاء منها كما يبدو، لدى ماكستون[133] وغيره، فـــإن حزب العمال للتوحيد الماركسي اتخذ موقفا ثوريا مشرفا في مسألة عصبة الأمم ومقرراتها. وكل منا قرأ بمتعة عددا من المقالات الممتازة في القائد الجديد New Leder وقد رفض حزب العمال المستقل، أثناء الانتخابات البرلمانية الأخيرة، أن يقدم دعما انتخابيـــا للعماليين، بالتحديد لأن الأخيرين دعموا عصبة الأمم. لقد كان هذا الرفض بذاتـــه خطأ تكتيكيا. فحيثما كان حزب العمال المستقل عاجزا عن تقديم مرشحيه الخاصيـن، كان عليه أن يدعم المرشح العمالي ضد مرشح التوري. لكن هذا شيء عـــارض. على كل حال، حتى الكلام عن أي (برنامج مشترك) مع العماليين كان مستبعـــدا، كان يجب أن يربط الأمميون الدعم في الانتخابات مع فضح زحف الاشتراكيين الوطنيين البريطانيين أمام عصبة الأمم و«مقرراتها».

إننا نسمح لأنفسنا بطرح السؤال التالي على فينر بروكوي: فقط ما هو هدف هذه الأممية التي هو سكرتيرها؟ فالفرع البريطاني من هذه الأممية يرفض إعطاء حتى مجرد دعم انتخابي للمرشحين العماليين إذا هم دعموا عصبة الأمم. والفرع الاسباني يتوصل إلى تحالف مع الأحزاب **البورجوازية** على برنامج دعم برنامج عصبة الأمم. أليس هذا هو الحد الأقصى في حقل التناقضات والتشوش والإفلاس؟ ليست ثمة حرب بعد، ولكن فروع أمميـــة لندن تشد من الآن في اتجاهات متعاكسة تماما. ما الذي سيحدث لها عندما تندلع الأحداث المشؤومة؟

لكن دعونا نعود إلى الحزب الاسباني (للتوحيد الماركسي) مع البورجوازيـــة. لقـــد حاول الشيوعيون اليساريون الاسبان أندريه نن وخوان أندريد أكثر من مرة تفادي نقدنا لسياستهم التصالحية باستشهادهم بنقص فهمنا (للشروط الخاصة) في اسبانيـــا. هـــذه هي الحجة المعهودة التي يلجأ إليها كل الانتهازيين. في حيـــن أن الواجب الأول للثوري البروليتاري الأصيل يكمن في ترجمة الشروط **الخاصة** لبلده إلى اللغـــة العالمية للماركسية المفهومة حتى خارج نطاق بلده الخاص[134].

لكن لا داعي اليوم لهذه الحجج النظرية. إن حلف قادة الطبقة العاملة الإسبانيـــة مـــع البورجوازية اليسارية لا ينطوي على أي شيء (قومي) ولأنه لا يختلف بقليل أو كثير عن «الجبهة الشعبية» في فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والبرازيل والصين. إن حزب العمال للتوحيد الماركسي يتبع بخنوع نفس السياسة التي فرضها المؤتمر السابع للكومنترن على كـــل الفروع باستقلال تام عن (خصوصياتها القومية)[135] والفرق الحقيقي الوحيد في السياسة الاسبانية يكمن هذه المرة فقط في حقيقة أن أحد فروع أممية لندن قد التزم أيضا بشكل رسمي بحلف البورجوازية. الشيء الذي يسيئها كثيرا. من جهتنا، نحـــن نفضـــــل الوضوح. وسينوجد في إسبانيا، بلا شك، الثوريون الأصلاء الذين سيفضحـــون بلا رحمة خيانة مورين ونن وأندريد وشركاهم، ويضعون الأساس للفرع الاسباني للأممية الرابعة!

.49- مهام الأممية الرابعة في اسبانيا.

12 نيسان 1936

لقد أصبح الوضع في اسبانيا ثوريا مرة ثانية.

إن تطور الثورة الاسبانية يجري بوتيرة بطيئة، ولهذا كان للعناصر الثورية فترة طويلة بما يكفي من الزمن لكي تتشكل وتحشد الطليعة حولها ولكي تتأهل لمهمتها في اللحظـــة الحاسمة. ويجب أن نقول الآن بصراحة، أن الشيوعيين اليساريين الإسبان فوتـــوا هذه الفترة الملائمة جدا، وظهروا على أنهم ليسوا، بأي حال، أفضل من الخونة الاشتراكيين و(الشيوعيين) ولم يكن السبب نقصا في التحذير، بقدر ما كان خطيئـــة أندريـــه نن وخوان أندريد وغيرهما. فلو اتبع (الشيوعيون اليساريون)، كفرع الأممية الرابعة، سياسة صائبة لكانوا اليوم على رأس البروليتاريا الاسبانية. لكنهـــم بدلا من ذلـــك تبالدوا Vegetate في التنظيم المشوش التابع لمورين، دونما برنامج ودونما آفاق ودونما أي مغزى سياسي. إن العمل الماركسي في اسبانيا لا يمكن أن يبدأ إلاّ عبر إدانة شديدة لكامل سياسة أندريه نن وخوان أندريد التي كانت ولا تزال ليس فقط خاطئة بل وإجراميـــة.

ماذا يعني إزاحة الرئيس زامورا؟ إنها تعني أن التطورات السياسية قد دخلت، مـــرة أخرى، مرحلة حادة. لقد كان زامورا، لنقل، قطب توازن الأنساق الحاكمة. ولعـــب، في ظروف مغايرة، نفس الدور الذي لعبه هندنبرغ في ألمانيا لفترة من الزمن. أي حين وضعت الرجعية (حتى النازية) من جهة، والاشتراكيين الديموقراطييـــن من جهة أخرى آمالها فيه.

إن البونابرتية الحديثة هي التعبير عن أحدّ التناقضات الطبقية في فترة لم تصل بعد هذه التناقضات إلى الصراع **المكشوف.** وقد تجد البونابرتية نقطة ارتكازها في حكومة شبـــه برلمانية، ولكن قد تجدها أيضا في رئيس (فوق الأحزاب) الشيء الذي يعتمد حصـــرا على الظروف. لقد كان زامورا ممثل التوازن البونابرتي. وقد قام احتدام التناقضـــات إلى حالة، سعى فيها كلا المعسكرين الأساسيين أولا للاستفادة من

---

[133]- جيمس ماكستون 1885–1946: القائد الرئيسي لحزب العمال المستقل في الثلاثينات. قادته نزعته السلمية إلى الإشادة بدور شامبرلين في ميونخ عام 1938.

[134]- في بحثها عن تبرير لسياستها، يشير مورين ونن إلى النظام الانتخابي الاسباني الذي يجعل من الصعب بصورة استثنائية على حزب جديـــد أن يقدم مرشحيه المستقليـــن (أنظـــر تقرير اللجنة المركزية، لاباتالا عدد 234). لكن هذه الحجة عديمـــــة الفائدة، **فالتقنية** الانتخابية لا يمكن أن تبرر **سياسة** الخيانة التي هي البرنامج المشترك مع البورجوازية. ل. تروتسكي.

[135]- انعقد المؤتمر السابع للكومنترن في آب 1935 ودعا إلى سياسة الجبهة الشعبية التي كان يجري تطبيقها في فرنسا واسبانيا. وقد سمى تروتسكي هذا المؤتمر «مؤتمر تصفية» الكومنترن (راجع كتابات تروتسكي 1935–1936) وكان فعلا المؤتمر الأخير للكومنتـــرن قبل أن يحله ستالين عام 1943 كإشارة حسن نية تجاه حلفائه الامبرياليين.

زامورا ثـــم للتخلص منه. ولم ينجح الجناح اليميني في ذلك، في حين نجحت (الجبهة الشعبية) الأمر الذي يعني، على كل حال، **بداية فترة ثورية حادة.**

كلا الاختمار العميق لدى الجماهير والانفجارات العنيفة المتواصلة، يظهران أن عمال المدن والريف بالإضافة إلى الفلاحين الفقراء الذين خدعوا مرات ومرات، يوجهـــون كل قواهم، بشكل متواصل، نحو حل ثوري. وما الدور الذي ستلعبـــه الجبهـــة الشعبية في وجه هذه الحركة القوية؟ إنه دور **كابخ** هائل، بناه وحركه خونة وحثالة خانعة. وفي الأمس فقط، وقع خوان أندريد على البرنامج الوضيع للجبهة الشعبيـــــة.

بعد إزاحة زامـــورا، لابد أن يتخذ آزانـــا، يدا بيد مع رئيس الجمهوريـــة الجديـــد، دون قطب التوازن البونابرتي، يعني أنه لا بد أن يحاول رفع نفسه فوق المعسكرين ليكون قادرا بشكل أفضل على توجيه أسلحة الدولة ضد تلك الجماهير الثوريـــة التي رفعته إلى السلطة. وتبقى منظمات العمال، على أية حال، واقعة كليا في شـــرك الجبهة الشعبية. وبذلك فإن اضطرابات الجماهير الثورية (دونما برنامج ودونمـــا قيادة جديرة بالثقة) تهدد بترك الباب مفتوحا على مصراعيه لديكتاتورية مضادة للثورة!

إن العمال يتقدمون باتجاه ثوري، وذلك ظاهر من تطور تنظيمات وبشكل خاص تطور الحزب الاشتراكي والشبيبة الاشتراكية. ومنذ سنتين انطرحت قضية دخـول البلاشفـــة اللينينيين الاسبان إلى الحزب الإشتراكي، وقد رفضها كل من أندريه نـــن وأندريـــد بازدراء متخلفين ومحافظين: أراد «الاستقلال» مهما كان الثمن، لأن ذلك يجعلهم في سلام ولا يفرض عليهم أي التزام، بالرغم من أن الانتساب إلى الحزب الاشتراكـــي في اسبانيا كان يمكن أن يعطي نتائج أفضل بما لا يقاس، في ظل الظروف المحددة، مما كان عليه الوضع في فرنسا، مثلا، (بالطبع بشرط أن يتم في اسبانيا تفـــــادي الأخطاء التي ارتكبها الرفاق القياديون الفرنسيون). في هذه الأثناء، على كل حـــال، توحّد نن وأندريد مع التشويشي مورين لكي يسارعوا سوية للحاق بالجبهة الشعبيـــــة[136].

على كل حال، سقط العمال الاشتراكيون، في سعيهم من أجل الوضـــــوح الثـــوري، ضحايا الخادعين الستالينيين. إن اندماج منظمتي الشباب (الاشتراكية والستالينيـــة) يعني أن أفضل الطاقات الثورية سيتم تبديدها وإساءة التعامل معها مـــن قبـــل مرتزقة الكومنترن. ويبقى الثوريان (العظيمان) أندريه نن وأندريد، متفرجين لكي يقوموا سوية مع مورين بدعاية عاجزة بالكامل من أجل ثورة (اشتراكية ديموقراطية) يعنـــي من أجل خيانة اشتراكية ديموقراطية[137].

لا أحد يعلم ما الشكل الذي ستتخذه الفترة التالية في اسبانيا. وعلى كـــل حـــال، إن النهوض الذي حمل زمرة الجبهة الشعبية إلى السلطة أقوى من أن يتراجع في فترة زمنية قصيرة تاركا الساحة فارغة للرجعية. فيما يزال للعناصر الثورية حقا، فترة من الزمن، ليست طويلة جدا بالتأكيد، لكي يعاينوا حالهم ويجمعوا قواهم ويستعدوا للمستقبـــل القريـــب. وهذا يعني بالدرجة الأولى المؤيدين الاسبان للأممية الرابعة. إن مهامهم واضحـــة كالشمس:

1- إدانة وشجب سياسة كل القادة المشاركين في الجبهة الشعبية، بلا رحمة وأمام الجماهير.

2- الفهم الكامل لضعف قيادة (حزب العمال للتوحيد الماركسي) وبشكـــل خـــاص (الشيوعيين اليساريين) السابقين أندريد... الخ. وتصويرهم بوضوح أمـــام أعيـــن العمال التقدميين.

3- الالتفاف حول راية الأممية الرابعة على أساس (الرسالة المفتوحة)[138].

4- الانضمام إلى الحزب الاشتراكي والشبيبة الموحدة بغية العمل هناك كتكتل بـــروح بلشفية.

5- تأسيس أقسام ونُوى أخرى في النقاشات وغيرها من التنظيمات الجماهيرية.

6- توجيه الاهتمام الأساسي للحركة الجماهيرية العفوية ونصف العفوية، لدراســـــة ملامحها العامة، يعني لدراسة حرارة الجماهير وليس حرارة الزمر البرلمانية.

---

[136]- إن (انعطاف) لاباتالا نحو الجبهة الشعبية لا يبعث على الثقة. فلا يمكن أن يقـول المرء يوم الاثنين أن عصبة الأمم هي عصابة من قاطعي الطرق، وأن يحث المصوتين يوم الثلاثاء ليصوتوا لصالح برنامج عصبة الأمم، وأن يفسروا ذلك يوم الأربعـاء بأنه لم يكن سوى قضية عمل انتخابي وأن على المرء اليوم أن يتخذ برنامجه الخاص. فلا بد أن يسأل العامل الجاد ما الذي سيقوله هؤلاء الناس يوم الخميس والجمعـــة؟ يبدو أن مورين هو التجسيد الأمثل للثوري البورجوازي الصغير: سطحـــي وبهلوان متقلب، إنه لا يدرس شيئا ولا يفهم إلاّ القليل وينشر التشوش مـــن حوله. ل. تروتسكي.

[137]- كتب ماركس عام 1876 بصدد زيف تعبير (اشتراكي ديموقراطي). لا يمكن للاشتراكية أن تكون خاضعة للديموقراطية، إن الاشتراكية (أو الشيوعيـــة) تكفينـــا. ولا مجال (للديموقراطية) فيها. وقد أظهـــرت ثورة أوكتوبر، بعد ذلك، أنـــه لا يمكن تحقيق الثورة الاشتراكية في إطار الديموقراطية. إن الثورة الاشتراكية والثورة «الديموقراطية» على طرفي النقيض. وقد أكدت الأممية الثالثة هذه التجربة نظريـا. لقد تحققت الثورة «الديموقراطية» في اسبانيا والجبهة الشعبية تعمل على تجديدهـا. إن تشخيص الثورة (الديموقراطية) في اسبانيا هو أزانا، مع أو بدون كاباليـــرو. ولا يزال يجب تحقيق الثورة الاشتراكية بنضال لا يهادن ضد الثورة (الديموقراطية) والجبهة الشعبية. ماذا يعني هذا «تركيب» ثورة ديموقراطيـــة؟ إنه لا يعني شيئا على الإطلاق. إنه مجرد خبيصة انتقالية. ل. تروتسكي.

[138]- إن صدور «الرسالة المفتوحة لأجل الأممية الرابعة» في صيف 1935. يحدد تاريخ تصميم التروتسكيين في كل العالم على تشكيل الأممية الرابعة. لقد كانت إعلانا عن مبادئ وأهداف الحركة وأكدت على الحاجة إلى أممية جديدة ووقعها حزب العمـال الأمريكي والحزب الاشتراكي الثوري وحزب العمال الكندي والبلاشفة اللينينيون الفرنسيـون وعصبة الشيوعيين العالمية. النص الكامل موجود في كتابات ليون تروتسكي 1935–1936.

.7- الحضور في أي صراع لإكسابه تعبيرا واضحا.

.8- الإلحاح الدائم على أن تنظيم الجماهير المكافحة في شكل، وأن توسع باستمـــرار لجان عملها (جنتات أو سوفييتات) وأن تنتجها لخدمة أغراض محـــــددة ADHOC.

.9- طرح برنامج الاستيلاء على السلطة وديكتاتورية البروليتاريا والثورة الاجتماعية بمعارضة كل البرامج الهجينة (برنامج كاباليرو ومورين).

هذا هو الطريق الحقيقي للثورة البروليتارية، وليس ثمة طريق آخر.

.50- هل من الممكن التقارب من نـــن[139] ؟

3 حزيران 1936

... إذا فهمت رسالتك من باريس، فأنت غير راض عن سلوكنا مع أندريـــــه نـــن، وتعتبره سلوكا (عصبويا). إنك لا تعرف ولا يمكنك أن تعرف تاريخ علاقتنا الشخصية والسياسية.

يمكنك ببساطة أن تتصور كم كنت سعيدا عندما وصل نن إلى الخارج. لقد تراسلـــت معه لعدة سنوات بشكل منتظم تماما. وكانت بعض رسائلي (دراسات) حقيقيـــــة في موضوع الثورة الحية التي كان يمكن له ويجب عليه أن يلعب دورا فاعلا فيها. وأعتقد أنه يمكن صنع مجلّد من بضع مئات من الصفحات من رسائلي إلى نن على مدى سنتين أو ثلاث سنوات: وهذا يشير إلى مدى الأهمية التي أوليتها له ولعلاقاتي الودية معه. وقد أكد نن في ردوده، مرة أخرى، موافقته في مجال النظرية، لكنه تجنب دائما مناقشـــة المشاكل العملية. وكان يسألني عن قضايا مجردة حول السوفييتات والديموقراطيـــــة ... الخ، لكنه لم يقل كلمة واحدة حول الإضرابات العامة التي كانت تجـري في كاتالونيا.

لا أحد بالطبع ملزم بأن يكون ثوريا. لكن نن كان على رأس البلاشفة اللينينيين الاسبان، وبهذه الحقيقة وحدها كان على عاتقه مسؤولية جسيمة فشل في حملها فـي الممارسة، عاملا على طوال الوقت على ذر الرماد في عيني. صدقني يا صديقي العزيز، لدي موهبة ما بالنسبة لهكذا أمور: إذا كنت مخطئا بشيء بخصوص نن، فذلك لأنني خلقت أوهاما بشأنه لفترة طويلة جدا، معطيا إياه، بذلك، فرص الإبقاء على السلبيـــة والتشويـــش تحت راية البلشفية اللينينية، الشيء الذي يُتخم الحركة العمالية الاسبانية من قبل –أقصد يُتخم أعلى الأنساق فيها– ولو كان في اسبانيا، بدلا من نن، عامل ثوري جـــاد مثل ليسويل Lesoil أو فيريكن[140] ، لكان ممكنا، خلال تلك السنوات من الثـــورة، إنجاز عمل هام هناك.

لقد دعم نن بانتظام، مدفوعا بغموض موقفه، في كل البلدان أولئك الـــذي لسبـــــب أو لآخر شنوا صراعا ضدنا وصاروا في نهاية المطاف، بصورة عامة، مجرد خونة تافهين. كيف حدثت القطيعة؟ أعلن نن معارضته المطلقة لتكتيك دخول رفاقنا إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي. ثم، بعد تردد طويل صرّح بأن ذلك تكتيكا صائبا في فرنســـــا وأنه يحب التصرف بنفس الطريقة في اسبانيا. لكنه، بدلا من ذلك، انضم إلى التنظيم الإقليمي التابع لمورين الذي لم يكن له أفق على الإطلاق، لكنه سمح لنن بأن يعيـــش بسلام. وقد وجهت للسكريتاريا العالمية رسالة نقدية. وكان ردَّه بأن قطع علاقاته معها ونشر شيئا ما في هذا الموضوع في نشرة خاصة.

ولولا خشيتي من أن أضيع وقتك لأرسلت لك ملف مراسلاتي مع نن، فقد احتفظـــت بنسخ عن كل رسائلي معه، وأنا واثق من أنك، كبقية الرفاق الذين تعرفـــوا علـــى هذه المراسلات، ستتهمني بالصبر المفرط، و«بالروح» التصالحية وليس بـ(العصبوية).

.51- هل من الممكن التقارب مع نـــن؟ II

5 حزيران 1936

... لقد أغفلت بعض النقاط في رسالتي الأخيرة. لنبدأ من نن. إذا كنـــــــت تعتقـــد أن هناك إمكانية لعودته إلينا، فلماذا لا تحاول إعادته

---

[139]- مقتطف من رسالة إلى فيكتور سيرج 1890–1947: ولد في بلجيكا من أبويـن روسيين وأصبح فوضويا في شبابه، فحكم عليه بالسجـــن مدة خمـــس سنـــــوات. إنجذب إلى البلشفية بعد ثورة 1917، انتقل إلى الاتحاد السوفياتي، وعمـــــل لصالح الكومنترن. اعتقل بتهمة المعارضة وأطلق سراحه عام 1928. ثم أعتقـل ثانية عام 1933. وقد أطلق سراحه بفعل حملة قام بها المثقفون في فرنسا، وسُمـــــح له بمغادرة البلاد عام 1936، وسرعان ما أظهر اختلافا مع حركة الأممية الرابعة، خصوصا بعد مسألة الـ POUM وترك الأممية الرابعة، كتب العديد من الأعمال التاريخية الهامة، إضافة إلى الروايات، منها (من ستالين إلى لينين)، (ولادة سلطتنا)، (مذكرات عن ثورة)، روسيا بعد عشرين سنة).

[140]- ليون ليزول: أحد مؤسسي وقادة الحزب الشيوعي البلجيكي. طرد عام 1928 لمعارضته قمع المعارضة السوفياتية. عمل على تنظيم الفرع البلجيكي من المعارضة وبقي أحد قادته طيلة حياته. اعتقله الجيستابو في حزيران 1941 وتوفي في معسكر الاعتقال السنة التالية.

- جورج فيريكن: ممثل التيار العصبوي في الفرع البلجيكي من عصبة الشيوعيين العالمية. عارض دخول الفرع البلجيكي إلى الحزب الاشتراكي.

شخصيا، لا أحمل أي أمل برؤيته ثوريا، لكن قد أكون مخطئا. تحقق بنفسك، إذا كنت تجد ذلك ضروريا. ولا يسعنـــــي إلاّ استحسان ذلك.

بالطبع لا يمكن أن نكتفي بالتأكيدات اللفظية منه (وهي وافرة جدا عنده) بل بالأعمـال الفعلية. فهو، في الوقت الحاضر، يتحالف مع الأعداء اللدودين للأممية الرابعـــــة، الذي يخفون بغضهم البورجوازي الصغير للماركسية خلف عبارات فارغة في موضوع الاختلافات «التنظيمية». كما لو أن الناس الجادين يقطعون علاقاتهم مع الثوريين ويتحالفون مع الانتهازيين بسبب اختلافات ثانوية.

إذا كان نن يريد العودة إلينا، فعليه أن يرفع بوضوح راية الأممية الرابعة في إسبانيـــا. إن الذرائع التي يتوسلها لرفض ذلك هي من نفس نمط الذرائع التي يتوسلها بلـــوم بخصوص الصراع الطبقي الذي، كما يرى، بينما هو شيء جيد بالعموم، إلاّ أنه ليـــس مناسبا لحقبتنا. فسياسة بلوم تقوم على أساس التصالح الطبقي بالرغم من أنه يعتـرف بالصراع الطبقي «نظريا». إن نـــن يعترف بالأممية الرابعة بالكلام لا بالأفعـــــال، يساعد مورين وفالشر Walcher وماكستون Maxton وحلفاءهم على شنّ صراع عنيف ضد الأممية الرابعة تماما كالصراع الذي شنّه السلميـــــون أمثال لونغييـــه Longuet وليدبور Ledbour ضد الأنصار الأمميين الثوريين للأممية الثالثة خلال الحرب الأخيرة[141].....

.52- حزب العمال للتوحيد الماركسي والجبهة الشعبية[142]

16 تموز 1936

.7- أصل الآن إلى اسبانيا، دافع الرفيق سينفلت Sneevliet في واحدة من رسائلـــه الأخيرة، باسم اللجنة المركزية للحزب، عن حزب مورين –نـن ضد هجوماتي التي يزعم أنها مضخمة وحادة جدا[143]. إن ذلك يبدو لي غير مبرر، بل غير قابـــل للفهـــم. ذلك أن الصراع مع مورين لم يبدأ في الأمس. ففي كل سياسته، خـــلال الثـــــورة، كانت إقليمية ذات نزعة قومية وبورجوازية صغيرة رجعية في جوهرها. وقد أشرت إلى هذه الحقيقـــة على المـــلأ، أكثر من مرة، منذ بداية الثـــورة. واعتـــــرف نن، بالتذبذبات الجديرة به، أيضا بذلك. إن برنامج الثورة (الاشتراكيـــة الديموقراطيـــــة) هو الولد الشرعي للروح المورينية. إنه يتفق مع برنامج بلوم وليس مع برنامج لينين.

أمّا بخصوص نـــن، فقد أثبت خلال كل الثورات أنه هاو مسالم بالكامل لا يريد بأدنـى درجة، أن يفكر في المشاركة الفعلية في الصراع الجماهيري وفي كسب الجماهير وقيادتها إلى الثورة.. الخ. فقد اكتفى بمقالات قصيرة مفرطة في نقدها للستالينية والاشتراكيـــة ..الخ. الشيء الذي هو الآن سلعة رخيصة جدا! وخلال سلسلة من الإضرابات العامة في برشلونة، كتب لي رسالة حول كل القضايا التي تخطر في البال لكنـــه لم يذكر، حتى مجرد ذكر، الإضرابات العامة ودوره فيها. وقد تبادلت معه في مجـرى تلك السنوات مئات الرسائل. وكنت أحاول دائما أن أستنبط منه، ليس ملاحظـــــات أدبية فارغة عن كل شيء ولا شيء، بل اقتراحات عملية للنضال الثوري، فقد كان يرد على أسئلتي المحددة بشكل دائم «بالنسبة لذلك، سأكتب لك في رسالتي التاليـــة» وهذه «الرسالة التالية» لم تصل، على كل حال، لسنوات.

لقد كانت أكبر مصيبة بالنسبة للفرع الاسباني، حقيقة أنه وقف على قيادته رجـــل له اسم وماضٍ ما وهالة كونه شهيد الستالينية. قاده، طوال الوقت، بشكل خاطـــئ وشلّـــــه.

توصلت الشبيبة الاشتراكية الرائعة، بشكل عفوي، إلى فكرة الأممية الرابعـــة. ولـــم نتلق، لقاء كل إلحاحنا على تكريس الاهتمام بالشبيبة الاشتراكية، سوى أعذار فـــارغة. فقد كان نن مهتما (باستقلالية) الفرع الاسباني، يعني، بسلبيته الخاصة ورفاهتـــه السياسية التافهة. إنه لا يريد أن تقلق الأحداث الكبيرة هوايته النيّقة. وهكـذا تحولت الشبيبة الاشتراكية بالكامل تقريبا إلى المعسكر الستاليني. إن الرجال الذيـــن يدعـــون أنفسهم بلاشفة لينينيين، وسمحوا لذلك، بالأحرى سبّبوه، يجب أن يوصموا للأبـــد كمجرمين ضد الثورة.

وفي اللحظة التي صار إفلاس نن واضحا حتى لمؤيديه، اتحد مع الرجعي الكاتالونـــي ذي النزعة القومية مورين، قاطعا علاقاته معنا، بدعوى أن السكريتاريا العالميـــة لا تفهم شيئا في شؤون اسبانيا. وفي الواقع إن نن لا يفهم شيئا في السياسة الثوريـــة ولا في الماركسية.

وسرعان ما وجد الحزب الجديد نفسه في عربة آزانا. لكن. من غير المقبول إطلاقـــا، كما يبدو لي، القول، بصدد هذه الحقيقة «أنها مجرد اتفاق انتخابي تقني مؤقت وصغير». لقد وقع الحزب لآزانا على أكثر برامج الجبهة الشعبية خزيا، وفي الوقت نفســـــه، وقع على حكم موته لسنوات قادمة. ذلك أنهم سيتلقون لدى كل محاولة لانتقاد الجبهة الشعبية (إن مورين ونن يحاولان الآن محاولات يائسة) دائما الرد على نفسه من

---

[141]- جان لونغيه 1876–1938: تشتركي فرنسي يميني. اتخذ موقفا سلبيا أثناء الحرب العالمية الأولى لكنه صوت مع اعتمادات الحرب.

- جورج ليديبور 1850-1947: اشتراكي ديموقراطي ألماني عارض الحرب العالمية الأولى عمل ضد انضمام الحزب الاشتراكي الألماني إلى الأممية الثالثة عام 1920.

- جاكوب فالشر: ترك المعارضة الشيوعية اليمينية وانضم إلى الـ SAP عام 1932، سرعان ما أصبح شخصية مسيطرة داخلة. كان خصما لدودا لتشكيل أممية ثورية جديدة وبعد الحرب عاد إلى الحزب الشيوعي.

[142]- مقتطف من رسالة اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي الثوري RSAP الفرع الهولندي لحركة الأممية الرابعة

[143]- هنريكوس سنيفلت 1883–1942: أحد مؤسسي الحزب الشيوعي في هولندا وأندونيسيا. كان سكرتير لجنة المستعمرات داخل الكومنترن في مؤتمره الثاني، وكان ممثلا للكومنترن في الصين لبعض الوقت. شكل، بعد أن ترك الحزب الشيوعي عام 1927 الحزب الاشتراكي الثوري الذي اندمج مع عناصر ثورية أخرى وشكل عام 1935 حزب العمال الاشتراكي الثوري الذي تحالف مع حركة الأممية الرابعة. اختلف هذا الحزب مع الحركة التروتسكية العالمية، بسبب خلافات حول حزب العمال التوحيد الماركسي، وحول السياسة النقابية، ولم يشارك في المؤتمر التأسيسي للأممية الرابعة عام 1938. اعتقله النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية وأعدموه.

البورجوازي الراديكالي ومن الاشتراكيين والديموقراطيين ومن الشيوعيين: لكن ألم تشاركـوا أنفسكم في إنشاء الجبهة الشعبية وألم توقعوا على برنامجها؟ وإذا حاول هؤلاء السادة، عندئذ، الاستفادة من الذريعة النتنة (كـان ذلك مجرد مناورة تقنية لحزبنا) فسيجعلـون من أنفسهم مسخرة.

لقد شلّ هؤلاء أنفسهم بالكامل. ولو أظهروا الآن، بشكـــــل غير متوقـــع، إرادة ثورية، والحال ليس كذلك، على كل فللجرائم والخيانات الصغيرة، التي تبقـــى غيـــر ملحوظة تقريبا في الأزمنة العادية، صدى قوي في زمن الثورة. يجب أن لا ننسى قطعا أن الثورة تخلق شروط ترجيع خاصة. على العموم، لا أستطيع أن أفهم كيف يكـــون السعي وراء شروط مخففة للخونة الإسبان، في نفس الوقت الذي يتعرّض فيه رفاقنا البلجيـــك، الذين يناضلون بشجاعة فائقة ضد الـ POB الهائلة والستالينييـــن، والذين بدأوا نجاحات هامة بالفعل، لتهجمات في الـ Nieu vue Falekel[144].

.8- تحمل لاباتالا في عددها الأخير دعوة من حزب نن-مورين إلى فروعنا في أمريكا الجنوبية، الشيء الذي يمثل محاولة لتجميع هذه الفروع حول ما يسمى حزب التوحيـــد الماركسي على أساس قومي محض. يحاول حزب التشويش (الماركسي) الاسبانـــي، كأي فرع من مكتب لنـــدن، أن يخترق صفوف الأممية الرابعـــــة لشقهـــا ... الخ. ها أمامكم الكلب الصغير الذي يعضعض أعقابنا. ألا يجب أن نـــــقول بصراحة لتنظيماتنا الأمريكية الجنوبية، التي لا تزال تحوي في صفوفها أنصار للـ SAP وبرلمانيين ... الخ، أيّ خلاف بيننا وبين مكتب لندن، لماذا يقطع نن علاقته معنا في أوروبا ويريد أن يظهر في أمريكا الجنوبية على أنه موحد وورع للقوى الثوريـة؟ إن هذا النفاق الجدير بالازدراء، الذي يميز الوسطية دائما، يجب فضحه بلا رحمة. الأمـــر الذي سيكفي، وحده، لإثبات **الضرورة المطلقة** لأطروحاتنـا حول مكتب لنـــدن.

.9- تبقى الجبهة الشعبية قضية القضايا. يحاول الوسطيون طرح هذه المسألة علـــى أنها مناورة تكتيكية، وحتى تقنية، للتمكن من نشر بضاعتهم في ظل الجبهة الشعبيـة، في الواقع، إنها **القضية الأساسية للإستراتيجية الطبقية للبروليتاريا** في هذه الحقبـة. وهي تقدم، أيضا، المعيار الأفضل للاختلاف بين البلشفية والمنشفية. فغالبـــا مـــا يُنسى أن المثال التاريخي الأهم للجبهة الشعبية هو ثورة شباط 1917. فمنذ شباط حتى أوكتوبر كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون، الذين يمثلون معادلا جيدا (للشيوعييـــن) والاشتراكيين الديموقراطيين، في تحالف وثيق جدا وائتلاف دائم مع الحـــزب البورجوازي الكاديت[145]. وشكلوا معه سلسلة من الحكومات الائتلافية. وقد وقف الشعب بكامله، بما فيه مجالس الجنود والفلاحين والعمال، تحت يافطة الجبهة الشعبيـــة، يقينا، شارك البلاشفة في المجالس، لكنهم لم يقدموا أدنى تنازل للجبهة الشعبيـــة وكان مطالبهم هو تحطيم الجبهة الشعبية، وتدمير التحالف مع الكاديت وخلق حكومة فلاحين وعمال حقيقية.

إن كل الجبهات الشعبية في أوروبا، ليست إلا نسخة باهتة وغالبا كاريكاتورية للجبهـة الشعبية الروسية لعام 1917، التي كان لها أن **تدّعي مبرر الوجود أكثـــر بكثيـــر لأن الأمر كان لا يزال قضية صراع ضد القيصرية وبقايا الإقطاع.**

---

[144]- الـ POB هو حزب العمال البلجيكي، الفرع البلجيكي من الأممية الثالثة.

- (ذي نيوفي فاكل) هي صحيفة حزب العمال الاشتراكي الثوري البلجيكي.

[145]- الديموقراطيون الدستوريون الروس المسمون الكاديت: حزب ليبرالي كان يفضل قيام ملكية دستورية في روسيا أو حتى جمهوريات في المآل الأخير. كان حزبا للملاك العقاريين التقدميين والبرجوازية المتوسطة والانتلجنسيا البورجوازية، برأسه بروفسور في التاريخ ميلوكوف.